

برقة الهادنة

صفحة ليبيا تاريخ وثقافة على الفيسبوك



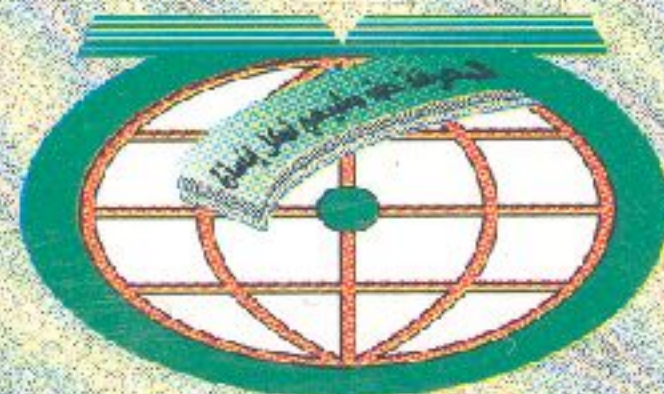
ترجمة

إبراهيم سالم بن عامر

بقلم

الجنرال رودلفو غراسياني

الدار الجماهيرية
للنشر والتوزيع والإعلام



صفحة ليبيا تاريخ وثقافة على الفيسبوك



بُرْقَة اِهْلَادْنَة

بُرْقَةُ الْهَادِئَةِ

بقلم: الجنرال رودلفو غراسياني

ترجمة: إبراهيم سالم بن عامر

الطبعة الرابعة : الصيف 1428 ميلادية (1998)
رقم الإيداع : 97 / 3081 - دار الكتب الوطنية - بنغازي

جميع حقوق الطبع والاقتباس والترجمة محفوظة للناسر
الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان
ممراته : ص.ب. 17459 - هاتف : 614658 - 051 - 606086 - 021 - بريد ممرر 619410 - 051
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

الإهداء

إلى رُوح الشَّهيد صَالِح مَسْعُود أَبُو يَصِير

إبراهيم سالم بن عامر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

إنني إذ أقدم للدارسين والمهتمين بقضايا التاريخ، وخاصة القضايا الوطنية، كتاب برقة الهادئة الذي قام بترجمته الأستاذ إبراهيم سالم بن عامر، فإنني في الحقيقة أقدم كتاباً يتناول فترة هامة من تاريخ الاستعمار الإيطالي لليبيا، مؤلف هذا الكتاب هو الجنرال رودلفو غراسياني، الذي يعتبر أحد جلادي هذا الشعب الأبي والذي تم على يديه إبادة حوالى نصف مجموعته.

لقد قام هذا السفاح بتأليف العديد من الكتب التي أذكر منها: نحو فزان، وإعادة احتلال فزان. كذلك قام بكتابة عدد من التقارير التي لم تكن في مجموعها وواقعها دراسة تاريخية لجهاد هذا الشعب البطل، بقدر ما كانت دراسة لتاريخ الاستعمار الفاشيستي. لأنها تناولت تلك الفترات التي شارك فيها المؤلف في قيادة الأعمال الاستعمارية والتي كانت قائمة على القمع والبطش والتنكيل، وأرخ فيها للوقائع الحربية التي قادها أو شارك فيها مع حرص واضح على إبراز دوره وطمس أدوار الآخرين.

إن هذا الكتاب الذي بين أيدينا يعطينا فكرة واضحة عن سلوك وسياسة هؤلاء المستعمرين البشعة تجاه شعبنا البطل والتي اتبعوها ليس في برقة فحسب بل في كل المناطق والمدن التي وطئتها أقدامهم. إن مجرد الاطلاع

على هذا الكتاب يوضح للقارئ الموقف البطولي لشعبنا في برقة عامة رغم التشريد والجور والإعدام الجماعي والمعتقلات لعدد لا يحصى من السكان، وكذلك يمكن للدارس أن يستنتج العديد من الحقائق التاريخية الهامة التي يوردها المؤلف دون قصد في بعض المواقع من كتابه والتي تنم عن اعترافه بحقيقة قوة هذا الشعب وصلابته وعنف مقاومته وإيمانه بوطنه وعقيدته.

إن العنوان الأصلي الذي اختاره المؤلف لكتابه هو «برقة المهدأة»، وهو عنوان يدل - باعتراف المؤلف نفسه - على أن برقة لم تكن هادئة ولكنها هُذئت بقوة الحديد والسلاح. وهنا يجدر بي أن أؤوه بأن المترجم عندما يضع برقة الهادئة كعنوان للكتاب الذي نقله إلى العربية، لا يقصد من وراء ذلك أن برقة كانت كما توحى إلينا تلك العبارة، هادئة، ولم تكن ثائرة، وإنما كان مقصده أن ييسر على القارئ قراءة العنوان ويبيعه عن أي لبس محتمل.

لقد قصر المؤلف كتابه على الأحداث التي جرت في برقة فيما بين سنتي 1913، 1931 وهي تمثل فترة الكفاح القومي ضد المحتل الغاشم منذ البداية وعندما كانت المقاومة بقيادة السيد أحمد الشريف وحتى النهاية والتي تمثلت في القبض على المجاهد عمر المختار في تلك السنة الأخيرة. إنها فترة مملوءة بالأحداث التاريخية التي يجب على كل دارس أن يستوعبها ويتعلم الدروس منها في مقاومة الطغاة والمستعمرين.

إن مترجم هذا الكتاب هو الأستاذ إبراهيم سالم بن عامر، والأستاذ إبراهيم مؤهل للقيام بمثل هذا العمل وللمساهمة الفعلية في دراسة هذه الفترة، وذلك من حيث النشأة والثقافة فهو رجل ملم بالعديد من اللغات وذو ثقافة تاريخية طيبة، بالإضافة إلى أنه عاصر فترة الاحتلال. لقد كان عضواً بارزاً في جمعية عمر المختار منذ نشأتها حتى أقفلت نهائياً، كذلك له نشاطات متعددة في مجال التأليف المسرحي والشؤون الرياضية وغيرها.

وحين يقوم الأستاذ إبراهيم مشكوراً بنقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية فإنه بذلك يكون قد أسهم مساهمة طيبة وفعالة في دراسة هذه الفترة الهامة من تاريخنا الوطني، وأضاف مصدراً آخر إلى مكتبتنا العربية والتي هي في أمس الحاجة إلى مثل هذه المصادر.

أتمنى له التوفيق والسداد في خدمة أجيالنا ووطننا الحبيب، والله من وراء القصد.

د. محمد مصطفى الخوج

قسم التاريخ، كلية الآداب - جامعة قاريونس

مقدمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم عليه توكلت وبه أستعين..

بما أنني عاصرت حركة الاحتلال الإيطالي لليبيا وبالأخص في فترة أعنف وأقوى طغيانه وجبروته وعشت ما قاساه الشعب العربي الليبي من ظلم وتعذيب بل اكتوينا جميعاً بنار ظلمهم واستبدادهم الأمر الذي جعلني أبحث وأدرس عن القضية الليبية في كل كتاب سواء كان عربياً أو إيطالياً وكذلك أسأل الذين ناضلوا وكافحوا من أجل حرية الوطن العزيز وقد شعرت أن بعض الكتاب لم يخلصوا في كتاباتهم فكل منهم له ميوله الخاصة ومن بين ما قرأت وما سمعت وقع اختياري على كتاب ألفه عدو لوطني وديني ولغتي هو الجنرال رودولفو غراسياني تحت عنوان (برقة الهادئة).

إن كتاب برقة الهادئة الذي قمت بترجمته أو نقله إلى اللغة العربية ألفه قائد من قادة إيطاليا الفاشستية وأحد جلادي الشعب العربي في ليبيا وهذا الرجل ذاته كان موجهاً لحملة غاشمة ضد الشعب العربي في ليبيا أفنى بها قتلاً ما يزيد عن نصف مجموع هذا الشعب الأبي بالإضافة لضحايا النفي والتشريد.

ورغم أن هذا القائد الطاغية لم يكن في حسبانته وهو يكتب هذا الكتاب أن جيوشه ستندحر وتجلو عن هذا الوطن وأن الأرض الخصبة التي أشار إليها ستعود ملكاً خاصاً لسكانها الأحرار، رغم ذلك كله فإن هذا الرجل قد ذكر

حقائق تاريخية تتضمن اعترافاً بقوة الشعب العربي في ليبيا وعنف مقاومته وإيمانه بوطنه وقوميته وعقيدته. ويمثل مؤلف هذا الكتاب أحد قمم الطغيان والاستبداد الفاشيستي ولكنه يعترف بأن كل الأسلحة الحديثة الموضوعة تحت تصرفه عجزت عن أن تجعله يعترف بما ألحقه به العصاة، حسب قوله عن المجاهدين، من خذلان وهزيمة كان يذكرها في تلطيف كبير رغم ضخامة وحداثة وكثرة عتاده مع ما يقابله من بساطة وقلة في السلاح والعدد لدى المجاهدين.

ومع ذلك فالرجل من خلال كتابه يصدر أحكامه على عدد من الشخصيات الوطنية بما يمكن الدارس من معرفة قيمة كل شخصية في ميدان الكفاح الوطني ولم يتردد الجنرال في ذكر قسوة ما يحسه تجاه عنف حركة المقاومة رغم المشانق والجور والنفي والإعدام الجماعي والتشريد والمعتقلات الشاملة لأعداد لا تحصى من السكان. إن الرجل يذكر ما فعله الطليان ولكنه من خلال ذلك يذكر ما يقدمه الشعب العربي في ليبيا من تضحيات وبطولات نادرة المثال. لقد جعل المؤلف عنوان كتابه (برقة الهادئة) تمييزاً لها عن برقة الثائرة التي يعرفها الجيش الإيطالي والحزب الفاشيستي، ومجرد اتخاذه عبارة برقة الهادئة عنواناً لكتابه كان يريد به بياناً لحلم تحقق بعد أن يئست إيطاليا والفاشيستية أن تكون برقة هادئة وهي أحد أقاليم ليبيا الثلاثة التي أصلتهم ناراً وحريقاً لم يألوه في سواها.

في الحقيقة أن برقة كانت هادئة ظاهرياً عند تأليف وطبع الكتاب غير أن الثورة المتأججة كانت تتقد في الخفاء ضد الاستعمار الفاشستي. لقد اختصر الجنرال في كتابه على برقة التي ركز عليها كل اهتمامه وذلك بسبب ضعف أو انطفاء حركة الثورة والمقاومة في باقي الأقاليم أي طرابلس وفزان بينما استمرت الثورة متقدمة في برقة مدة تزيد عن العشرين عاماً فشلت خلالها حملات إيطالية متعددة انكسر فيها قادة من كبار القادة في روما وخرجوا من برقة مهزومين على أيدي المجاهدين الأبطال.

وذلك ما جعل لهذا الأقليم أهمية خاصة لدى قائد عسكري فاشيستي مثل الجنرال غراسياني الذي تكلم بعد إعدام عمر المختار فقال قولته المشهورة (أعتقد أن الحرب قد انتهت) ولكن نسي أجيالاً وأجيالاً قادمة وأن الشعب العربي في ليبيا الذي خرج عمر المختار من بين صفوفه قادر على تقديم وتوفير أعداد من الأبطال في مثل قوة عمر المختار وشدة عزمه وشرف بطولته.

وإني كمترجم تحرير الأمانة الحرفية والدقة أسأل الله التوفيق فيما قصده من ترجمة هذا الكتاب الذي يكشف حقائق يعرفها الشعب الليبي لأول مرة. وإني قد وضعت نصب عيني خدمة بلادي وقومي بنقل سفر تحدث عن فترة من أخصب فترات الجهاد في ليبيا. وإني لسعيد إذا استفاد قارئ عربي أو عالم أو مؤرخ من نتيجة مجهودي المتواضع لا سيما وأن هذا الكتاب يتعرض لتاريخ بلادي ومن حق كل مواطن أن يعلم ما يقوله قائد فاشيستي مثل الجنرال غراسياني في قومه ووطنه وكيف يفكر مستعمر عسكري وكيف يرانا نحن عامة الشعب وكيف يرى كفاحنا وجهادنا وبماذا يفسر الإجرام الفاشيستي الممتد على مدى تلك الفترة المظنية التي تعج بالأحداث.

ومن خلال مطالعة هذا الكتاب سيكشف غموض أحاط ببعض الشخصيات الوطنية سواء كانت شريفة القصد بريئة الغرض في جهادها أو كانت أيد ملطخة بالدماء ذات مقاصد وأغراض تضلل الشعب الليبي بكل ما عرف عنه من طيبة وبراءة.

ولقد حصر المؤلف كتابه عن الأحداث بين سنة 1913 و1931 وهي أخصب وأغزر فترة في التاريخ أو تاريخ الكفاح الوطني في ليبيا وفي برقة بصفة خاصة ولأنه تاريخنا الذي نحرص على مطالعته وفهمه اتصالاً بأجيالنا السابقة. إنني قصدت خدمة بلادي وفائدة القارئ والدارس العربي بترجمتي لأثر خطه قائد عسكري فاشيستي معلناً أنني وضعت أمانة الترجمة الحرفية أساساً لهذا الكتاب.

ولا يسعني إلا أن أقدم جزيل شكري وفائق احترامي إلى ابني الأستاذ
محمد الشلماني خريج كلية الآداب ليسانس تخصص علم التاريخ العام
وستقرأون في هذا الكتاب كلمة يقدم بها المترجم، فالأستاذ محمد الشلماني
غني عن التعريف فهو شاعر وكاتب وإني مدين له في ما قام به من تنظيم وربط
الكلام وتنسيقه من حيث الترجمة الحرفية. أسأل الله تعالى أن يأخذ بيدي
ويوفقني في إنجاز هذا العمل إنه سميع مجيب.

بنغازي في 10 شوال 1393 هجرية الموافق 5/11/1973 م

المترجم

إبراهيم سالم بن عامر

تعريف بـمترجم كتاب «برقة الهادئة»

مترجم الكتاب الأستاذ إبراهيم سالم بن عامر .
ولد بينغازي عام 1908 من أسرة بن عامر البنغازية العريقة . .
تعلم أول الأمر بالكتاتيب القرآنية .
ثم واصل تعليمه بمدرسة الفنون والصنائع بينغازي آنذاك حتى تخرج منها
بدبلوم الصنائع عام 1926 .
ثم واصل دراسته بكلية الصناعات بكاتانيا بإيطاليا . وتخرج منها بدبلوم
الصناعات عام 1928 .
يجيد اللغات التالية إجادة تامة : العربية ، الإيطالية ، الإسبانية ، ويتكلم
الإنكليزية .
عضو بارز بجمعية عمر المختار منذ إنشائها حتى أقفلت نهائياً .
متخصص في المجالات الرياضية .
شارك في النشاطات المسرحية بليبيا منذ أول قيامها عام 1936 ، وكانت
مجموعة القادة مكونة من إبراهيم بن عامر ورجب البكوش وعلي الشعالية ،
وما زال ابن عامر عضواً هاماً بالمسرح الشعبي بينغازي .
ألف مسرحيات : محكمة الضمير - اللحظات الأخيرة - محاكمة عمر
المختار . وقد مثلت جميعها وعرضت ولكنها لم تنشر بعد في كتب مستقلة .

آخر مؤلفاته المسرحية التي يضع لها اللمسات الأخيرة هي مسرحية (الجندي المثالي).

له نشاط حافل في النقابات طيلة السنين الماضية وشغل منصب رئيس نقابة الميكانيكيين أكثر من عشر سنوات متصلة وظل عضواً بارزاً في الحركة العمالية بليبيا ومثل البلاد في مؤتمر العمل الدولي بجنيف عام 1953 وعام 1956 بجنيف أيضاً، كما مثل الغرفة التجارية الليبية عام 1968 في جنوا بإيطاليا.

ألف كتاب (تكنولوجيا الميكانيكا) دراسات وأبحاث حول المحركات والكهربائيات وخصائص المعادن والحركة الكهربائية والميكانيكية وغيرها موضحاً بالرسوم والصور، ولكنه لم ينشر بعد حتى الآن.

يعمل الآن مديراً لمخازن التبريد وإنتاج الثلج الثلاثة التابعة لبلدية بنغازي، ويشغل منصب المقرر للجنة الصناعية بوحدة داود الغربي الأساسية بالاتحاد الاشتراكي العربي.

الأستاذ إبراهيم بن عامر والد لزملاء في الدراسة يشغلون الآن مناصب مختلفة في خدمة بلادهم وشعبهم، ويعتبر بالنسبة لي بمثابة الوالد، ولم يعرف أحد ما عاناه الأستاذ إبراهيم من مشاق حين قام بحفظ كتاب (برقة الهادئة) طيلة مدة تقارب نصف قرن ثم ترجمته بما في ذلك من إرهاق ومعاناة، ثم طبع المجموعات لدى معاهد الطباعة، بعد أن تلاشى الأخوة المتطوعون لطبعه على الآلة الكاتبة.

والأستاذ إبراهيم ختماً معروفاً تماماً لدى سكان بنغازي في مجالات مختلفة عمالية ورياضية وميكانيكية ومسرحية وتأليف وترجمة وعمل بلجان الاتحاد الاشتراكي وغير ذلك.

وفي هذه النبذة البسيطة، أعرف القارئ الكريم بالمترجم الذي حفظ وترجم هذا الكتاب هادفاً خدمة الأجيال المقبلة متمنياً له التوفيق والسداد.

محمد الشلماني

مقدمة المؤلف

الجنرال رودلفو غراسياني

أَلَفَ هذا الكتاب من أجل إخراج الحقيقة حول ما كتب في الصحافة الإسلامية التي ما برحت توجه لنا التهم وتحرك كل العالم ضدنا وضد سياستنا والتي تصفها بأنها أعمال لا إنسانية وظلم بشع ضد الشعب المحلي في ليبيا. كل الحوادث التي سأقصها في كتابي هي حقائق مخلصة أضمنها التاريخ رغم ما وجهه لنا بعض المغرضين. ومن حقنا الطبيعي أن نحمي هذه الأرض الخصبة الغنية بما تحتويه من موارد طبيعية تجعلنا نأخذ على عاتقنا الدفاع عنها وتطهيرها من حكم السنوسيين وتأثيرهم على السكان الليبيين بحجة الدين والتعصب الأعمى.

ولذلك آلينا على أنفسنا أن نأخذ بيد الشعب الليبي وأرضه الخصبة إلى مستوى أفضل وهذا يحتاج إلى قوة حازمة مسلحة بكل الإمكانيات المادية والمعنوية حتى نتمكن من تنفيذ سياستنا التي ضحينا من أجلها في احتلال هذه البلاد لكي نحصل على شرعيتنا في تحقيق التقدم والازدهار لصالح الإنسانية والمدنية..

المؤلف

جنرال رودلفو غراسياني

صفحات من التاريخ الليبي

الفصل الأول :

من صلح لوزان: 12 أكتوبر 1912 م إلى الحرب العالمية الأولى 14 يوليو 1914 م

خلال هذه الفترة، كانت الحرب قائمة بين الثوار بقيادة (المجاهد) أحمد الشريف ولأن الاحتلال الإيطالي لليبيا يعتبر سداً للطرق التجارية بين جنوب ليبيا والمناطق الاستوائية، وتهديداً لتجارة الليبيين مع تشاد والسودان وخاصة في تجارة الرقيق.

ومن أجل هذا، أسست كل البرامج الحربية والعسكرية لعرقلة تغلغل القوات الإيطالية في الجنوب الليبي والفترة التالية تأخذ صبغة عسكرية أكثر منها سياسية، ففي شهر يونيو 1913م كانت الفرقتان (سالسا وتسوني) موجودتين في درنة وشحات اجتمعتا في موقع (التنجي) وهناك هاجمتا تجمعات الثوار في عدة أماكن منها بواشمال وتلكزة والبيضاء وتاكنس للقضاء على الثوار لتعرضهم لقوافل التموين العسكرية والاستيلاء عليها بعد قتال عنيف مما دعا القيادة إلى تزويد القوافل بعدد كبير من الجند لحراستها وحمايتها من غارات دوريات الثوار وفي منتصف شهر يوليو تحركت فرقة سالسا عن طريق البحر لتحتل نقطة (مدور) وهي مركز هام للثوار، وهذه الأعمال الناجحة بدأت من موقع التنجي ومدور والفائدة بالإضافة لأعمال أخرى ضد السكان وتعذيبهم في مواطن قبائل السلاطنة وقبائل العواقير، وفي مناطق المرج وبنغازي وعليه أثر هذا الضغط في المناطق المذكورة من الناحية العسكرية، أما سياسياً فلم تكن هناك نتائج باستثناء استسلام بعض رؤساء ومشايخ العواقير والفواخر والمغاربة

ولكن تجمعات كبيرة للشوار ظهرت في مناطق متعددة في سلوق وتاكنس والقصور وفي درنة وأخيراً على الحدود المصرية في وادي السهل الشرقي بمقاطعة رأس الدفنة وفي شهر أغسطس 1913م استطاعت قواتنا أن تتغلب على مقاومة الثوار بقيادة أحمد الشريف السنوسي في معارك بمنطقة جردينة وهزمت الثوار البالغ عددهم حوالي ألف مقاتل واحتلت سلوق وقمينس دون أدنى مقاومة أو خسارة، وبعد هذه الموقعة انسحب الثوار إلى الجنوب تجاه بيضافم، وبعد هذه العمليات في مواطن قبائل العواقر وبعد استراحة قليلة للجيش بدأت أقسام جنود الجبال بمساندة قوات المشاة بالزحف يومي 15 و16 سبتمبر على معسكرات الثوار في القصور وتاكنس، وكانت المقاومة شديدة العنف وخسائر الجيش الإيطالي فادحة كبيرة من أهمها مقتل الجنرال توريللي، وفي نفس الوقت تحرك اللواء الرابع من منطقة شحات واتجه غرباً، وبعد انتصارات على الثوار احتلت قواتنا سيدي رافع الذي اتخذه أحمد الشريف مركزاً لنشر دعايته ضدنا وضريح سيدي رافع هو أحد قادة الفتح العربي في فجر الإسلام ويعتبر من التراث الإسلامي المقدس، وفي يوم 6 أكتوبر 1913 تمت بنجاح العمليات العسكرية ضد معسكر بواشمال لأهميته من ناحية العدد لأن فيه 5000 خمسة آلاف مقاتل منهم ألف من الفرسان المسلحين، واستمر تدفق الإمدادات من مختلف الأنواع أسلحة وتموينات وضباط، لاستمرار الحرب ضد المقاومة وتشيتها.

وبعد طرد الثوار من منطقة شحات بقيادة أحمد الشريف السنوسي، اتجه السيد (أحمد الشريف) في بادئ الأمر إلى وادي العرقوب ثم أرض العبيد وأخيراً إلى مسوس حيث أسس فيها القيادة العامة لجيش الثوار وفي 6 أكتوبر 1913 صدر مرسوم بتعيين الجنرال جواني اميليو والياً لبرقة، ومن هذا التاريخ إلى شهر يوليو 1914 حين بدأت الحرب العالمية الأولى، ولم يكن هناك صدام فعال وحقيقي سواء من جانب المجاهدين أو القوات الإيطالية باستثناء عمليات صغيرة متعددة انتهت باحتلال بعض المواقع الهامة لا عسكرياً فحسب

بل وسياسياً أيضاً ونتيجة لهذه الأحداث استسلمت (الحاسة) وبعض قبيلة (البراعصة) في منطقة (شحات) وكذلك بعض من قبيلة (الدرسة) في الحنية وبقيت القبائل المعادية لنا حاملة للسلاح ضدنا وهي قبيلة (المغاربة) وقبيلة (العبيد) وقبيلة (العواقير)، كما استمرت النشاطات في بعض المعسكرات كمعسكر أجدايا ومعسكر الخروبة ومعسكر مسوس. . وأحرزت قواتنا الظافرة انتصارات باهرة على الثوار أهمها في هذه الفترة التالي بيانه:

في 15 فبراير 1913م تم احتلال وادي العرقوب معقل الثوار وفي 22 فبراير كانت انتصاراتنا في معركة سيدي مهيوس وفي نفس اليوم قام البدو بهجوم مضاد في العرقوب ردت الفرقة الأريتيرية السابعة وفي يوم 24 فبراير احتلت قواتنا في شحات أسلطة، ويوم 26 منه كانت معركة أم شخنب ويوم 28 منه كانت معركة مرتفع الشليظيمة ويوم 11 مارس 1913م احتلت فرقة لانتيني منطقة الزويتينة حيث التقت الفرقة بالقوات المسلحة المتحركة من بنغازي ونزلت بالزويتينة يوم 12/3/1913 وتجمعت القوات في 16/3/1913م في الزويتينة وتحركت جميعها نحو أجدايا تتقدمها المدفعية الثقيلة، ولكن القوات واجهت مقاومة عنيفة ودفاعاً مستميتاً من الثوار فانسحبت القوات المهاجمة مرة ثانية إلى الزويتينة بعد أن نسفت المدفعية الثقيلة أجدايا حتى مسحت مبانيها من على وجه الأرض.

وفي أوائل أبريل 1913م، قررت القوات المتجمعة في الزويتينة ضرورة احتلال أجدايا، فقامت بقيادة الجنرال كانتوري ضد ألفين (2000) من الثوار وبعد معركة عنيفة ومقاومة شديدة من الثوار تم احتلال أجدايا من جديد وانسحبت قوات الثوار إلى مواقع دفاعية جديدة، وفي هذه الأثناء كانت هناك معارك واشتباكات وحوادث أخرى بين قواتنا المهاجمة ومقاومة الثوار في منطقة الجبل ومن نتائجها احتلال معسكر الخروبة أولاً ثم معسكر مراوة بالإضافة لاحتلالات صغيرة أخرى وهكذا في آخر يوليو كان القضاء النهائي على معظم معسكرات الثوار في برقة الغربية وبرقة الوسطى.

الأحداث أثناء الحرب العالمية الأولى وحتى نهاية عام 1928م

وأهم ما فيها صلح التعايش المبرم في عكرمة بعد حوالي ثلاث سنوات من الكر والفر، والصراع بين قواتنا المهاجمة وبين قوات الشوار لم تستقر خلالها الحالة الحربية والسياسية وبقيام الحرب العالمية الأولى كانت الحالة الاقتصادية تحتم علينا ضغط المصروفات العسكرية، وكانت الاستشارات تبين استحالة المضي في هذه الحرب وفي شهر يناير 1915 كانت الحرب العالمية على أشدها مما أجبرنا على إيقاف التقدم وإلغاء بعض المراكز الأمامية وقد حاولنا التقرب من الشعب الليبي والسنوسيين وساعدنا على ذلك أنه عندما هزم السيد أحمد الشريف في الجبهة الشرقية أمام القوات الإنكليزية في أواخر 1915 حيث ذهب إلى القطر الطرابلسي بسرت ومن هناك استقل غواصة ألمانية نقلته إلى (بولا) ومنها إلى القسطنطينية، ولكن قبل أن يترك السيد أحمد الشريف برقة نهائياً ألبس رداء مسؤولية الهيئة السنوسية إلى ابن أخيه إدريس الذي أصبح رئيساً لهذه الطريقة وأعطاه التعليمات اللازمة لتسيير أمور الجهاد ولكن الأخير (إدريس) حاول سياسة التقرب والتفاهم معاً وفعلاً في شهر أبريل 1917م أبرم اتفاق عكرمة بين ممثلين عن الحكومة الإيطالية والسيد محمد إدريس السنوسي وعلى ضوء هذا الاتفاق بدأت سياسة التقرب من الشعب بينما كان التقرب ضعيفاً مع السنوسيين لسيطرتهم على أعظم مشايخ القبائل غير أن هذه

السياسة، أثناء الحرب العالمية الأولى، استطعنا بها أن نقلل من الجنود والمصروفات وسهلت لنا التوسع في التقارب مع السنوسيين فنتيجة لاتفاقية التعايش المبرمة في عكرمة ساد الهدوء والتعاون دون أن تحدث أية صعوبات من كل النواحي إلى نهاية الحرب العالمية ولكن بانتصارنا في الحرب الذي كان له صدى عميق في المستعمرات، ومن سوء الحظ أن الانتصار لم يكن في صالحنا من حيث التقارب من السنوسيين رغم تلك النتائج، ففي صفر 1919م أعلنت السلطات الإيطالية الدستور للشعب الليبي وعلى أثره أسس (البرلمان) الذي لم يصل الشعب الليبي إلى تفهمه (كذا!!).

محادثات الترجمة واتفاقية بو مريم:

إن إعلان الدستور الليبي، أوجد قلقاً في أوساط السنوسيين لأنه سيكون الاعتراف الكامل أو السلطة الكاملة للدولة الإيطالية فوق هذه الأرض ولذلك عقد اجتماع لكل مشايخ القبائل وأعلموا من سلطاتنا بكل وضوح من أجل تحديد اختصاصاتنا في الحكم حتى يكون مقتصرأ على السواحل، من أجل النشاط التجاري فقط، والذي حدث أن العصيان (الجهاد) بدأ من جديد وبعث العداء لحكومة المستعمرات، ولكن بالضغوط السياسية من روما لإيجاد الحلول لهذه المشكلة الشائكة ولا بد لذلك من إعطاء ملايين من المراسيم والشهادات المشرفة للسنوسيين وبعض صلاحيات الشؤون الإدارية وهكذا انتهت اتفاقية الترجمة 1920/10/25، من أجل ضمان سيادة السلام في برقة سنين طويلة، ولكن تلاعب السنوسيين وفساد عقيدتهم، أفسد الاتفاقية منذ توقيعها، وتلخيصاً لأهم نقاط الاتفاق، الذي يتكون من عشرين مادة، وإضافة ملاحق وملحقات للاتفاق، ثم أنعم على السنوسي (إدريس) بلقب أمير وبهذا المقام جعلته السلطات الإيطالية إمارة وراثية لأولاده أو لذوي القربى حسب السن الأكبر فالأكبر وكذلك إدارة شؤون الدواخل ذاتياً وتتضمن واحات جالو وأوجله والكفرة وجغبوب ومركز إدارة هذه الواحات مدينة أجدايا التي تعتبر

عاصمة الإمارة ويعطى للأمير لقب سمو الأمير، وفي الاحتفالات الرسمية يعطى له المكان الأول بعد حاكم البلاد أو المدينة، ويطلق له سبع عشرة طلقة مدفعية عندما يشترك في الاحتفالات بصورة رسمية، وكذلك من حقه أن يستعرض حرس الشرف من الجيش الإيطالي وعندما يمر ركبته أمام الثكنات العسكرية يصطف الجنود أمام المراكز لأداء التحية العسكرية مصحوبة بثلاث نوبات من النفير أو البوق ثم ترفع الأعلام السنوسية على الزوايا التي توجد في برقة داخل المدن التي يكون الأمير موجوداً فيها، وبما أن الأمير يسافر دائماً بطريق البحر فإن السفينة التي يكون مسافراً عليها عندما تقترب من سواحل برقة ترفع العلم السنوسي على السارية الرئيسية كما هو معمول به دولياً وللأمير امتياز بأن يتجول ويقيم في كافة أنحاء المستعمرة أو في أي نقطة منها، فالحكومة الإيطالية تضع تحت تصرف الأمير أو أي فرد من أسرته الذين يسمون (بالأسياد) سفينة لائقة بمقامهم إذا أراد التجول أو السفر إلى أي جهة يرغب في السفر إليها.

إن الشعب الذي بحيازته السلاح سواء كان مقيماً أو من الرحل يترك له السلاح للدفاع عن نفسه وأمنه ومشايخ القبائل وشيوخ المشايخ منهم يعتبرون مسؤولين أمام الحكومة الإيطالية عن النظام والأمن في الأرض التي يقيم فيها بمجاميعه أو تجمعاته وبعبارة أصح، نواجهه، وعلى ذلك فالأمير دائماً يسعى لإخماد أي حركة سياسية أو مدنية أو عسكرية لأولئك العسكريين والمجندين الذين لم يكونوا تحت سيطرته أو إدارته.

إن كل ما ذكر في هذه الاتفاقية كان يجب أن يسري مفعوله خلال ثمانية أشهر من توقيعها ولقد تعهدت الحكومة الإيطالية بأن لا تستولي على أملاك المهاجرين وممتلكات الزوايا الخاصة والعامة، كما قررت الحكومة تحديد مرتبات لرؤساء القبائل في الواحات مثل الرواتب المقطوعة للمشايخ الآخرين، وهذه المرتبات تأخذ طابعاً مستديماً عندما يوافق الأمير عليها. الأمير يعطي

استشارته إذا لزم الأمر عند إنزال أية عقوبة بأي مواطن ليبي ويمكنه أن يطلب العفو في نطاق القانون ويمكن للأمير أن يختار ضابطاً من درجة عالية إيطالياً أو عربياً ليكون رئيساً لحرسه الخاص، وفي حدود إمكانيات الحكومة الإيطالية تحدد كذلك رواتب لبعض الرؤساء السنوسيين، حسب ترتيب الأمير، كما تقرر صرف صك (شيك) شهري للأمير يدفع له من المصارف (أي البنوك) لمصروفاته الخاصة وتسيير إدارته الخاصة به وبأسرته وهي كما يلي:

1 - صك شهري (شيك) بمبلغ 64000، أربعة وستون ألف فرنك إيطالي للأمير.

2 - صك شهري (شيك) بمبلغ 15000، خمسة عشر ألف فرنك إيطالي لوريثه الشرعي أو من يعينه.

3 - صك شهري (شيك) بمبلغ 10000 عشرة آلاف فرنك إيطالي لكل عضو من الأسرة السنوسية.

4 - صك شهري (شيك) بمبلغ 3000، ثلاثة آلاف فرنك إيطالي لكل أم من أمهات الأسرة السنوسية.

وعلاوة على ذلك فالحكومة الإيطالية خصصت للأمير إدريس مبلغ 2,600,000 مليونان وستمئة ألف فرنك إيطالي من ضمنها ثلاثمائة ألف ليرة إيطالية ذهبية ليواجه بها بعض المصروفات لإسكات من لا يثق فيهم ومن أجل استباب الأمن العام وتمول الحكومة الإيطالية جنوده وعددهم تحت الألف وهذا العدد قابل للزيادة بعد موافقة السلطات الإيطالية وهؤلاء الجند يعتبرون قوة تحت تصرف الأمير (إدريس) من أجل الحكم والأمن في الواحات وأخيراً يريد الأمير أن يربط الحكومة الإيطالية بأعلى التزام لتطبيق القانون الأساسي وعلى هذه النتيجة يتعهد الأمير بأن يتقبل الشعب الليبي هذا القانون ونتائجه ويحظى بالقبول من مجلس النواب ومجلس الشيوخ بحيث يمكن تطبيق النتائج

بمباديء التجارة في جميع أنحاء البلاد حتى في المناطق النائية بالدواخل وبالعكس والحكومة الإيطالية تفضل وعلى أحسن حال التبادل التجاري بطريق القوافل وعلى الأمير من ناحيته أن يتعهد بإقناع السكان بما له من تأثير معنوي ومادي على أن لا تتعرض هذه القوافل لعقبات من أي نوع أو من أي كائن كان سواء في مد الطرق أو السكك الحديدية أو الخطوط البرقية والهاتفية وهي أعمال كلها مطلوبة من أجل مصلحة البلاد وتقدمها حتى تعود عليها بالفائدة والنجاح في الميدانين التجاري والاقتصادي.

وفي شهر أغسطس 1921، جرى أول تعهد تنفيذي لاتفاقية الرجمة يثبت صكوك الرواتب التي تدفعها الحكومة الإيطالية للأعيان من الأخوان السنوسيين والزوايا. إن هذه الصكوك، وأذونات الصرف تنقسم إلى فئتين الأولى قدرها 900 تسعمائة فرنك شهري صافي، ومن ثمانية أشهر على توقيع الاتفاقية ولكن لم يقم السنوسيون إلا بواجب واحد من تعهداتهم.

إدريس عرض أنه فهم أن الاستقلال الذاتي والإدارات وكل التسهيلات التي أعطيت له من جانبنا أي من جانب الحكومة الإيطالية، اعتبرها سلطات عليا والنتيجة أنه لم يصدق ولم يقم بتعهداته، بل وبين أنه لم يرغب في تنفيذها بأي وجه من الوجوه وأخذ يتهرب بمجموعة من الأجوبة عن مسؤولية تنفيذ الاتفاقية وكان يجاوب باستعلاء على كل الدعوات المتكررة والموجهة إليه بأن سياسة الحاكم دي مرتينو والمهمة التي كلفته بها وزارة المواصلات هذه المهمة هي تنفيذ الاتفاقية التي تنص على وضع القوات العسكرية فوق الجبل الأخضر واتخاذ الموافقة اللازمة تجاه أعضاء العائلة السنوسية. . كذلك الموقف الإيطالي بعد الحرب العالمية الأولى التي خرجت منها إيطاليا منهوكة القوى، وكانت هناك تيارات يسارية ويمينية في البرلمان الإيطالي، ومن أجل هذا فالتيارات الداخلية كانت تحث على عدم إثارة أي مشاكل أو حساسيات في المستعمرات ومنع أي تحركات تؤدي لاستئناف القتال، إن الضرورة هي

التي فرضت من روما لمنع أي صدام مع الحركة السنوسية ورغبت حكومة المستعمرة أن تجد أي حلول أخرى للخروج من المأزق الذي أوجده إدريس لعدم تنفيذ اتفاقية الرجمة وكما ذكرنا سابقاً في الاتفاقية إن الأمير إدريس ليست له القدرة على تمويل أكثر من ألف جندي مسلح. . لأنه لا يتمكن من جباية أموال من الشعب الليبي إلا الزكاة بجانب ذلك فالأمير بين أنه لا يمكنه حل القوات العسكرية والسياسية خلال الثمانية أشهر المتفق عليها في منطقة الجبل الأخضر وكذلك المساعدة على تنفيذ القانون الأساسي، ولقد ذكر إدريس من جديد بأن عليه أن يحافظ على ما وقع عليه ولكنه علل بقوله إن الاتفاقية أحدثت إزعاجاً وتعكيراً في المزاج بين طبقات شعب الجبل ولذلك يجب التآني في تطبيق الاتفاق دون اللجوء إلى السرعة وعند ذلك استنبطت فكرة حل آخر وهو تجديد عقد أو اتفاق أو معاهدة أقوى وأعلى مما سبق.

اتفاق بو مريم نوفمبر 1921م:

وبواسطته، بينما نتمسك بإجبار السنوسيين على حل تنظيماتهم العسكرية الموجودة بالجبل ونقترح تكوين معسكرات مختلطة بين السنوسيين والإيطاليين وتظل هذه المعسكرات بموجب الاتفاق الجديد دائمة إلى حين أن تسود سيطرتنا - يعني الإيطاليين - على كل البلاد من أقصاها إلى أقصاها ونتمكن من استلام مقاليد الأمور جميعاً من أيدي السنوسيين دون إحداث أي خطر أو صدام يعكر جو النظام السائد، ولقد اتضح أنه بموجب الاتفاق الثاني مع السنوسيين أنهم بدأوا يتخلصون من التعهدات التي اتفق عليها في (اتفاقية الرجمة). . بحيث يطولون الحوادث التي اختلقوها دائماً وفي صالحهم، زد على ذلك أنه حدث في الشهور المتتالية اجتماعات في منطقة (سرت) بين رؤساء القبائل البرقاوية والطرابلسية، واتفق فيها على المناداة بإدريس السنوسي باسم «أمير ليبيا» وقد قبل هذه المناداة، ولكن الحوادث بدأت تتغير في ربيع وصيف عام 1922م ووقعت اعتداءات من طرف بعض المسلحين هنا وهناك

وأهمها تدمير محطة (اللاسلكي) التابعة لبعثتنا في (الزويتينة) وبعدها تعين (الكومندتور بكارى) بدلاً من (دي مورتينو) هو الذي رفع إلى روما مجموعة من الخيوط المخادعة، وكان بكارى يعتقد أنه بعدما دفع (مليونين) من الفرنكات أو ما يزيد عنهما للأمير إدريس فلم يتغير الحال ولم ينفذ إدريس السنوسى اتفاقية (الرجمة) وهي حل المعسكرات في الجبل وسحب السلاح:

ومن حسن حظنا، أن قامت الثورة الفاشيستيّة في 28 أكتوبر 1922م واستلمت حكم البلاد وقام أول وزير فاشيستي للمستعمرات وهو (فيدروونى) فدعا سريعاً إلى روما (الكومندتور بكارى) وبعده قام بالأعمال (الجنرال دي غاسبيرى) وعين بعده (الجنرال بون جوانى) أول حاكم فاشيستي للمستعمرات ومنذ هذا التاريخ، يناير 1923م، بدأ نشاط الحكم الفاشيستي في برقة.

* * *

قطع العلاقات مع السنوسيين والأعمال العسكرية المتتابة حتى نهاية 1928م

اختارت الحكومة الفاشيستي رجالاً ذا سلطة مثل الجنرال بون جواني ليحكم برقة ويجعلها تحت سيادتنا (يقصد الإيطاليين) بحيث تسود سلطتنا واعتبارنا، هذا التعيين وهذه العبارات الجافة التي كان يصرح بها الجنرال في خطابه . . جعلت السنوسية تفكر في الصراع القوي الذي سيحدث قريباً بينها وبين القوات الفاشيستي، التي أخذت في الاستعداد لخوض المعارك المقبلة وعلى ضوء هذه الاعتبارات، بدأت قوات الثوار وعلى رأسهم عمر المختار، في الاستعداد لخوض المعارك، ومواجهة أسوأ الاحتمالات وكان هذا العمل نتيجة لحل المعسكرات المختلطة بإيطاليين وليبيين وفي 6 مارس عام 1923م أعلم إدريس السنوسي محمد الرضا - القائد العام - أنه رأى من صالحه أن يؤمن على نفسه، فذهب إلى مصر بعد أن حمل معه الملايين التي جمعها ولأنه لم يستطع إقناع المجاهدين بحل معسكراتهم وتسليم سلاحهم تنفيذاً لاتفاقية (بو مريم) ولهذا فإنه من المستحيل مرة أخرى أن يسود الوثام والتفاهم مع السنوسي إدريس رغم إجاباته المضللة ولكن في 6 مارس 1923م بحركة مفاجئة من قواتنا في وقت واحد قمنا بحل المعسكرات المختلطة، وهي معسكرات الأبيار وتاكنس وسلنطة والمخيلي وكذلك المعسكر المسلح المستقل في عكرمة . .

وأكثر العساكر أسروا وبعض آخر قتلوا، وفي اليوم نفسه ألقى (صاحب السعادة) بون جواني خطاباً في افتتاح دورة الربيع (للبرلمان) البرقاوي، وضح فيه موقف السنوسيين الخسيس الغير مخلص، وكذلك إعلام الأعضاء (في البرلمان) بالمواقف والأعمال العسكرية، التي قامت بها الحكومة من إحلال للنظام واحترام للقوانين والتعهدات.

ومن هذه اللحظة وبدون إمهال ستستمر العمليات العسكرية لاسترجاع مراكزنا، مكبدين العدو (يعني المجاهدين) خسائر فادحة دافعين به حتى الدواخل في الأماكن النائية حتى الواحات البعيدة، وهكذا في 21 أبريل 1923م وهي ذكرى مولد مدينة روما، دخلت قواتنا المنتصرة مدينة أجدايا عاصمة الأمير إدريس وقلعة السنوسيين الحصينة وفي يوم 24 من نفس الشهر أعلن صاحب السعادة الوالي بون جواني بخطاب مهيب سقوط كل المعاهدات والاتفاقيات المبرمة بين إيطاليا والأخوان السنوسيين من معاهدة الزويتينة إلى اتفاق التعايش بعكرمة إلى معاهدة الرجمة وبو مريم. . وكذلك معها كل الامتيازات والإنعامات الممنوحة لأعضاء الأسرة السنوسية. وباحتلال أجدايا استمرت الأعمال العسكرية في جنوب بنغازي وأحياناً تكون مقرونة بهزائم موجعة ومفجعة مثل هزيمة بئر بلال ومرسى البريقة وتفاجر الليبيون بهذه الانتصارات وقاموا بتوسيع معسكراتهم للمعارك القادمة.

وفي خريف 1923م انتقلت حركة القتال إلى الجبل الأخضر، وهنا ظهر عمر المختار على ميدان القتال وكثر أتباعه من الذين كانوا تحت سيطرتنا.

الأعمال العسكرية أثناء عامي 1924 - 1925م:

كما شرحنا سابقاً عن السنوسيين ورؤساء الثوار تأكد عندنا في جنوب بنغازي وفي سرت أنهم قد اختاروا معسكراً أسموه (فوق الجبل) لأعمالهم العسكرية أي جبل العواقر والجبل الأوسط الذي يصعب الوصول إليه لتنفيذ عملياتنا العسكرية ومراقبة حركة الثوار والجماهير على حد سواء.

هؤلاء الثوار، كونوا دورين (معسكرين) قويين ومنهما تنطلق الدوريات (القاراقولات) ومهمتها الإغارة على مراكزنا والاطلاع على حركاتنا العسكرية وكذلك الضغط على القبائل الخاضعة لحكمنا لكي تنضم إليهم.

في السابق كانت قواتنا ضعيفة لم تستطع أن تفرض سيادتها على الأرض فتحركت قوات الثوار طليقة اليد.. تتصرف في صفوف الشعب وتسحبه إلى جانبها رغم إخلاص البعض منهم إلى حكومتنا - يعني الحكومة الإيطالية - وبعد أن وصلت القوات المكونة من (الفرقة الثالثة) و(الحادية عشرة) من الأريتريين وفرقة (ساردا) الإيطالية من طرابلس بدأ التحرك التمهيدي للعمليات العسكرية ضد دور العبيد والبراعة..

وفي أوائل مارس 1924م كانت الحالة في الجبل كالآتي:

أ - دور العبيد:

هذا الدور قوي ويتكون من ثمانمائة مقاتل ومخيماتهم تقع قرب (بوقال) تحيط بها غابات كثيفة في (أم الجوابي) والمسلحون بها يمتلكون ألف وخمسمائة (1500) بندقية.

ب - دور البراعة:

يقع بقرب (جردس جراري) ويتكون من (450) أربعمائة وخمسين مسلحاً ينضم إليهم (600) ستمائة آخرون مخصصون للدفاع عن المخيمات (أو النجوع) باعتبارهم مسالمين ولكنهم ينضمون عند الحاجة إلى الثوار كمدد (للدور) عند الهجوم عليهم من قبل قواتنا العسكرية (يعني القوات الإيطالية).

ج - فصيلة الحاسة:

هذه الفصيلة تتكون من (150) مائة وخمسين مقاتلاً بقرب (مراوة).

د - دورية مستقلة (درسة):

هذه الدورية تتكون من (150) مقاتلاً في أرض (المرج).

هـ - دور العواقير:

هذا الدور مركزه في منطقة الشفعة ولم يعرف عدده بالضبط فهو أكبر الأدوار المقاتلة . . وحدوده من (الحمدة) شرقاً إلى سيدي سلطان غرباً.

كل هذه التنظيمات من وضع عمر المختار الذي يعتبر محيي ومرتب الثورة، ضد حركتنا وقواتنا، مع قوة الشعب وعددها ثلاثة آلاف (3000) مقاتل أعدها لمقاومتنا.

ولكن الانتصارات القليلة، ضد دور العبيد أولاً ثم (دور البراعصة) وأخيراً ضد (دور العواقير) جدد إنهاض الروح المعنوية تجاه الحكومة والشعب على السواء.

وأثناء حكم (الجنرال مومبيلي) الذي خلف (الجنرال بون جواني)، في حكم المستعمرة، واصل تنفيذ خطة سابقة فأحرز تقدماً طفيفاً على طول الخط، وواصل المناورات مع حامية (جردس جراري) و(خولان) وعلى منوال العمليات ضد (البراعصة) و(الحاسة) والأدوار الأخرى برزت قواتنا فجأة في المناطق البعيدة مثل (السروال) و(الشفعة) ودمرت كل المعسكرات هناك واستحوذت على عدد كبير من المواشي والأغنام وأثر ذلك في الحقيقة تأثيراً كبيراً على المستعمرة كلها، فالشعوب بدأت تفهم، إلى أي دمار تتجه وما هي العاقبة التي تعود عليهم من الاستمرار في الثورة، وكذلك السلطات الإيطالية بدأ الخوف يتسرب إليها من ناحية الثوار ولا شك بعد هذه الحوادث لا بد لهم من الانتقام سواء من الثوار، أو من الذين يدعون أنهم مسالمون لأن أكثرهم لا يرغب أبداً في التفاهم مع السلطات الإيطالية، لأنهم يعتبرون أنفسهم جميعاً ثواراً.

أحداث سنة 1926م:

تميزت سنة 1926م ببعض العمليات الحربية فوق الجبل الأخضر ومن أعظم العمليات احتلال واحة الجغبوب، التي اعترف بتبعيةها في الاتفاقية

المبرمة سنة 1920م بين إيطاليا وإنكلترا ولكن تدخل الحكومة المصرية، أجل احتلال الجغبوب في سنة 1926م حيث تم الاتفاق مع الحكومة المصرية، بدأت قواتنا تستعد لاحتلالها واقترح أن يكون ذلك على ثلاث مراحل متتالية بعد استكمال التجهيزات اللازمة من الماء والمأكولات والمعدات وبعدها تتحرك قواتنا بكاملها من (البردية) و(أمساعد) وفي نفس الوقت يجب أن نضع خطة شبه هجومية في منطقة الجغبوب ولذلك يجب وضع أربع كتائب متحركة، تراقب حركة الثوار وجعلها تحت الرقابة المستديرة بحيث يمكن لهذه الكتائب أن تلتحم مع الثوار في أي لحظة، الأمر الذي جعل عمر المختار لا يقطع أي جزء من قواته لإرسالها إلى الجغبوب بل جعل كل قواته مهيئة للدفاع عن مراكزها نظراً لتحرك كتائبنا وتهديداتها لأدوار (البراعة)، و(الحاسة) و(العبيد).

احتلال الجغبوب:

في منتصف الليل من يوم 30 يناير 1926م بدون تأخير ومن غير حوادث تحركت حملتنا بقيادة الكولونيل (رونكتي) من أمساعد وتتكون الحملة من 91 ضابطاً و731 جندياً وطنياً - يعني جندياً إيطالياً - و1646 عسكرياً أريترياً وصومالياً ومحلياً من هذا العدد تكونت الفرقتان التاسعة والعاشرة الأريتريّة و36 مدرعة آلية، اثنتان منهما هجومية و205 ناقلة جنود ميكانيكية و115 دابة من إبل وخيل وبغال و4 مدافع جبلية نوع 15 و60 مدفعاً رشاشاً.

هذه القوة تهيأت من أجل احتلال الجغبوب لما لهذه الواحة من أهمية كبرى، لأنها نقطة تجمع سياسي واقتصادي . . وعن طريق هذه الواحة، تصل الإمدادات إلى الثوار وكذلك التجارة مع القطر المصري . . فكان احتلالها ضرورياً لكي نقطع هذه الإمدادات ويمكننا التغلب على الثوار وفعلاً تم احتلال الجغبوب يوم 16 فبراير 1926م حيث لم تجد قواتنا مقاومة عنيفة، فقد سلم سكان الواحة ورفع العلم الإيطالي على (زاوية الجغبوب) وقامت قواتنا بتطهير المنطقة فأرسلت الدوريات المسلحة للتفتيش عن الأسلحة ونزعها.

الفصل الثاني:

غُصْن الزَّيْتُون

العمليات العسكرية، في طرابلس على خط العرض 29 التي جرت في الثلاثة أشهر الأولى من سنة 1928م، نتج عنها احتلال (النوفلية) و(بوانجيم) و(سوكنة) و(هون) و(زلة) وبالمعركة النهائية في (بيرتا قرفت) 25 فبراير 1928م ثم بعدها احتلال (سرت) و(الجفرة) و(بالتالي) في منطقة القبلة (كرمة بوجره) في 12 يوليو 1928م وبعدها في (بير العافية) 28/10/1928م التي وصلت فيها حالة البؤس إلى ذروتها وانكسرت كل المجهودات التي بذلها رؤساء الثوار في إقناع القبائل الرحل (مشاشة) و(أولاد بوسيف) و(المغاربة) لكي ينقلبوا على السلطات الإيطالية وينضموا للثوار، ولكن انتصاراتنا واحتلالنا (للجفرة) جعل هؤلاء الرحل يترددون في الانضمام للثوار. بعد احتلالها لواحة (قرياط) 15/7/1928م اللاحقة لانتصاراتنا في (أبو جرة) أصبحت رقابتنا لتلك المنطقة وفي قلب القبلة تامة، ولكن الحالة لا زالت دقيقة تتطلب منا عيناً يقظة وإنما القصة قصة نزع السلاح من القبائل الرحل تلك القصة التي أتعبت الولاة السابقين (فولبي) و(دي بونو) يقول غراسياني، حاولت إنهاءها بالهجوم على (قرياط) و(الطابونية) في صيف 1925م والتي نجحت من ناحية وأخفقت من ناحية أخرى بسبب تخوف القيادة الإيطالية من هذه المنطقة المجهولة لذلك كان حقيقياً وموضع شك في نفس الوقت أن الليبيين الرحل لا يسلمون السلاح

بإشارة من الحكومة الإيطالية لاعتزازهم به واعتبارهم له مصدر قوتهم . . لهذا يفضلون الثورة ويتوغلون في الصحراء ويموتون هناك في فزان وغيرها دون أن يسلموا أسلحتهم بل يعتبرون أنفسهم أصحاب القضية الوطنية دون غيرهم .

ويقول غراسياني، كان هذا الموقف عسيراً بالنسبة لنا لأنه يمنعنا من الاستقرار في الأراضي الشمالية وكان كذلك متعباً لو استعملنا القوة، فلا نستطيع أن نسيطر على تلك الصحراء الشاسعة، وهي (الحمادة) التي قمت باجتيازها عندما بدأت في ارتقاء أول عقبة الجبل 1922م وأمام هذه المشكلة الصعبة التي تجرنا إلى النزول في ميدان فزان، بحيث يمكننا أن نضمن خلفيتنا ونطمئن على ظهرنا .

كل الحوادث والانقلابات التي حدثت في سنة 1915م، كانت صعبة وثقيلة جداً بالنسبة لنا لأنه في ذلك الوقت كان يطلب منا أن نتحرك بكل دقة وبخطوات وئيدة جداً بحيث يمكن في الوقت المناسب أن نوجه ضربتنا الأكيدة . إن الحالة العسكرية والسياسية في طرابلس، هي عند نقطة التوقف يجب أن نخرج منها بشجاعة لنبدأ في التحرك وأن مشكلة المعركة كانت تتطلب الأعمال الآتية :

- 1 - نزع السلاح من القبلي (الجنوب) .
- 2 - احتلال فزان من جديد .
- 3 - أما في برقة فعمليات خط العرض 29 لاحتلال واحات (العقيلة) و(أوجلة) و(مرادة) و(جالو) ونزع السلاح من يد المغاربة .

هذا العمل أعطانا ملكية ومراقبة ما وراء أراضي سرت وتبقى مشكلة الجبل التي يوجد بها عمر المختار ورغم الضغوط التي تعرض لها في عمليات سنة 1927م وسنة 1928م فما زال قائماً بسلاحه في وجهنا وهذا يتطلب منا احتلال واحة الكفرة .

تعيين الفريق بادوليو، حاكماً عاماً على طرابلس وبرقة:

في شهر يناير 1929م تعين صاحب السعادة (دي بونو) وزيراً للمستعمرات وكذلك تعين (الفريق بادوليو) حاكماً عاماً لحكومة طرابلس وبرقة وفي تصريحه للقوات العسكرية قال إن جمع الحكومتين في طرابلس وبرقة في حكومة واحدة، اقتضته عمليات خط العرض 29 لحل مشكلة الحرب بالقيادة الواحدة نتمكن من حماية مضمونة وملموسة لتحقيق أغراضنا وهي أن تكون النتائج في صالحنا.

البيان السلمي للفريق بادوليو - على حد تعبيره:

بمجرد ما وصل المارشال أو الفريق بادوليو إلى طرابلس ألقى بياناً هاماً للمستعمرين في طرابلس وبرقة بين فيه السلم وسخاء الدولة الإيطالية بحيث تعفو عن المهاجرين والمشردين خارج البلاد على أن يخضعوا للحكومة الإيطالية ويسلموا أسلحتهم والدولة تضمن لهم الحياة والعمل.

وقال إذا كانت كلمة السلام لم تقبل أو لم تحتضن فستكون بعدها حرب من غير قاعدة، لا هوادة فيها، حتى نقضي القضاء المبرم على كل الثوار، وقال: لأجل أن يسود السلام في المستعمرات يجب قبل كل شيء احتلال البلاد احتلالاً كاملاً، وبجانب كلمة السلام هناك القوات والسلاح جاهزة لتنزل إلى الميدان مهما كان الأمر، وطبع هذا البيان في منشورات وألقيت من الطائرات في كل مكان من القطرين الطرابلسي والبرقاوي ..

حوادث تتابعت في طرابلس من أثر بيان السلام

في القطر الطرابلسي تحرك «أحمد سيف النصر» في منطقة فزان البعيدة . . وفي الناحية الجنوبية بالذات . و«محمد بن الحاج حسن المشاعش» كان موظفاً في إدارتنا هناك، ثم تحول ثائراً في سنة 1926 . . وكانت خطتهم تخريب وتهديم الحالة في الجنوب وهي التأثير على الليبيين الرحل الخاضعين لنا على أن يشوروا ضدنا لأجل أن يشجعوا حركة الهجوم في منطقة الجبل، حتى ترغم الحكومة الإيطالية على اتخاذ طريق التفاوض السياسي القديم . وأيد هذه الحركة الأعيان الخاضعون للحكومة الإيطالية الذين يمسكون بالخيط المظلمة المستعملة في السياسة القديمة معتقدين بأنه يمكنهم تغيير السخاء بالضعف من أجل بث عراقيلهم في طريق السلام . . ولكن في القبلة والجنوب، وفي الحمادة والشويرف أثناء ربيع سنة 1929 حيث هزمت قواتنا المسلحة رؤساء القبائل وأتباعهم بقيادتي «الجنرال غرازياني» ومساعدة ضباط من الدرجات العليا منهم «الكولونيل جيلياردي» ويساعده «الكولونيل مارا ماركو وغللياني وأماتو وفيراري أرسبي» . . وكلهم من الرجال المسؤولين والمشهورين في حروب المستعمرات وجنوداً قد هزموا عدة مرات في فزان .

غير أن القوة عندما تحل محل الطيبة والسخاء اللذين لم يجدا آذاناً صاغية، وقد استطاعت هذه القوة تشتيت شمل الثوار أينما حلوا . وبهذه

الانتصارات أصبحنا نسيطر سيطرة تامة على الشويرف، والحمادة الحمراء التي كانت معقل الرجل المخيف، وقصور عزتهم. ونقطة أخرى مهمة هي نزع السلاح من كل الثوار «المحاصرين» في تلك المنطقة البعيدة.

وهؤلاء الثوار كانوا أثناء المعارك يبينون لنا أنهم معنا، ولكنهم لم ينزلوا أبداً إلى ميدان القتال بجانبنا، بل دائماً كما دلت الأخبار يساعدون الثوار بالموءن والمال. . ولم يكن هناك وقت مناسب لنزع السلاح الذي صرح به «المارشال بادوليو» في بيانه التاريخي، وقمت شخصياً «الجنرال غرازياني» . . بتطويق هذه المناطق النائية وإجبارها - بعد معارك عنيفة - على الاستسلام، وتسليم سلاح سكان المناطق المذكورة حيث تحملوا الصدمة دون أن يبدو أي رد فعل! ولذلك فإن جماعة الزنتان أتباع «أحمد البدوي» الذين كانوا دائماً ومنذ وقت بعيد متشككين، اقتنعوا وبعثوا مندوبين عنهم إلى طرابلس لتقديم الطاعة والاستسلام للسلطات الإيطالية.

ومن أثر هذه الانتصارات في القبله «الجنوب» انفتح أمامنا الطريق إلى فزان الذي جرى على الفور احتلاله من شهر نوفمبر سنة 1929 إلى فبراير سنة 1930، وكانت النهاية أن ارتفع العلم الإيطالي على مرزق بحضور «المارشال بادوليو» الذي وصل إليها على متن طائرة خاصة.

الأحداث في برقة:

خصص صاحب السعادة «المارشال بادوليو» لبرقة أحجار الزوايا التالية: «القواعد» أو «الأهداف»:

1 - إضعاف الثوار - المجاهدين - إما بالخضوع التام بلا قيد ولا شرط، أو بالضغط المسلح لإرغامهم على الاستسلام.

2 - يعلق «يوقف» إلى حين توزيع الأراضي الزراعية على المعمرين المستوطنين، نظراً للأحداث الخطيرة والهجوم المتواصل من الثوار على

المدن والقرى . . فيجب أن تقتصر مهمتنا الآن على جماعة المعمرين والأراضي المسلمة لهم . . وكذلك يجب أن يستمر النشاط المعماري : إنهاء ميناء بنغازي ومد الطرق ، وبذلك يمكننا أن نكرس جهودنا لإنجاز المهمة من أجل التقدم والازدهار للمستعمرات . أما بالنسبة لطرق الجبل فيجب أن نقتصد في كل القطاعات العسكرية ، والمدنية من أجل إتمام هذا المشروع الحيوي المهم .

3 - إن فشل العمل من أجل السلام التي لو نجحت . . لكان الأثر الكبير في تقدم وإتمام مشاريعها الحيوية .

4 - إن بيان سعادة المارشال «بادوليو» كان له الصدى الكبير في الأوساط العالمية ، وبالأخص في الأوساط الشعبية الليبية ، وفي صفوف الشوارب . الأمر الذي جعل «حسن الرضا» و«عمر المختار» ورؤساء الثورة يفكرون في التقرب إلى سلطاتنا من أجل التفاوض لاستتاب الأمن والسلام نظراً لأحداث 27 - 1928 التي أثرت على معنويات السنوسيين من حيث العقيدة والنفوذ ، الذي بدأ يتزعزع من أثر الضربات التي وجهت إليهم من قواتنا المسلحة . وهذا التغيير - كان نتيجة رسالة موقعة من الرئيسين «عمر المختار» و«الحسن الرضا السنوسي» يطلبان فيها المفاوضات شريطة إطلاق سراح «الرضا السنوسي» الموجود في المنفى بجزيرة «أوستيكا» بإيطاليا لأنه هو الوكيل الرسمي للأمير . . وفعلاً في يوم 21 / 3 / 1929 نزل من السفينة في ميناء بنغازي «الرضا السنوسي» بأمر من الوزارة . . وأعتقد أن هذا الأمر نتيجة الرسالة المذكورة التي وصلت نائب الوالي «سشلياني» موقعة من «الحسن الرضا» و«عمر المختار» وهذا نصها :

«بسم الله الرحمن الرحيم . . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . . من عبد الله والعزة لله محمد الحسن الرضا السنوسي إلى صاحب السعادة المحترم حاكم طرابلس وبنغازي . . تحية وسلاماً . .

لقد تكرر من أحد ضباط الحكومة طلب إحلال السلام في البلاد، هذا الأمر لا يمكن من غير حضور «صاحب السيادة السيد محمد الرضا». أما إذا حضر السيد الرضا يمكن أن تتحقق الطمأنينة للجميع. . والله يشملنا بعطفه.

حرر في 9 شوال 1347 هـ - الموافق في 15 مارس 1929 م.

المفتش العام	نائب الوكيل العام
طابع حسن الرضا	عمر المختار

بعد هذه الرسالة التي لم تكن هي السبب في إرجاع السيد الرضا إلى برقة، وإنما إرجاعه كان لأغراض أخرى. وهي أن يستغل في نشر البيانات ويتمكن من التأثير على الثوار «المجاهدين» . .

ولكن في هذه الأثناء بدأ الهجوم في أكثر من مكان. وهو عبارة عن التحامات صغيرة مع بعض الثوار المسلحين، وهي غير رسمية ونتيجة عن أناس غير مسؤولين، وأذكر هنا لأثبت ما يقوم به هؤلاء من سلب ونهب لأموال وحيوانات المسالمين الذين شعروا بأنهم بين الحكومة وبين هؤلاء المعتدين، فبدأوا يبذلون كل جهد في الضغط على هؤلاء حتى يخضعوا للسلطات الإيطالية مثلهم. وإن أهم هذه الاعتداءات في عدة مناطق من الجبل هي كالآتي:

في 4 فبراير 1929 أغارت مجموعة من الغزاة - يعني المجاهدين - ونهبوا 36 رأساً من البقر الخاصة بالوطنيين من المدرسة شلماني على بعد اثنين كيلومتر إلى الجنوب من «طلمية» .

وفي 13 منه قريباً من «عكرمة» بقليل من الكيلومترات هوجمت قافلة من

خمس سيارات فورد من مجموعة من الثوار حيث أمطروها بوابل من الرصاص ونهبوا ما فيها. . وفي 17 فبراير من نفس السنة قامت مجموعة من الثوار، وعددهم يقارب الخمسين بغارة على منطقة «أبعاطفة» بسلوق بعد تبادل إطلاق النار مع أتباعنا من الضبطية استطاعوا أن ينهبوا ثلاثين رأساً من الإبل وزادوا عليها عدد (200) مائتي رأس أخرى من الإبل من منطقة «صيدة شبان»، واستحوذوا على هذه الغنيمة أثناء انسحابهم إلى الجبل.

وفي 20 فبراير 1929 نهب ثلاثون من الثوار أحد عشر ثوراً وخمسين (50) رأساً من الغنم في وادي «جرجارامه» بشحات.

وفي 1929/2/22 في (عكرمة) نهبوا مائة وستين (160) رأساً من الغنم ملك أحد المستوطنين الطليان.

وفي 1929/3/24، بغابة «بوزردون» شمال شرقي المرج نهبوا ثمانين (80) رأساً من الغنم لشعب الطرش. وفي يوم 1929/3/5 جنوب «هوى الزردة» هاجم أربعة من الغزاة المنطقة واستولوا على عشرين (20) جملًا. ويوم 17 من نفس الشهر بقرب «صبرة العوشزي» بالقبة قام بالهجوم عشرون من الغزاة واستولوا على مائة رأس من الغنم. . وفي يوم 1929/3/20 حوالي 250 من الغزاة المسلحين حاولوا الاستيلاء على خمسة آلاف (5000) رأس من الغنم في «غوط قرناة» ولكنهم اصطدموا بقواتنا، وبعد قتال عنيف انتهى بهزيمة الثوار تاركين 35 قتيلًا في ميدان المعركة وعدداً كبيراً من الجرحى. . وكذلك قطعان الغنم التي استولوا عليها.

وفي نفس اليوم بقرب «القيقب» حوالي مائة منهم، استولوا على مجموعة من الحيوانات. وفي 1929/3/25 مجموعة أخرى عددها أربعون هاجمت «سهل الفتايح» بدرنة واستولت على قطيع من البقر لأحد الإيطاليين اسمه «جيانفو رتشيكي»، ويوم 1929/4/4 حصل اصطدام مسلح بين بعض الثوار ودورياتنا الحربية على بعد بضع كيلومترات من «سفيري» واصطدام آخر

بمرسى اللك «البردية» بين الثوار وقوة من الضبطية التابعة لنا. وكذلك يوم 13 أبريل في منطقة «القيقب». ويوم 4/26 حصل لقاء مع قوات الجيش الإيطالي المسلح ببعض العصاة المسلحين في منطقة «سقيفة ضو» بعكرمة ويوم 12 مايو 1929 حدث صدام بين قواتنا المسلحة وبعض الثوار في منطقة «علوة الجيتاليا» بالقبة. ويوم 24 مايو 1929 حدث اشتباك مسلح بين قوة البوليس وبعض الثوار في «العويلية» بالمرج.

هذه الغارات وهذه الاشتباكات المسلحة، اعتبرت لدى سلطاتنا حركات صغيرة، أفلتت من تحت رقابتنا المشددة. . وفي الوقت نفسه لن تؤثر على الاتصالات الجارية بين قيادة الثوار والأعيان. غير أن هذا التقارب ليس له الصبغة الرسمية مع الحكومة، وتعتبره تقارب وجهتي نظر بين الثوار «المجاهدين» وبين الأهالي «السكان» المحليين. وبمجرد وصول محمد الرضا إلى المستعمرة، اجتمع بابنه الحسن وأقطاب الأعيان الراغبين في الصلح. وقد أصدر محمد الرضا بياناً شديداً اللهجة إلى أدوار الحاسة والعيادات قرر فيه أنه سيتحمل مسؤولية كل من يثير أي اضطراب أو أي حركة تهدد الأمن والطمأنينة في المنطقة، وهذا دليل على أن الحسن ووالده يرغبان في الخضوع والانقياد للحكومة.

لقد كان البيان موضوع اهتمام في الأوساط المحلية، وبالأخص في «مدينة درنة»، حيث ابتهجت به ابتهاجاً كبيراً، الأمر الذي جعل نائب الوالي (الكولونيل سيشلياني) يوجه الأوامر السياسية إلى المتصرفين ألا يتركوا أي تشكك يتسرب إلى سلطتنا واعتبارنا التام وهذه الأوامر كالاتي:

1 - أي اتصالات مباشرة أو غير مباشرة بين الثوار «المجاهدين» وبين الخاضعين لسلطاتنا يثبت أنه خضوع لسلطاتنا من جانب الثوار «المجاهدين» ويجب ألا نعتبر هذه الاتصالات مفاوضة بيننا وبينهم، وهذه الأعمال يمكن أن يقوم بها الرضا شخصياً ولصالحه، لأنه في حالة

جيدة. ويمكنه كذلك أن يستغل ما جاء في بيان «المارشال بادوليو»، لينصح أتباعه بتسليم أسلحتهم ويخضعوا لسلطاتنا دون تحفظ.

2 - على المتصرفين أن يتشددوا بحرارة في تصرفاتهم ومخابراتهم، لأن الظرف دقيق ولا يجب أن نواجه حوادث لم نكن نتوقعها.

3 - من أجل قانونية الحوادث وتبسيطها يؤخذ الاحتياط في الوقت المناسب بما يلزم عمله قولاً وفعلاً.

وفي هذه الأثناء أفاد متصرف درنة (وجيه) العبيدات بأنه فهم من المحادثات مع رؤساء الثوار أنهم يطلبون التالي:

1 - الاعتراف بالسنوسية وطريقتها الدينية مع الرواتب لأعضاء الأسرة السنوسية.

2 - الاعتراف واحترام الممتلكات في أوقاف الزوايا المذكورة ورفع مرتبات القائممقامات بالزوايا ومشايخ القبائل.

3 - الاعتراف وتمليك خاص لأفراد العائلة السنوسية لكل الأراضي المحيطة بالجغبوب والكفرة.

4 - الاعتراف بأن أحمد الشريف وإدريس هما رئيسا وشيخا الطريقة السنوسية.

5 - إعفاء أملاك الزوايا والعائلة السنوسية من دفع الضرائب. ومقابل هذه النقاط يتقبل المجاهدون بالشروط التالية:

1 - تسليم نصف السلاح الموجود لدى المجاهدين، وتدفع إيطاليا مبلغ ألف فرنك مقابل كل بندقية طراز 91 إيطالية الصنع تسلم إلى هيئة الحجز.

2 - يظل المسلحون مجندين لإيطاليا وتحت إدارتها لفترة يعتبر مداها

فيما بعد ويوضعون في منطقة تختارها (السلطات الإيطالية) لتكون صالحة لتموينهم، ومراقبتهم.

3 - إبعادهم فوراً عن أدوار السنوسيين وإدخالهم في الأماكن المأهولة بالسكان وتخصيص مرتبات شهرية لكل منهم.

4 - تسهيل الأمور ببعثة من «الوجهاء» مكلفة بالاتصال بالمهاجرين في الخارج وإقناعهم بالرجوع إلى وطنهم في برقة أو غيرها.

هذه المطالب المقدمة من الثوار لم تكن مقدمة من جهة مسؤولة، وإنما منقولة عن طريق أمثالها في الأدوار. وبهذا يلزم التحقق جيداً من الغرض وما يعتزم عمر المختار عمله تجاه هذا الموضوع حتى لا نقع بسهولة في أخطاء قد تجلب علينا سوء تفاهم وقلقل في المنطقة.

إن فكر رئيس المجاهدين منحصر في جباية الضرائب والزكاة من السكان المحليين، ولقد بين بصراحة أثناء محادثاته مع أحد المتصرفين في (قويطرات) منطقة بالقرب من القيقب، في الأسبوعين الأخيرين من شهر مايو في «نجع العبيدات» مع علي العبيدي.

وكان يحيط برئيس الثوار (عمر المختار) مساعده العسكريون وهم:

- 1 - الحسن الرضا.
- 2 - الفضيل أبو عمر.
- 3 - عبد الحميد العبار «ما زال على قيد الحياة».
- 4 - حمد العماري.
- 5 - ضباط آخرون صغار وجنود يصل عددهم إلى مائة وخمسين (150) جندياً وفارساً.

إن عمر المختار بين لأحد المتصرفين أنه مستعد بأن يحضر إلى «نجع

علي العبيدي» على أمل أن يلتقي ببعض المسؤولين منتهزاً فرصة وجوده حتى يمكن الوصول إلى اتفاق نهائي .

وموظفنا وفق بسرعة في تنظيم اللقاء، حيث يتبادل فيه وجهات النظر اعتماداً على بيان (المارشال بادوليو) السلمي . وعمر المختار أجاب باستعداده لهذا اللقاء شريطة أن تكون هناك حماية للاعتبارات السنوسية . . وحاول أن يجعل اللائمة على الحكومة لأنها لم تف بتعهداتها المبرمة (بالرجمة) وفي النهاية إن السنوسية أخذت موقف العداء وهذا إطاعة لأوامر الله ورسوله .

لم يكن صعباً على موظفنا النبيلة أن يوضح أن قاعدة القرآن أن الحرب التي قامت، وتقوم بها السنوسية ما هي إلا «حرب ثوار» ولمصالحهم الشخصية، وليست حروباً مقدسة، وأتم مبيناً لزوم الوصول إلى الأمن والطمأنينة من أجل إنقاذ الشعب الليبي من السقوط في هاوية الضياع والفساد . . وقد جاوب عمر المختار موظفنا بوقاحة بأنه لا يهمله أكان الليبيون الخاضعون لسلطاننا يتعذبون أو يموتون كلية فالمهم أن تكون السنوسية في حفظ وأمان . هذه الجملة الحزينة التي فاه بها سريعاً التقطها المشايخ : عبد القادر بوبريدان، السيفاط بوفروة البرعصي، الذين تبهوه أنه ليس من حقه أمام الله أن يحكم بهلاك الشعب الليبي عامة، والشعب البرقاوي بصفة خاصة . لأنه لا يستطيع أن ينتصر على الحكومة الإيطالية إلا إذا أعلن الجهاد بنص القرآن في الحرب المقدسة .

وبين عمر المختار أنه مشمئز من هذه المحادثة، ومن هذه الدروع التي رفعت في وجهه من ثلاثة رؤساء كبار خاضعين للحكومة الإيطالية، وأعلن في نهاية الجلسة والمحادثة بأنه ملزم بالذهاب إلى معسكره لأن ذلك اليوم ابتداء العيد، ثم التفت إلى متصرفنا قائلاً :

« . . اليوم شفنا بعضنا وجهاً لوجه وتصافحنا والتقت أيدينا مع بعضها وأكلنا عيش وملح مع بعضنا في يوم الموسم . . يوم عرفات . . يوم يقف

المسلمون هناك طالبين من الله المغفرة والرضوان وسعادة العالم الإسلامي .

وحيث أنني أريد مواصلة الحديث معك من جديد، فأرجو أن تحدد لي يوماً بعد العيد مباشرة نلتقي فيه .

موظفنا قدم له التهاني بالعيد ودعيا الله أن يعيده لصالح الجميع . وعمر المختار رغم كبر سنه، وانحناء ظهره لكنه يحتفظ بنظرته القوية الثاقبة التي تدل على أنه رجل يعرف كيف يحكم ومتعود على الحكم .

حسن الرضا شاب لم يبلغ بعد سن السابعة عشرة (17 عاماً) . . جالس دائماً بجانب الإخوة فالكل ينظر إليه دائماً بعين الإجلال والإكبار، والزعيم يحنو عليه مثل الطير الذي يظل ولده بجناحيه .

وفي المحادثة السابقة، مع المتصرف لم يبد أي كلمة وكذلك كل الإخوان إلا الفضيل أبو عمر الذي يبدو أكثر الجميع رغبة في العفو والسلم . .

إن أكثر الأعيان المرافقين لمتصرفنا كانوا متفائلين ولكنهم أشاروا على الحكومة أن تتخذ احتياطات أوسع وبالأخص في حالة الرجوع إلى أحد الحلول الفورية وهكذا أخذت الاتصالات مع رئيس الثوار لكي لا تنقطع وحتى لا نعطي الجماهير أي إحساس بأن هناك أي تغيير في خططنا .

وفعلاً في يوم 16 / 5 / 1929 نفس متصرف الحكومة الإيطالية قام بمحادثات جديدة معلنة وخصوصية مع عمر المختار بغرب «قلعة القيقب» لغرض تحقيق طريقة التسليم على ضوء البيان الذي ألقاه «المارشال بادوليو» والذي يهدف إلى :

1 - الحكومة الإيطالية تعتبر أحمد الشريف، إدريس، صفى الدين والأعضاء الآخرين من الأسرة السنوسية مواطنين مهاجرين في الخارج وتعطي لهم رخصة العودة مثل الآخرين إلى البلاد مع التنبيه إلى السلطات الحاكمة - عند رجوع هؤلاء - .وبعده أن يعاملوا معاملة حسنة تتناسب ومقاماتهم متساوية، مثل التي أجريت مع السيد الرضا .

2 - ممتلكات الزوايا تستمر باعتبارها أملاك أوقاف الزوايا مثلما كانت في السابق مع تجديد دفع مرتبات مشايخ الزوايا.

3 - الحكومة تملك الاعتراف بأملاك السنوسيين الخصوصية التي جرى فيها التحقيق، وأصبحت من ممتلكاتهم الخاصة.

4 - يمنح الإعفاء من كل الضرائب لممتلكات الزوايا والعائلة السنوسية.

5 - الثوار ملزمون بتسليم نصف الأسلحة التي في حيازتهم مقابل مبلغ قدره ألف فرنك لكل بندقية من طراز 91 إيطالية.. أما النصف الآخر من المسلحين فينضمون إلى قواتنا وتقوم الحكومة بإدارتهم ومصروفاتهم الخاصة تعيينها فيما بعد، وكذلك يتجمعون في معسكر لائق تحت رعايتنا ومراقبتنا.

6 - الإبعاد الفوري من الأدوار لكل الإخوان السنوسيين الذين تدفع لهم الحكومة رواتبهم الشهرية المناسبة لمقامهم.

عمر المختار بعد ما سمع بكل انتباه ما تقرر بأنه مساو للحسن الرضا ممثل السنوسي الكبير في الجبل الأخضر وبأنه مواطن «إيطالي» أجاب «بأن المسألة التي تهمني أكثر هي الخاصة بشؤون المسلحين»، فأكد له المتصرف لزوم تسليم نصف السلاح بسرعة بينما النصف الآخر يبقى مجنداً تحت إدارتنا الحكومية.. فأجاب الرئيس الشيخ: «إذا أريد أن يسود السلام في ربوع البلاد من السلوم إلى سرت لازم تبقى كل أدوار المجاهدين تحت قيادة الحسن الرضا ويضيف أخيراً: «إن هذا القائد والمسلحين يخضعون رأساً وبكل وضوح إلى الحكومة ولا يباشرون أي عمل أو تحرك إلا باسمها - أي بأمرها».. وقال أيضاً: «إن هذا الحل قد يوفر مصاريف تمويل المسلحين الذي يجوز أن يقوم به الحسن نفسه من مورد جباية الأعشار بموجب الحدود الدينية والشرعية من جميع الشعب.

وبطبيعة الحال متصرف الحكومة أعلمه باختصار، أن المحاوره وسهولتها تعتبر هذا الحل الوضعي لا يمكن على أقل تقدير اعتباره.

عمر المختار حاول مرة أخرى تمسكه بمباحثاته ونبيه أنه إذا قبلت اقتراحاته أو حلوله فحسن الرضا، سوف يحضر سريعاً للخضوع للحكومة، وبينما موظفنا يتهيأ للسفر والرجوع، حدثت مشادة كلامية بين أقطاب المحادثات وهم عمر المختار والحسن الرضا وعبد الحميد العبار والفضيل أبو عمر نتج عنها خلاف فيما بينهم كان من صالحننا.

والذين اعتبروا مطالب عمر المختار التي رفضها مسبقاً موظفنا السياسي لم ترق كذلك إلى الاثنين: الفضيل أبو عمر وحسن الرضا. . وهذا الأخير حسب وجهة نظره يتفق معنا من أجل الحصول على مكانة رفيعة الشأن إلى والده «الرضا» . .

هذا الخلاف، الذي حدث بين الأقطاب بخصوص وجهة نظر الحسن كانت مضادة وغير مقبولة من عمر المختار وعبد الحميد العبار.

في آخر المشادة صرح عمر المختار بأعلى صوته: إنه مستعد إلى تقديم استقالته من الدور ومن القيادة وكذلك سوف يبتعد عن برقة. ولكن بعد أن اقترب من الموظف من جديد طالباً منه أن يتصل برقياً بنائب الوالي ويبلغه اقتراحاته أو الحلول التي عرضها، وفي الوقت نفسه طالباً إبلاغه بالنتيجة والردود عليها.

وفي أواخر مايو 1929، أرسل رسالة إلى مستشارنا يعترف فيها بأن السلام لازم له وللحسن، والاثنان مستعدان للحضور لمقابلة نائب الوالي فكان الرد بواسطة نفس المستشار الشارف الغرياني بأن الحضور غير مجد ما لم يكن هناك تعديل في المقترحات السابقة وخاصة موضوع السلاح والمسلحين.

وعمر المختار ما زال متمسكاً بوجهة نظره بخصوص تمويل المسلحين

وتقسيمهم وحل الأدوار الذي يراه مستحيلاً . . قوجود الأدوار يضمن عدم الاعتداءات في المناطق النائية وعدم إتاحة الفرصة لقطاع الطريق وفي الوقت نفسه كتب محمد الرضا السنوسي رسالة إلى عمر المختار قائلاً له : أن ينتهز أي فرصة تكون في صالحنا، وصالح البلاد وكذلك يجب عليك أن تحضر إلى مقابلة نائب الوالي من أجل الاتفاق وفي نفس الرسالة يطلب الرضا قدوم ابنه الحسن إلى بنغازي ووافق عمر المختار على هذا الطلب «شبه موافقة» لأنه غير مطمئن للحسن .

وفي أوائل شهر يونيو 1929 بدأت تبرز قواعد التسليم . . وكذلك المحادثات مع نائب الوالي في «تاكنس» القريبة من المرج وفي نفس الوقت قامت تحشدات المسلحين جنوب تاكنس من أجل التصفية، وتسفيرهم إلى الأماكن المعنية لكي ينضموا إلى قواتنا النظامية الحكومية ويبقى الباقون في «أعمال الطرق» . وتقوم الحكومة بتمويلهم .

كذلك يكافأ كل من يسلم سلاحه وكذلك عفو شامل لكل الأعيان والإخوان يرجعون إلى بيوتهم ويعاملون معاملة حسنة مثل الأعيان الخاضعين وعمر المختار حر يذهب حيث يشاء، ولكن له كل العناية إذا أراد المقام في برقة، أما الحسن، فسوف يقيم مع والده في بنغازي ورؤساء المسلحين يعتبرون تحت تصرف الحكومة بل موظفين مسلحين وأثناء التصفية تتحمل الحكومة كل مصاريف تمويلهم وإدارتهم تحت إمرة أحد ضباطنا أو أحد الموظفين في المرحلة التالية لانتظار صاحب السعادة الحاكم لعمر المختار والحسن والرؤساء الآخرين ليقدّموا له الخضوع والولاء وبهذا العمل سيسود في برقة السلام وسيصبح رسمياً .

وفي 13/6/1929، حصل اجتماع في حصن «العقبة» بالمرج، وكان مهماً جداً بين «عمر المختار» و«نائب الوالي صاحب السعادة سيشيلاني» وفي هذا الاجتماع أدلى عمر المختار بالتصريح التالي :

«لا تنادونني بالعاصي.. لأنه لم يسبق لي أبداً أن سلمت وخضعت لحكمكم.. لأنني دائماً حاربتكم لأن ديني يأمرني بهذا»..

«..واليوم أخضع أنا وأتباعي وسيسود في برقة السلام المطلق والتام.. كلهم سوف يطيعون الحكومة «الشرعية» الإيطالية تجولوا كيفما تشاءون.. الغوا جنود الاحتياطي.. الغوا الحصون الأمامية.. كلها أشياء لم تعد لازمة في برقة.. لأنه لم يعد هناك حرب»..

والملاحظ أن عمر المختار يظهر أنه قبل كل مقترحاتنا أو حلولنا التي عرضناها عليه، ما عدا ما يتعلق بالمشلحين، فقد طلب وتحصل على تأجيل البت فيه لمدة خمسين يوماً من أجل تنبيه كل المشلحين الموزعين في الأرض للحضور لتصفيتهم وتنظيمهم وفي نفس الوقت يحافظ على جباية الزكاة من أجل تمويل هؤلاء المشلحين، بحيث لا يحتاجون إلى شيء في شؤونهم الحياتية.

إن لقاء شيخ «المجاهدين» والمارشال بادوليو بقرية (سيدي رحومة) تبعد عن مدينة المرج بستة كيلومترات في يوم 19 يونيو 1929 والذي يليه في يوم 28/6/1929 الذي حصل في «بير قندولة» بين عمر المختار ونائب الوالي لقاءات أثبت فيها رئيس المجاهدين اعترافه بالخضوع الذي كان من المعتقد أن يخضع جداً لحالة العصيان.

ولكن لم يطل الوقت، حتى عادت المياه تتعكر وبمجرد نظرة إلى الحوادث في ذلك الحين تقنعنا بأن عمر المختار نواياه سيئة نحونا رغم لقاءاته وتصريحاته وتعهداته للمارشال بادوليو والي ليبيا ونائبه سيشيليانى حيث اعترف لهما بالحكم المطلق على برقة للدولة الإيطالية ووعدهما بأن يسلم السلاح ويخضع لحاكم البلاد ويحل كل المنظمات العسكرية وكل الأدوار بحيث لا تكون صبغة عسكرية في البلاد إلا الجيش الإيطالي علاوة على هذا وضع كل العراقيين في طريق كل من يفكر في الخضوع لحكومتنا. وإن الذي غير وجهة

نظر عمر المختار هو دخول إدريس على مسرح الأحداث فقد رأى أخوه الرضا وابن أخيه الحسن وما يتمتعون به من عناية واحترام وتسهيلات في أمورهم العامة والخاصة فأراد إدريس أن يخرج مرة أخرى على المسرح ليميل كفة الدولة نحوه وفي صالحه .

إن توقف عمر المختار عن الاتصالات وعدم اعترافه برئاسة محمد الرضا أحدث اهتماماً وتفكيراً من جانب الحسن فتحرك في نفسه الطموح وفهم أن أي تدخل من عمه إدريس سيجعله في الدرجة الثانية كذلك والده وأسرته كلها وحيث العلاقات قد توترت بين عمر المختار والحسن وأدت إلى الانفصال بين القائدين وانعزلت القوات التي تحت قيادة الحسن (البراعة والدرسة) عن المعسكر العام . . . وقام الحسن باتصالاته ووافق على شروط الحكومة وسلم وأصبحت قواته تابعة للحكومة الإيطالية فوضعوها على نظام الدوريات وبدأت الدولة تدفع مرتباتهم .

ورفض عمر المختار رفضاً باتاً أن يحذو حذو الحسن بل تمسك بالألوية يخضع للسلطات الإيطالية وبدأ في جباية الزكاة ليواجه المصروفات العامة لقواته خوفاً من أن تتسرب إلى دوريات الحسن التي تتمتع بكل الإمكانيات الحكومية .

وبعد الشقاق مع الحسن بدأ الخوف يتسرب إلى عمر المختار من ناحية جنوده فمعاملة الحكومة لجنود الحسن المغرية ترغبهم في الانضمام إليه .

ولما كانت العلاقات بين عمر المختار والحكومة رسمياً لم تنقطع بعد باستثناء الرؤساء والإخوان السنوسيين الذين انضموا وأخلصوا لنا من أمثال الشارف الغرياني رئيسهم وكان غرض عمر المختار واضحاً وقد أثبت في ورقته التي أرسلها مع أحد موظفينا الموجود في معسكر الحسن الرضا ومحتويات هذه الورقة بعد البسملة وبعض الفقرات هي الآتي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مادة 1 - الاتفاقيات المبرمة بين النائب والوكيل مع موظفي الحكومة الإيطالية، تكون إجراءاتها قطعية بينهم دون أي تدخل من الرؤساء والإخوان.

مادة 2 - يجب أن تعمل هدنة وقتية يتوقف أثناءها الطرفان عن الحرب كل في مكانه دون أي اعتداءات.

مادة 3 - الشارف الغرياني لم تكن له أي صفة أو أي تدخل فيما بيننا وبين الحكومة سواء إن كانت صفته مستشاراً أو غيرها لأننا لا نرتاح لأعماله السيئة بالنسبة لنا.

مادة 4 - يوفد مندوبان . . واحد يمثل الدور والثاني يمثل الحكومة الإيطالية إلى القاهرة للاتصال (بالسيد) إدريس للتباحث معه وأخذ رأيه في بنود الاتفاقيات والتعهدات التي أبرمت بين الطرفين.

هذا وحده ولا شيء آخر 15 ربيع الأول 1348 هـ / 21 / 8 / 1929 م.

«ممثل الوكيل عمر المختار»

هذه الورقة بالفعل بقيت دون جواب (رد) من الحكومة الإيطالية وفي هذه الأثناء كان (دور الحسن الرضا) سائراً دائماً نحو الاستقرار الطبيعي ومسلحون كثيرون منه قاموا باستدعاء عائلاتهم من مصر في المهجر وغيرهم من المهاجرين الموجودين على الحدود المصرية دخلوا إلى برقة وبعض منهم انضموا إلى قبائلهم والبعض الآخر انخرط في معسكر الحسن الرضا.

ويوم 1929 / 9 / 25 كان عمر المختار هائجاً متوتر الأعصاب من أثر الدعاية القائمة في صالحنا، وكذلك للنتيجة السيئة وسوء التفاهم القائم بينه وبين الحسن الرضا فكتب عمر المختار الرسالة التالية إلى نائب الوالي سيشيليانى هذا نصها:

«حرر في 30 ربيع الثاني 1348هـ 25 سبتمبر 1929.

الله يوفق السلام والبركة على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم⁽¹⁾.

إلى المحترم نائب الوالي في برقة سيثيلياني . . تحية وسلام.

(أقدم لسيادتكم) أسمى التحيات وأعلمكم أن الغرض الوحيد من (اتفاق قندولة) بتاريخ 20 محرم 1348هـ 28/6/1929 قلتيم هو الذي يجب العمل به وأن نجتهد في تطبيقه لكي يسود السلام في البلاد وكنا نأمل من رجال الحكومة العمل على تحقيق هذه الأهداف وقد وعدتم بوقف الاعتداءات بيننا وبين الحكومة وإنهاء كل القلاقل وإذا حدثت أي اعتداءات تعتبر أخطاء يمكن إصلاحها. والآن رجال الحكومة والرؤساء الذين تضمنتهم الاتفاقية مربوطين بكم خاصة وأنا أعتقد اعتقاداً ثابتاً أنهم سيضعون في طريق السلام الخلافات والعراقيل بيننا وبين السيد (يعني إدريس السنوسي) بمساعدة بعض المتطرفين الذين يوزعون المؤن اللازمة لكل واحد.

هل تعلمون بهذه الأعمال وهل هي بأمركم أم لا . فإذا بهذه الأسباب تحدث أي اضطرابات وسوء تفاهم فمسؤوليتها تقع على عاتق الحكومة وحدها وليس علينا وإذا ترون في استطاعتكم منع هذا التمويل وهذه الإمدادات العامة على الكل ونبذ كل ما حدث في الماضي وتلتقوا معي لنحقق السلام والهناء إلى العالم الإسلامي وسوف أكون مسروراً باستلام رديكم.

وفي الختام أقدم لكم احتراماتي وتحياتي . .

نائب الوكيل العام

عمر المختار

(1) لم يسبق لأي كاتب مسلم أن يبدأ رسالته بعبارة «الله يوفق السلام والبركة على سيدنا محمد . . إلخ» ولم يرد هذا التعبير في رسائل عمر المختار السابقة واللاحقة وإنما هو ترجمة غير آمنة من العربية للإيطالية وأنا هنا نقلت الترجمة الإيطالية فكانت العبارة السابقة وأفسرها بعدم أمانة الترجمة الإيطالية لرسالة عمر المختار، والجهل بالتعبير العربي ولا بد أن الرسالة تبدأ هكذا: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ . «المترجم».

أجاب لهذه الرسالة نائب الوالي مذكراً عمر المختار (بتعهدات بير قندولة) التي لم يتم بتنفيذها أبداً كذلك دعاياته التي أثرت على المهاجرين ومنعتهم من الرجوع إلى بلادهم وأحببت كل الأعمال والتسهيلات التي كانت تقوم بإجرائها سلطات الحكومة الإيطالية. . وفي آخر الجواب يقول نائب الوالي (سشيليانى) إنه لا مانع لديه من مقابله غير أن هذه المقابلة لا تؤثر بأي حال من الأحوال على الاتفاق السابق بتاريخ 13 يونيو الذي وافق عليه عمر المختار نفسه. ومن إجابة نائب الوالي التي لم تكن مقنعة وكان عمر المختار غير راض عنها. . ففي يوم 9/10/1929م كتب إلى نائب الوالي الرسالة التالية وهذا نصها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

إلى صاحب السعادة نائب والي برقة. تحية وسلام.

أحيطكم علماً أننا استلمنا رسالتكم عن طريق متصرف المرج وكذلك أخذنا علماً بكل عباراتكم الدقيقة. وحامل رسالتنا يسلم لكم رسالة إلى الوالي المارشال بادوليو وأرجو أن تعلموننا عن الرد وتعطوا حاملها إيصالاً بالاستلام وتفضلوا بقبول تحياتنا».

«5 جمادى الأولى 1348هـ الموافق 9/10/1929م.

الوكيل العام

عمر المختار

وفي الرسالة المرسلة إلى المارشال بادوليو والتي اعتبرت محررة في مصر يشتكي فيها من الأعمال التي قام بها بعض الموظفين الحكوميين في قضية حل الأدوار والطريقة التي اتخذوها في هذا الموضوع مخالفة تماماً للاتفاق المبرم بين الحكومة الإيطالية والسيد (إدريس) الرئيس الوحيد للسنوسية وفي آخر الرسالة ينذر عمر المختار أنه بعد 24 أكتوبر 1929 أنه «إذا لم توقف الأعمال

المذكورة أعلاه سوف لن أكون مسؤولاً عن كل ما يحدث بعد هذا التاريخ»
فما كان من المارشال بادوليو إلا أن رد له رسالته المؤرخة في 21 مارس 1929
التي تتضمن اعتراف عمر المختار بسيادة الرضا وإنه الرئيس الوحيد للسوسية
وهو الذي يمكنه أن يوطد السلام في البلاد.

وبقيت رسالة المارشال بادوليو بدون رد ويمكن القول بأن العلاقات بعدها
بدأت تتوتر بين عمر المختار والحكومة واعتبرت أنها انقطعت تماماً وكانت
الحركات العسكرية متوقفة منذ شهر يونيو 1929.. والذي حدث أن مجموعة
من (المجاهدين) عددها 25 فارساً هاجموا دوريتنا المكونة من قوة الضبطية
بقيادة (البريغادير (الجاويش) سينغانو رامورينو) وكانت مهمتهم إصلاح
الخطوط الهاتفية والبرقية التي قام بقطعها الثوار في نفس اليوم الذي قاموا فيه
بهذا الكمين وقد قضوا قضاء تاماً على هذه الدورية وإن بادرة عمر المختار
هذه أثبتت للحكومة الإيطالية أنه يجب الإجابة بالمثل وبكل قوة لأنه لم يعد
هناك حاجة إلى الكتابة والمماطلة ولهذا خصصت دوريات عديدة أرسلها
للتفتيش في كل المعسكرات عن (المحافظين) يعني المجاهدين الذين يجوبون
البلاد ويعبثون في المنطقة للقبض عليهم وإعدامهم على الفور.

وعلى أثر الإجراءات التي اتخذت تجاه عمر المختار تجمعت احتجاجات
السكان منددين بخيانة عمر المختار الذي عكر صفو السلام بينما المسلحون
من قبيلة البراعصة والدرسة التابعين لحسن الرضا جددوا ولاءهم وإخلاصهم
للحكومة الإيطالية وناصرها عمر المختار العداء وزيادة عليه طلبوا منه بشدة
الابتعاد عن أراضيهم..

وفي يوم 16/11/1929 بقرب (قرص مرق) ويوم 20/12/29 هاجمت
(دور عمر المختار) كتائبنا المكونة من الأرتيريين وقذفت طائراتنا قوافل الدور
بقنابلها أثناء تحركاتها في الجنوب الشرقي من (جردس جراري) وبمباشرة عمر
المختار الثورة (يعني الجهاد) من جديد استقر (دور الحسن الرضا) الخاضع

لسلطاتنا في (غوط الجبل) بقرب (مراوة) ولكن حتى في هذا (الدور) بدأت الفوضى من أثر تغلغل بعض المجاهدين في صفوف أتباع الحسن بائين دعايتهم ضد الحسن وتصرفاته المزرية وسمسرتة برؤسائهم وإبعاده لهم عن إخوانهم المجاهدين وبدأت سلطة الحسن في التضاؤل من جراء تأثيرات عمر المختار على النفوس ودعوته للحسن لكي يقلع عن تبعيته للحكومة الإيطالية ويرجع إلى الجهاد الذي أمر الله به في كتابه العزيز القرآن الكريم وداخل دور الحسن تولدت خلافات وحساسيات بين المسلحين أدت في أوائل يناير 1930 إلى أن انشقت مجموعة من المسلحين من عائلة عريف ومن أجل هذا الحادث أمرت السلطات الإيطالية الحسن و(دوره) أن يقترب من (مراوة) بدل غوط الجبل وفي الوقت نفسه حذر نائب الوالي الحسن الرضا بأن الحالة الراهنة في الدور توحى بالقلق وسوف تضطر الحكومة الإيطالية لاتخاذ الإجراءات الصارمة لوضع الأمور في نصابها وجعل النظام يسود بين المسلحين وحصل اعتداء ونهب أموال في منطقة (مراوة) بين قبيلتي البراعصة والدرسة في العشرة الأوائل من يناير 1930م حيث اعتدى على أموال أهالي مراوة ومن هنا قامت السلطات الإيطالية بحل الدور (أي دور الحسن الرضا) الذي عرف (بدور الدقيق) أن تدخل الحكومة الإيطالية الحازم لقي معارضة شديدة من المسلحين التابعين للحسن ولكن هذا لم يجد شيئاً فالحكومة صممت على سحب السلاح من جماعة الحسن رغم امتناعهم وعليه فقد قامت قواتنا بحل الدور بعد استعمال القوة فقتل من قتل وأسر من أسر من رجاله .

في المدة الأخيرة كان الحسن الرضا دائماً يرفض أن يقيم داخل المدينة فبدأت تحوم حوله الشبهات فأجبر على الإقامة داخل مدينة بنغازي وبهذا الحادث رجعت برقة لحالتها الأولى .

وفي 28/1/1930 هاجمت قواتنا دور عمر المختار من جديد في غابة كثيفة بوادي (محجة) وشاركت طائراتنا في هذا الهجوم بقنابلها حتى جرح الرئيس من إحدى شظاياها . .

وفي شهر فبراير 1930 وشهر مارس كانت الحالة على أشدها فالشوار يهاجموننا في كل مكان من برقة واعتداءات متكررة اشتدت أكثر في الفترة ما بين 17 و31/3/1930 وتحققت حوالي 18 محاولة ضرب عسكرية قوية في كل أنحاء المستعمرة⁽¹⁾.

وقائع في (الكفرة) وفي منطقة سرت:

بينما كانت الأهداف الهامة جداً مشتتة الأوار في الجبل الأخضر فهناك أحداث أخرى أقل أهمية كانت تجري في مناطق أخرى وتتحقق في منطقة (الكفرة) النائية ومنطقة (سرت).

ففي شهر يونيو 1928 كان محمد العابد الذي يمثل السنوسية في تلك الواحة من سنين كثيرة يحس أنه لم يكن في مأمن تجاه القبائل المحلية التي عانت الكثير منه .

وكان عمله بالنسبة للسكان عسيراً جداً يتسم بكل أنواع الظلم والجور (والفزانين يعرفون كل هذه الأعمال القاسية). وبدأ يفكر في كل حركة لقواتنا مقتنعاً بأن نفوذه سيضمحل كلما تقدمت قواتنا وتوغلت في الدواخل ومن أجل هذا بدأ يحاول التقرب عن طريق أو آخر متخذاً طريقة كل السنوسيين عندما يشعرون أن مراكزهم متزعزعة فيحاولون أن يستندوا إلى الأقوى.

(1) هنا يتوقف الجنرال غرازياني عن سرد الكفاح الوطني والحركة العسكرية في الجبل الأخضر وبرقة ويعود لسرد حركة الكفاح في برقة وفي مناطق الجنوب البرقاوي والمناطق القريبة وقسم كتابه إلى حوادث فيسرد أحداث منطقة ثم يعود ليتم ما كان قد سرده عن سواها أو منطقة أخرى ذات أو غير ذات علاقة وهكذا حتى يتم كتابه . . هذه طريقة متبعة عند بعض الكتاب العسكريين من الإيطاليين والمهم بالنسبة لنا هو أنه يتحدث عن وطننا في الجبل وسرت والكفرة ومن خلال حديثه - وهو العدو الخصم - يظهر لنا وللغير بوضوح كاف الفرق بين ما كان عليه أجدادنا من قلة في العدد والعدة وبساطة في الوسائل وبين استعدادات تفوق الوصف تواجه هذه الجماعات الفدائية من المجاهدين . . «المرجم».

ومن ناحية أخرى فمحمد العابد له أملاك مهمة في الكفرة تحتاج لرعايته وهذا يفسر تقربه لنا من أجل مصالحه فقام بعقد اجتماع مع السكان ومن بينهم بقايا المهاجرين البارزين وهم الصديق الرضا والشيخ عبد السلام الكزة وفي ذلك الاجتماع لم يكن هناك أي نقاش مهم وبالأخص من ناحية بقايا رؤساء الزوايا الذين لم يرق لهم هذا الاجتماع الذي قرر فيه محمد العابد تطوعه للتسليم وخضوعه لسلطاننا أمام الحاضرين وكون بعثة سلام بقيادة ابنه الشابين وهما حمد إدريس ومحمد عبد المطلب ورغم أن هذين الشابين سنوسيان ولم تكن لهما صفة رسمية أو مهمة لأن أفكارهما محدودة. وصلا إلى جالو يوم 1928/7/1 م حاملين رسائل والدهما معترفين بأن والدهما محمد العابد مستعد للخضوع والتسليم بدون قيد أو شرط وتسليم الأسلحة. وبعد إقامة البعثة بضعة أيام في جالو واصلا سيرهما بطريق الجو إلى مدينة بنغازي فوصلها يوم 1928/7/17 م.

اعتقال بعثة بريتزي، وثورة زويه:

أثناء إقامة ابني محمد العابد في مدينة بنغازي جددا عدة مرات نوايا والدهما السلمية بل استعجلا السلطات أن تبعث معهما طبيباً لمعالجة والدهما المريض وفعلاً تقرر بأمر من الوزارة إرسال بعثة صحية مزودة بجهاز إرسال وهكذا تكون إقامتهم هناك خطوة أولى للتعمق في المنطقة بعض الوقت حتى تنتهي أعمالهم الإنسانية في أول خطوة لكي يتمكن من تغلغل مبادئنا السلمية وتكونت البعثة الصحية كالآتي:

- 1 - النقيب (الكابتن) دكتور بريتزي.
 - 2 - الترجمان السيد فورناري.
 - 3 - ضابط صف (المرشالو) بوليفدو وعامل جهاز الإرسال.
 - 4 - مسعود الممرض المحلي العربي.
- وتجمعت البعثة بأكملها في (جالو) ومن غير الشابين السنوسيين وأعضاء

البعثة الأربعة فهناك بعض الخدم والمرشدين الصحراويين ومجموع رجال القافلة 42 رجلاً و118 جملًا للركوب وحمل مؤونة ومعدات القافلة والبعثة الصحية و36 بندقية.

بدأت الرحلة من جالو يوم 1/10/1928م ولا لزوم لذكر حوادث هذه القافلة بالتفصيل إنما أذكر (غرازياني) المهم منها فيما بعد.

وبالكفرة أخذت الحوادث تتلاحق بعد أن علم أن ابني العابد قد ذهباً إلى بنغازي وكذلك علم أن الحكومة الإيطالية جهزت بعثة صحية اتجهت إلى الكفرة وجماعة (قبيلة) زويه القائمين في الواحة الذين يجهلون كل شيء عن هذه الحركات التي قام بها السنوسيون فخافوا أن يكون هناك تلاعب على حسابهم والاتفاق بين محمد العابد والحكومة قد يجوز ألا يكون في صالحهم وكذلك قد يجوز أن يستفيد محمد العابد أكثر من غيره.

إلا أن هناك برنامج عمل وضع (بكل دقة وسرية) أعد من قبل بعض رؤساء (زويه) الأقوياء مثل الأخوين عبد الحميد وسليمان بومطاوي والشيخ صالح بو كريم وغيث بو قنديل وعبد الله البشاري والأخير غني ومالك وتاجر كبير هو الذي زود المسلحين بكل ما يلزم ومهد لهم طريقة الاستيلاء على البعثة وفعلاً تم الاستيلاء عليها يوم 10/10/1928. وبدأت تحركاتنا التقديمية فاحتلت قواتنا سوق المجمع السكني في منخفض (الجوف) في حركة أذهلت محمد العابد الذي حاول أن يفرض سيطرته على رؤساء قبيلة (زويه) لكي يرجع البعثة الصحية لخرج موقفه مع الحكومة الإيطالية وخائف على نفسه شخصياً لأنها ستحمله مسؤولية الاستيلاء على البعثة وحيث أنه عجز عن إقناع رؤساء زويه لإخلاء سبيل البعثة لهذا قرر الهجرة إلى (بوركو) بالسودان وفعلاً في 15/12/1928 سافر من واحة (التاج) إلى الجنوب مع أسرته الكبيرة وبعض الإخوان السنوسيين ومئة (عبد) مسلحين بأحسن سلاح وكذلك الشيخ عمر الحليقة الزوي الذي لازم السنوسية ولم يشترك في ثورة زويه ضدها.

القتال في بو عطلة 20/1/1929، وإبادة جماعة صالح بو كريم:

إن مشايخ زويه كان بعضهم يرغب في التخلص من الشيخ العابد وينفصل عن سلطته والبعض الآخر يسانده ولهذا السبب حدث انقسام بين رؤساء مشايخ القبيلة أما مجموعة الشيخ صالح بو كريم التي استولت على البعثة الصحية المرسلة مع أبناء (السيد) محمد العابد. وهي كذلك المجموعة التي طردت العابد من المنطقة واستولت عليها بحيث كونت حركة عصيان تماثل الحركة الموجودة في برقة.

وكان هدف مجموعة الشيخ صالح بو كريم التأثير على القبائل القاطنة بمنطقة (سرت) التي كانت خاضعة لحكمنا بينما كانت الحالة دقيقة في واحة (الكفرة) فقبيلة زويه التي تجمع معها كل المعادين لنا كالثائرين والخارجين عن سلطتنا وحيث أن زويه لها في سرت مصالح تجارية ورعوية فكانت هذه المجموعة من المقاتلين من أجل الاستيطان في سرت حتى تكون مركزاً للغارات وقطع الطريق على نشاطاتنا العسكرية والتجارية وتهديد عزتنا وكرامتنا في المنطقة.

بعد أن تأسست هذه المجموعة وزودت بكافة الأسلحة هاجمت واحتلت (أجخرة) ولكنها لم تستقر فيها فهاجمتها قواتنا في (أبو عطلة) وأبادتها عن آخرها في يناير عام 1929م.

إن المجموعة المذكورة مكونة من عناصر مرتزقة إن صح التعبير لأنها تتحسس على أنها ستحصل على غنائم كثيرة وكان عدد المسلحين بها 320 جندياً مسلحاً وقد استحوذ عليهم الغرور بأنهم قوة ضاربة دون الشعور بأن رؤساءهم أضعف من أن يواجهوا جنودنا وأسلحتنا وعندما بانت في الأفق هذه المجموعة في منطقة (أجخرة) أبلغ م كولونيل مالييتي إلى قيادة الجيش بأنه في يوم 1929/1/2 بعث بدورية استطلاع إلى أجخرة مكونة من 10 جنود ولم ترجع وفي يوم 1929/1/3 وصل سكرتير المديرية الذي كان يصحب الدورية إلى (جالو) وأخبر الكولونيل أن (المجاهدين) يتجهون إلى أجخرة ولكن

الكولونيل اعتقد أن هذه الحركة هي إحدى الحركات المعتادة تظهر وتختفي فأخذ معه دورية استطلاعية من بعض عساكر (الفرقة 16 الأرتيرية) وبعض جنود الهجانة وبالقرب من أجرة التحمت قوات الهجانة مع بعض جنود المجموعة ورأى الكولونيل أن عدد الجنود الذين معه قليلون ولذلك ترك الميدان ورجع إلى مقر جيشه (بجالو) وأبلغ (القيادة العامة) بهذه التجمعات فأمر بأن يستعد ويهاجمها وفعلاً بدأت الاستعدادات الأولى بهجوم الطائرات من مطار (أجدايا) وإلقاء القنابل على هذه التجمعات لتمهيد الطريق للجيش لكي يواصل هجومه وكان ذلك يوم 1929/1/4 وحركة الطائرات هذه كانت عملية توقيف لزحف المجموعة حتى تتجمع القوات القادمة من الشمال وبعدها تهاجم قواتنا جنود المجموعة التي عسكرت من قبل في واحات أجرة وتحركت نحو الشمال تجاه قصر تسلمنت وهو المكان الذي بدأ فيه قتال يوم 1929/1/20. وفي المساء بعد قتال مرير وبحركة عجيبة نحو بو عطلة استطاعت قواتنا تدمير هذه المجموعة وإفنائها عن آخرها.

الحالة اللاحقة وهزيمة زويه:

وصلت البقية الباقية التي نجت من المجموعة المنكوبة إلى الكفرة فزعة من هول القتال وعلى أثر هذا الخبر المفجع بدأ الأعضاء البارزون في الواحة والموظفون بها يهاجرون. منهم من هاجر إلى مصر بعد أن عرفوا أن وجودهم في الواحة أصبح خطراً على حياتهم ومن بين هؤلاء الصديق الرضا وعبد السلام الكزة وبعض من الإخوان السنوسيين المعارضين لزوية بقوا في الكفرة بكل سرور نكاية في قبيلة أزويه وكذلك يطمحون بأن يرجعوا إلى مجدهم القديم ومن الخلاف الذي كان قائماً بين الحزبين (أزويه والسنوسية).

ونتج عن ضياع أو هجرة زعماء الهيئتين أن اضمحل الوضع في الواحة الأمر الذي أدى بالسيد شمس الدين الخطابي لعقد اتفاق مع الحكومة الإيطالية بأن يعطى له حكم رمزي على الواحة تحت رعاية سلطاتنا. وهذا الحكم في الحقيقة محدود وفي نفس الوقت يصبح تحت رقابة قبيلة زوية.

كان هذا في 25/12/1928 والغرض هو التقرب من سلطاتنا الإيطالية ولا يتحقق بدونها. وفي يوم 11/1/29 كان شمس الدين في الحقيقة قد عمل الكثير لإطلاق سراح البعثة الصحية ورئيسها النقيب (كابتانو) دكتور بريتزي واقترح أن يرسل معه أحد الإخوان واسمه (أحمد المدني) ويكلفه بأن يعرض على الحكومة الإيطالية بأنه على أتم استعداد أن يكون تحت تصرفها ويسهل لها احتلال الكفرة بالطرق السلمية. فإذا لم توافق السلطات الإيطالية على هذا الاتفاق فهو سينزح هو وأسرته إلى سيوة ولا يرجع إلى برقة إلا إذا تعهدت الحكومة بإرجاع ممتلكاته الثابتة وأمواله المنقولة، وهذه فقرة من تقارير النقيب (الكابتن بريتزي) وأحمد المدني بعد رجوع الدكتور بريتزي بقليل وصل إلى بنغازي عن طريق الإسكندرية حاملاً معه رسائل من السيد شمس الدين تثبت رغبته في التسليم والخضوع للسلطة الإيطالية ولكن رؤساء قبيلة الزوية عرفوا تلاعب شمس الدين ولم يضيعوا الوقت، بل في النصف من مارس 1929 سافر الوجيه محمد بو خير الله إلى (أجدابيا) التي كانت له اتصالات بها من قبل بخصوص البعثة الصحية مكلفاً من قبل المشايخ بتمهيد طريق الخضوع والتسليم للحكومة بشرط أن تصدر هذه عفواً شاملاً عن كل أخطاء الماضي.

إن عرض الزوية لكي تشعر الحكومة الإيطالية أنه لا سلطة للسنوسيين عليها، وهي مستقلة في أن تتفاوض مع سلطاتنا بكل حرية وفي إمكانها أن تربط التجارة وتستأنفها بين الواحة و(جالو) و(سرت) ولما رأت الحكومة الإيطالية أن أزوية تخاف من تحرير العبيد المشتغلين في خدماتهم لفلاحة الأرض بعد احتلال الكفرة، لذلك سارعوا وتقدموا على انفراد، ورأت الحكومة استغلال هذا الظرف وهو الخلاف القائم بين أزوية والسنوسيين لصالحها فأرسلت الرد إلى قبيلة أزوية بأن الحكومة مستعدة أن تقبل شروطهم بعد أن يسلموا ويخضعوا لسلطاتنا ويأتوا إلى (جالو) لإتمام اللازم بشأن وضعهم السياسي والاقتصادي.

ظهور المجموعة التي نظمها صالح الأطيوش في معركة بو جدارية 1929/4/16

فوق جبال هاروج السوداء كان صالح الأطيوش قد حذا حذو الزوية في الكفرة وبدأ نشاطه في تكوين مجموعات من المسلحين في عدة مناطق حاملاً نشاطه في الأقليمين ببرقة وطرابلس . وعلم أخيراً في شهر يناير 1929 أن المجموعات الثلاث تجمعت في جبال الهاروج السوداء ونزلت منها إلى الميدان ، وكان عددها أربعمئة مقاتل للغارات على أجداية والنوفلية . وأول تحرك لهذه المجموعة المقاتلة كان متجهاً نحو منطقة (الجيفة) واستراحت فيها . ومن هناك وجهت طلائع مكونة من خمسين جندياً وبطليعتين التحمت مع قواتنا الأولى يوم 1929/3/8 مع الهجانة من برقة . والثانية يوم 1929/3/14 في النوفلية فالتحمت مع الجند المسلح من طرابلس وانتهى ذلك بالقضاء على الطليعة الثانية . أما البقية وهي الأكثر عدداً والمجهز بأسلحته فمكون من 300 مقاتل بقيادة عبد القادر الأطيوش في معسكره بمنطقة (الجيفة) ورفع على المعسكر العلم السنوسي ، وأقسموا اليمين أن يقاتلوا إلى النهاية ، ثم بدأ الزحف نحو (العقيلة) وأسروا جنود الحامية واستولوا على ما فيها من مؤن وذخيرة ويوم 1929/3/23 بقرب (قويرات الشيخ) استولوا على قافلة لنا (للطليان) مكونة من مجموعة من الجمال وبحراسة من الهجانة ثم ضاعت أثار المجموعة ولكن إحدى الدوريات المدرعة الأمامية اكتشفت والتحمت مع بعض عشرات من المقاتلين المسلحين وقافلة من 70 جملًا ، وكان قائد الدورية الرائد (الماجور)

توريللي - وهو حفيد الجنرال توريللي الذي جاء بنغازي في حملات سنة 1911 وقد استولى على القافلة وبعض الأسرى و8 بنادق، ولكن أثار المجموعة ضاعت من جديد، ولكن أحدهم أوضح للدورية أماكن الحملة وتحركاتها وأنها ستهاجم مدينة أجدايا وتستولي عليها. وفي يوم 1929/7/21 استطاعت طائراتنا الاستكشافية أن تكشف مقر المجموعة وهي فوق جبل صفوان وعلى أساس هذا البلاغ من الطيران بدأت قواتنا تتحرك على النظام التالي:

قسم الجيش إلى ثلاث كتائب، وفي أيام 4 و5/4/1929 الكتيبة الخامسة الأرتيرية التي وصلت من الأبيار مزودة بالمدرعات الرشاشة والكتيبة الرابعة عشرة الأرتيرية والفرقة الثالثة من جنود الهجانة، وكل هذه القوات الكبيرة تحت قيادة العقيد الكولونيل (مالييتي) فوزعها على النحو التالي في المناطق الآتية: أجداية، الوادي الفارغ، العقبة، البحر. وهكذا أحدث العقيد مالييتي تطويقاً لقوات العدو (المجاهدين) . . .

وفي يوم 1929/4/6 اصطدمت الكتيبة الخامسة عشرة بمدفعاتها الرشاشة السريعة مع المسلحين (المجاهدين) في منطقة (بيربالريش) بالقرب من (بيربوجدارية) حيث العدد الأكبر من قوات المجموعة . . . ودار القتال عنيفاً جداً وانتهى بانتصار قواتنا (الطليان) وإفناء المجموعة إلا بعض قليل انهزم فلاحقته قواتنا إلى الوادي الفارغ.

قبيلة أزوية والسنوسي شمس الدين ومحاولتهم الجديدة في التقرب إلى الحكومة الإيطالية:

بعد رجوع الرسولين حمد المدني ومحمد بو خير الله كانت الحالة سيئة جداً وباستمرار ولأن شمس الدين سقط بين مؤامرات قبيلة الزوية ولم يعوف أو لم يرد الخروج من هذه المؤامرات وهمه الوحيد هو إيجاد أي طريق نحو الحكومة الإيطالية حيث يجد الحماية لشعوره أن هناك خطراً توضع وتجهيزات عسكرية لغزو الواحات. والدليل الواضح لديه هو بروز طائرتين إيطاليتين

واحدة في سماء الكفرة والأخرى في سماء (نازربو) وكانت هي الرحلة الأولى لطائراتنا في تلك الواحات. . وبالضبط في 15 سبتمبر 1929 و2 أكتوبر 1929 حيث أخذت الطائرات عدة صور لكل أهداف هذه الواحات، ومن ذلك تأكد شمس الدين السنوسي أن مصير الواحات هو الاحتلال دون شك. وفي منتصف أكتوبر أرسل عبداً من عبيده حاملاً رسائل إلى الحكومة تعبر عن رغبته الأكيدة في الخضوع والتسليم للحكومة وكله كلام بدون عمل. ولهذا لا رد على رسائل شمس الدين ولا أهمية له ولأتباعه وسبب عدم الرد هو ما وضحه العبيد أن الكفرة تعاني من الفوضى والخلافات، الشيء الكثير. . وبعد هؤلاء العبيد رسل شمس الدين السنوسي. وصل إلى (جالو) يوم 17/10/1929 (11) شيخاً من قبيلة (أزوية) وأعربوا عن مجيئهم من تلقاء أنفسهم لأنهم متعبون من معاملة شمس الدين السنوسي وتردده في كافة أعماله، وكذلك بعض مشايخ أزوية التابعين له وتوسعهم على حساب الضعفاء وكذلك أتينا لنخضع للحكومة ونسلم، وعددنا يصل إلى 600 شخص مسلحين وغير مسلحين ورغبنا أن نستوطن في مناطق (الزويتينة وأجدابيا وأجخرة) التي كنا نقيم فيها في عهد الأتراك. وفي أوائل ديسمبر 1929 رجعوا إلى الكفرة ليوضحوا لاتباعهم ما وصلوا إليه مع الحكومة الإيطالية وهو أن الخضوع والتسليم لا يتحقق إلا بناء على منشور المارشال بادوليو القاضي بتسليم السلاح أولاً لسلطاتنا في (جالو). . والخلاصة أنه في أواخر 1929 وأوائل 1930 كان المهم خلالها هو رجوع بعض المهاجرين من مختلف القبائل ومعظمهم من (الهاروج) ومن (الكفرة) وبلغ عددهم 1486 شخصاً و5400 رأس من الإبل و258 بندقية. وأهم من هذا أن السيد إدريس موجود في قلعته (بالقاهرة) متمتعاً بكل الراحة بعيداً عن ميدان القتال والشمس المحرقة في الصحراء بعيداً عن الجبل الأخضر وما تراق فيه من دماء، بعيداً عن الكفرة بلد أجداده وما تعانيه من بؤس وظلم وظلام. فإذا أراد أي إنسان أن يعرف هذه الحقيقة يطلع على هذه الأمور المملوءة بالخداع والتردد وخيانة القادة لمبادئ السلام والهدوء ونقضهم للعهد، الأمر الذي جعل سلطاتنا لا تأمن في أي نوع من التقارب. .

فالسنوسيون مخادعون، يرمون معنا التعهدات وعندما تصل هذه التعهدات إلى رئيسهم السنوسي الكبير (يعني إدريس) ينقضها ويهملها ومن أجل هذا بدأت الوثائق تنشر على الملأ ولم يعد هناك أمل في التقارب. وبتاريخ 1929/10/20 الموافق 16 جمادى الأولى 1348 نشرت وثيقة عمر المختار على صفحات جريدة (الأخبار) و(جريدة المقطم) القاهريتين وعلى حد قوله للحقيقة والتاريخ فالوثيقة كانت خاصة بالجبل الأخضر حيث يقيم قائد (الثوار) المجاهدين فهو اليد الطولى للسنوسي إدريس القائم في بيته بالقاهرة. . هذا البيت هو قلعة الفساد، تفسد كل طريقة تهدف للهدوء والسلام وهذه هي الوثيقة حرفياً:

«في أوائل سنة 1348هـ ومنتصف 1929م دعيتي الحكومة الإيطالية بواسطة ممثلها الحاكم العام المارشال بادوليو بأن أوقف القتال وتقديم طلباتنا وتحديد المكان لنتقي مع سعادته. . وحدث هذا والتقينا بمنطقة (سيدي رحومة) بقرب (المرج) واتفقنا على هدنة لمدة شهرين بحيث يتمكن كل واحد منا من الرجوع إلى رؤسائه، وفي أثناء اللقاء طلب مني المارشال بادوليو تقديم مطالبنا وكذلك قال لي أنه مستعد لإرجاع (الأمير) السيد محمد إدريس إلى برقة إذا رغبنا في ذلك، ومن بين شروط الهدنة التي اتفقنا عليها النقاط التالية:

- 1 - عفو عام شامل للمتهمين بجرائم سياسية سواء كانوا في الداخل أو الخارج والإفراج عن المساجين السياسيين.
- 2 - سحب الحاميات الأمامية المؤسسة أثناء حرب سنة 1341 الموافق 1923 ومن ضمنها حاميات جغبوب وجالو.
- 3 - من حقي جباية الأعشار الشرعية من كل العرب سكان المناطق الساحلية والساكين حول الحاميات في أي منطقة.
- 4 - مدة الهدنة شهران قابلة للتجديد.

وقبل المارشال بادوليو هذه الشروط وعاهد على تنفيذها قبل انتهاء مدة الشهرين (الهدنة) بواسطة وكيل صاحب السعادة (سيشيلاني)، وأن كل الوجهاء

والمشايع موافقون على انتخاب (الأمير) محمد إدريس السنوسي أميراً على برقة وطرابلس. وفي هذه الحالة يمكن تعيين الأشخاص ذوي الكفاءة الإدارية والسياسية سواء في برقة أو طرابلس، ولذلك طلبنا منه أن يتصل (بالسيد) إدريس السنوسي رأساً للتباحث معه في شؤون تنظيم الأوضاع للوصول إلى حل سلمي مشرف (فسعاداته) وعدني بأنه سيعمل بكل ما في وسعه قبل انتهاء مدة الهدنة وهي شهران. وطلب مني أن أطيل فترة الهدنة بحجة أن الحاكم غائب عن روما من أجل اتصالاته بالمسؤولين هناك لعرض الموضوع عليهم وإلى الآن لم يرجع بعد. وجدد موعد الهدنة من عشرة إلى عشرين يوماً أي تاريخ 3 جمادى الأولى سنة 1348هـ وعند ذلك فهمت أن الحكومة تراوغ من أجل كسب الوقت فقط. فأبلغت الحكومة عن طريق نائب الحاكم العام أن مدة الهدنة تنتهي يوم 20 جمادى الأولى سنة 1348هـ الموافق 1929/10/24 وسوف تجدد الهدنة من جديد. والآن وقد أشرفت الهدنة على الانتهاء ولم نستلم أي رد بالإجابة أو الرفض حتى الآن من الحكومة الإيطالية، وخاصة موضوع اتصالها (بالسيد) إدريس السنوسي، لهذا أرى مناسبة استئناف القتال والحرب دون الرجوع إلى اللقاءات والمحادثات السابقة ولا اتصالات جديدة ولا أي وساطة من أي ناحية حتى ولو كانت من أجل أفراد العائلة السنوسية. غير أنه يمكن فتح المحادثات بعد الثقة في الدولة الإيطالية لأحكامها في المستعمرات. واستغرب من الحكومة الإيطالية عدم اتصالها بالرئيس (إدريس السنوسي) وهي تعلم جيداً أن في يده الحل والربط، ولو أن المسؤولين الإيطاليين لهم رغبة في السلام لما تأخروا في الاتصال به ولهذا. . . ليعلم كل مقاتل أن الغرض الوحيد للحكومة الإيطالية هو بث الخلاف بيننا ووضع كل العراقيل في طريقنا للقضاء على حركتنا الوطنية وتفرقنا لكي تستحوذ على أرضنا وحقوقنا المشروعة وبرهنت على كل هذا في السابق ولكن والحمد لله لم تنجح الحكومة الإيطالية في أعمالها هذه، وليشهد العالم أجمع أن نوايانا تجاه الدولة الإيطالية كانت دائماً شريفة ولم يكن عندنا أي غرض إلا حريتنا واستقلالنا التي هي من حقوقنا الطبيعية أما أغراض إيطاليا المعروفة بالشدة دائماً للضغط على كل حركة وطنية

وتوجيه كل مقوماتها للحد من تقدم وتوعية الشعب الليبي ومع كل هذا لا يمكننا أن نقول أن كل الشعب الإيطالي يحبذ فكرة الحرب خاصة في الوقت الذي تقف فيه الدول الأخرى بعكس موقف إيطاليا فتحسن المعاملة مع الشعوب الشرقية وتعمل جاهدة لتدعيم الهدوء والاستقرار ووضعة مصلحة بلادها وأبعادها عن الحرب والفوضى وبهذا تكسب البلاد وأهلها متجنية كل ما يضر وما تسببه الحرب بينما الهم الوحيد لإيطاليا سحق الشعب الليبي والقضاء عليه بكل الوسائل بحيث يخلو الوطن وتصل إيطاليا إلى هدفها التوسعي ونسأل الله ألا يحقق أغراضها. ولا يوجد أي شعب وصل إلى الحرية دون أن يريق دماء أبطاله فوق أرض وطنه ويضحى في سبيلها بكل ما يملك من قوة ونفس ونفيس. ونحن الآن ندافع عن وجودنا ونضحى بدمائنا دفاعاً عن وطننا وحریتنا وعليه فنحن لسنا مسؤولين عن الحالة الراهنة إلى أن يستيقظ أولئك الحكام الذين استعملوا معنا العنف أن يقوموا ويسلكوا الطريق المستقيم ويستعملوا معنا التعاون والوفاء بدل المداينة والخداع».

16 جمادى أول سنة 1348هـ الموافق 1929/10/20م

قائد القوات الوطنية

عمر المختار

انتهت الترجمة الحرفية للوثيقة:

هذه الوثيقة نشرت على أنها ستشعل نار الحرب التي لا هوادة فيها لأن تاريخ الرسالة الموجهة إلى (الفريق) المارشال بادوليو من عمر المختار تقول اعتباراً من 1929/10/24 لا تفاوض وهذا يعني أن سوء نية السنوسيين أثر على عمر المختار حيث نشر الوثيقة على صفحات الجرائد المصرية في نفس اليوم ولذلك فإن الحكومة الفاشيستية التي طالما مدت يد المصافحة للتعاون على ضمان الهدوء والسلم في البلاد معهم ستتصرف بكل حرية فيما يضمن لها حقوقها وستبذل ما في وسعها للمحافظة على هذه الحقوق مهما كانت الظروف.

الفصل الثالث:

الفأس والقضبان

فشلت كل محاولات السلام بسبب جشع وسوء نية السنوسيين، ولكي نحافظ على هيبتنا وكرامتنا لا بد من اتخاذ الاحتياطات اللازمة ووضع خطة جذرية وقوة لاكتساح العدو نهائياً ومن هنا ندخل في الطور الثاني من منشور الجنرال بادوليو بعد فشل الطرق السلمية - وهذا الطور يقول (حرب دون أي قاعدة) ومتابعة الثوار (المجاهدين) أينما حلوا حتى القضاء على جميع قواتهم في برقة بأسرها.

تعييني في برقة:

يوم 11/1/1930 بمنطقة (أم الأرناب) بفران وصلني الخبر بأني تعينت نائباً للحاكم العام في برقة وقد طلب مني الحاكم العام متى ومن أعين ليقيم مقامي في قيادة قوات الجيش المتحركة لاستلم أعمالي الجديدة في برقة. ومن مشايخ زويلة (شلالة القديمة) الذين خضعوا وسلموا أسلحتهم للحكومة منذ أيام قلائل علمت أن عمر المختار عازم على استئناف القتال وهذا دليل على أن السنوسية قائمة بدعاية واسعة النطاق من أجل توحيد الجبهة والرفع من معنويات المقاتلين في منطقة فزان حتى تتوحد الجبهة الثورية.

وصلتني برقية المارشال (الفريق) بادوليو يوم 9/1/1930 مساء وأنا في أعلى قمة القتال والأعمال العسكرية لأن مجموعة (فراري أورسي) قد زحفت

ذلك الزحف العظيم إلى (واو الكبير) وكنت أعلق عليها آمالاً كبيراً تتوقف على نتيجة الحملة .

لقد جاوبت على الفور رغم أنني كنت فخوراً بهذا العمل الجديد غير أن تعلقي بنتيجة المعركة النهائية كرجل عسكري يعتز بجنديته وقلبي المتعلق بالنتيجة يفرض أن أبقى إلى النهاية التي أعتقد أن تكون آخر فبراير سنة 1930 ليرتاح ضميري وروعي من هذه الناحية ولكي أفرغ للمعارك المقبلة التي تنتظرني هناك في برقة .

وفعلاً رد الفريق (المارشال) بادوليو أن تكون أعمالي في برقة بعد انتهاء الأعمال العسكرية في فزان وانتهت هذه الأعمال كما كان مقدراً حسب الخطط الموضوعة باحتلال واحة (غاث) 1930 / 2 / 25 في نفس اليوم غادرت فزان على متن الطائرة نحو الشمال إلى مدينة طرابلس فوصلت اليوم التالي 1930 / 2 / 26 .

إن الأعمال العسكرية استمرت ثلاثة أشهر تماماً قضيت فيها على كل المجاهدين (الثوار) واحتلت فيه كل منطقة الجنوب وهربت البقية الباقية إلى ناحية الكفرة شرقاً والجزائر غرباً ويوم 1930 / 3 / 8 غادرت طرابلس بعد تسع سنوات في عمل متواصل ولم أكن في يوم من الأيام قد نسيتهما وحين غادرتها أحسست في قرارة نفسي بشعور الفراق للأرض التي عانيت فيها الكثير من الآلام والهزيمة والانتصار . كم من مرة شعرت فيها بأعصاب الجماهير تتوتر وتشتد ولكن بالاجتهاد عرفت كيف أتغلب عليها، وها أنا متجه نحو تعب جديد، ونحو كفاح مرير، واضعاً حظي على كفة القدر هناك في برقة . . ولكني لم استسلم لهذه العواطف وتغلّبت على إحساسي، وكتمت توجعي من هذا الفراق، ورجوعي مرة أخرى لحياتي العسكرية . . والتزمت بأن أبذل جهدي واجتهادي في تحديد كل شيء يخص الوضع الذي أمامي . . والذي سوف أواجهه في مهمتي الجديدة التي سوف أكرس من أجلها كل إيمان و طاقة وحماسة . . وأمام الحشود الكبيرة التي كانت على رصيف ميناء طرابلس، تعود

في بهاء ليلة من ليالي أفريقيا التي تحن لها روحي لتعيد ذكريات ألف ليلة، قضيتها هناك بين التفاؤل والتشاؤم والقلق والعذاب، فوجدت نفسي وحيداً على سطح السفينة التي تحمل معي تلك الذكريات التي تختنق في حلقي وداخل قلبي، وعندما خرجت السفينة من ميناء طرابلس متجهة إلى إيطاليا، جالت في خاطري هذه الكلمة، كلمة الوداع..

«وداعاً طرابلس.. أرض آلامي وعذابي، غير أنه تبقى في روحي وداخل نفسي ذكريات كل حجر مرتفع في جبالك وفي صحرائك الواسعة، ولكن لن ينطفئ أبداً ألمي وعذابي من أجل أفريقيا وأنت يا طرابلس».

وفي روما، كانت تنتظرني الاحتفالات التي يطمح إليها كل جندي مخلص أمين يحظى برضا وتصفيق الزعيم الدوتشي.. ولقد نلت هذا وصفق الزعيم ومجلس الأمة الإيطالي لي في جلسته بتاريخ 1930/3/21، هذا الاحتفاء وهذا الرضا، كانا أعظم مكافأة في حياتي، فلقد جددت في نفسي حب العمل والتضحية في سبيل الواجب الكبير الذي ينتظرني في أفريقيا بجسم متعب بالأعمال التي تحملتها في الماضي، ولكن بالروح والقلب الحريص والحاضر للعمل.. وبعد أن استلمت التعليمات العليا سافرت على السفينة إلى برقة..

ويوم 1930/3/27 وصلت بنغازي التي كنت غادرتها سنة 1914، خلال الحرب العالمية الأولى وكانت رتبتي آنذاك ملازماً أول في الجيش الإيطالي.

التعليمات:

إن التعليمات التي صدرت عن رغبة الزعيم الدوتشي، وقسمت ونظمت من قبل صاحب السيادة دي بونو و«الفريق» المارشال بادليو، بينوا فيها تصميم الحكومة الفاشستية، على القضاء المبرم على الحركة الوطنية «الثورة» مهما كلف ذلك وبكل الطرق والوسائل، لأنها القضية البرقاوية. وهذه التعليمات هي:

1 - تصفية حقيقية لكل العلاقات بين الخاضعين وغير الخاضعين من «الثوار» سواء في قاعدة العلاقات الشخصية أو الأعمال والحركات التجارية .

2 - إعطاء الخاضعين أمناً وحماية ولكن مراقبة لكل نشاطاتهم .

3 - عزل الخاضعين عن أي تأثير سنوسي ومنع أي كائن منعاً باتاً من قبض أي مبالغ من الأعشار والزكاة .

4 - مراقبة مستمرة ودقيقة في الأسواق وقفل الحدود المصرية بكل صرامة بحيث تمنع أي محاولة تموين لقوافل العدو .

5 - التنقية - بنظام - في الأوساط المحلية التي توجد بها عناصر تدعي الوطنية ابتداء بالمدن الكبيرة وخاصة مدينة بنغازي .

6 - تعيين عناصر غير نظامية من الطرابلسيين لكي يكونوا قوة مضادة للمجاهدين وتعنى بتطهير الأقليم من كل تمرد أو «ثورة» .

7 - حركة دقيقة وخفيفة لكل قواتنا «الطلليان» المسلحة في المنطقة، لخلق جو مذبذب ضد كل «الأدوار» والمعسكرات، والضغط عليها حتى تتكبد الخسائر وتشعر بأن قواتنا موجودة دائماً وفي كل مكان مستعدة للهجوم .

8 - الاتجاه السريع للاحتلال الكامل لكل أراضي مستعمرة الكفرة .

وفي حالة مخالفة هذه التعليمات هناك حرية مطلقة في الأعمال وموافقة تامة من الرؤساء المرتاحين إلى ضمان نجاح الخطة الموضوعة، وتنفيذها عند اللزوم أولاً بأول . . ولن تكون هناك نماذج قد تخطىء ولم يكن هناك برنامج موضوع أو تنظيمات . . وقائية وإنما اجتهاد من كل الأطراف وتعاون أكيد من أجل النتيجة النهائية، وهي القضاء المبرم على كل الثوار أينما كانوا وهذا هو المهم .

في سنة 1914، تركت بنغازي في بداية احتلالنا الأول فكانت مدينة صغيرة

مقدمة تركية عربية . . أما الآن فوجدتها مدينة جميلة في تقدم عمراني مزدهر ومرت عليها مسحة من يد المدنية، ولكنني فوجئت بكتل بشرية جامدة جرى في أوصالها سم السنوسية منذ عشرين عاماً تتيجتها عكس ما كنت أحلم به وأتصوره . . كان هناك حشد كبير من ضباط وموظفين ووطنيين إيطاليين، تتجمع تحت شرفة قصر الولاية متعودة أن تتجمع لتحيي القادم الجديد . . في هذا الحشد، لم يكن هناك أي شخص محلي، كنت متعوداً من سنين طويلة، أن أسمع ضمير المحاربين، ولم يكن صعباً علي أن أتخيل الموقف المريب الذي تسلكه هذه التجمعات، وبدأ تغلغل الهمسات بينهم منتظرين أن يسمعوا كلمتي ليعلقوا عليها، كلما جرت العادة عندهم، ولم يكن عندي أقل تفكير بأن ألقى على هذه الجماهير المحتشدة، ولكن فهمت بسرعة أنه يجب أن أوجه إلى هذه الجموع الحافلة والبائسة حتى تستيقظ نفوسها المتهالكة، وبدأت خطابي بكلمات نابغة من صميم فؤادي معبرة عن وجداني . . كانت كلمات ولم تكن شقشقة. كانت صادرة مني بكل عزم.

«أنا لا أريد أن ألقى عليكم خطاباً، ولكن أريد أن أقدم لكم تحياتي وأعبر لكم عن شكري الجزيل على احتفالكم بمقدمي من السلطات المدنية والعسكرية . . ومن كل أهل المدينة «بنغازي». إن الخطابات الموضوعة على الكلام لا تدخل في نشاطي ومهماتي، وأنا أريد نشاطاً وأفعالاً وليس من عادتي أن أشرح برامج وخططاً، ولكن أحب دائماً أن أرتبط بإنجاز الأعمال الهامة . . لست من أصحاب المعجزات، ولا أريد أن تعتقدوا ذلك كما لا أعتقده. أنا لم أخلق أبداً المعجزات، وإنما نتائج أعمال المتواضعة، كان أساسها التماسك والاجتهاد والإصرار على الوصول إلى النتيجة المطلوبة، هذه نفس القاعدة التي سأطبقها في برقة من أجل حل المشاكل وتنفيذ البرامج الموضوعة. ولهذا أطلب من الجميع أقصى التعاون . . أطلب من جميع الضباط وجميع الموظفين . . أطلب من الوطنيين الإيطاليين والمحليين

الليبيين . . أطلب منكم جميعاً المساهمة التامة والعمل الدؤوب المتواصل . .
وأنا أكون المثل الأول في هذا المضمار . أما إذا لزم الحال سأنفذ بنفس العزم
والاجتهاد والضغط بكل قوة على كل ممتنع أو مقاوم . . . إني متعود على
الكلمات الواضحة، وأعتقد أن الصراحة والإخلاص تكون أول قاعدة
الحياة . .

كل الذي قلته، هو الذي أفكر فيه والذي أريده . . إن مهماتي التي أود
القيام بها، سوف تستند على مبادئ الدولة الفاشستية ومبادئ لواء وقائد فيلق
في الجيش الإيطالي وعامل ثابت فيه حالياً، وأعلن للجميع أن مبادئ فاشستية
صافية محضة . . سوف نلتقي مرة أخرى في توضيح الأعمال التي أريد أن
تكون متصلة وقوية، وتبدأ نقطة حركتها مني أنا، بحيث يتبعني الجميع بذلك
وحذق وبنادفاع وحماس .

وأرجو وأتمنى أن تبدأ أعمالنا على التعليمات التي وضعها الزعيم
«الدوتشي» والرؤساء القائمون بأعمال حكومة المستعمرات، وستكون أعمالنا
ناجحة، وفي الآخر ستحل المشكلة ويسود الهدوء والسلام في برقة . . عندما
تستقر هذه الروح مع البيئة القوية ومساندة الحكام مع قوتي الذاتية الخاصة بي،
والتي تميزت بكثير من تجارب الضياع والاسترداد أثناء نضال الحياة والحرب،
ولا يبقى عندي إلا أن أواجه المشكلة بثبات وإصرار . . أعني الجسارة
والفعل» .

الحالة السياسية العامة:

وفي مارس سنة 1930 قام عمر المختار، منذ أربعة أشهر، باستئناف
العدوان «الجهاد» لأنه أثناء الهدنة وبذل توجيه إلى السلام وجه كل جهده في
تنظيم الأدوار والمعسكرات، ونقط تموين القوات بالمواد الغذائية والعتاد لرفع
الروح المعنوية والمادية بين المسلحين بحيث يشعرون بالعزة أمام الشعوب . إن
السكان المحليين الرحل لم يستقر لهم قرار في ناحية معينة، بل أحياناً يتركون

أرض عائلاتهم، ويتوغلون في الدواخل سعياً وراء الرعي والزرع من أجل تنمية حيواناتهم، فدائماً يتعدون عن الأماكن الآهلة بالسكان داخل الأراضي البعيدة مسار عشرات الأيام عن المدن والقرى.

وعلى سبيل المثال فإن نواجع العبيدات يوجد وراء خط القيقب والقبه وعين مارة ومرتوبة إلى ما بعد المخيلي، وكذلك سكان مرمرىكا يتوغلون جنوباً، لأن أراضي الدفنة صعبة المسالك وصحراوية التربة، فالنواجع مبعثرة بين خليج بومبا إلى البردية، وهذه الكتلة البشرية المبعثرة والمتنقلة التي يقوم بإدارتها المتصرفون المعينون من قبل حكومتنا «إيطاليا» الذين يعينون بدورهم أكثر من 160 شيخاً تحت إدارة مدراء النواحي تدفع لهم رواتبهم وأسلحتهم بحيث يقومون بتوطيد دعائم الأمن والاستقرار في نواجع المنطقة ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار أن نفوذ المشايخ ضعيف لأنهم ليسوا من المنطقة وغير معروفين من السكان وهذه سياسة مقصودة بحيث لا تجذب المشايخ العواطف العائلية ويصبحون علينا لا معنا.

بينما في الأوساط المسكونة توجد طبقة أخرى اسمها الأعيان الليبيون وتحصل على هذا التصنيف لقاء راتب تتقاضاه سنوياً ومهمة هؤلاء بث الدعاية لصالح الحكومة الإيطالية والتأثير على عقول الثوار (المجاهدين) لكي ينضوا تحت رايتنا وعدد هؤلاء الأعيان يصل إلى المائة تقريباً وتصرف عليهم الحكومة الإيطالية مليوناً من الفرنكات سنوياً من أجل تمويل عدد كبير من الناس بحيث لا يمكن للعصاة أن يؤثروا عليهم ويصبحوا قوة أخرى تصعب مقاومتها، وتعوق تقدمنا وفي الوقت نفسه إبعادهم عن كل حركة تعوق حالة برقة الغير مستقرة وهناك 2500 رجل من المجندين في الفرق والطلائع «دورية» تحت تصرف المتصرفين وحدهم وتصرف عليهم الحكومة الإيطالية ما يزيد عن عشرة ملايين من الفرنكات سنوياً.

من يجهل طباع الثوار، فهم بسطاء في إمكانك بقليل من المال أن

تستحوذ على قلوبهم، وتصبح مسألة برقة مسألة عسكرية سهلة الحل، لأن اتساع رقعة الأرض وصعوبة المسالك صحراوية وجبلية، فهي صعبة بالتسبة لتحرك القوات العسكرية بمعداتها وأسلحتها ولولا هذه الموانع الطبيعية، لكان في الإمكان أن نقضي على حركة الثوار «المجاهدين» ومن يسانداهم، لأن العدد قليل ومن السهل القضاء عليه لولا هذه الموانع.

إن الثوار الخارجين على القانون «المجاهدين» احتموا في هذه البقاع الأمر الذي حملنا خسائر كثيرة وسيظل يحملنا من الخسائر والتضحيات وسفك الدماء ما لا حد له. . . وكذلك مؤلمة حيث يمكن من أثرها أن نفقد كرامتنا وسيطرتنا على هذه الأراضي المحرقة.

أهل الثورة:

رأينا أن محمد المهدي السنوسي رئيس أو شيخ الطريقة السنوسية كان مدفوعاً بجشعه وطموحه اللانهائي. . . وتأثره بالدعاية التي تبثها الصحافة الإسلامية ضد حكمنا وكذلك الدعاية الشيوعية المتفشية آنذاك وكل هذه الأمور تجعل إدريس السنوسي يتعالى ويرى نفسه عظيماً بينما لم يكن يحلم في يوم من الأيام أن يصل إلى هذه المكانة المرموقة فقد أنعمت عليه إيطاليا بلقب أمير وجعلت له دستوراً ومجالس نيابية ورغم هذه الامتيازات، التي لم ينلها أي عربي في الشرق العربي والمغرب العربي فقد نقض كل التعهدات والاتفاقات التي أبرمتها الحكومة الإيطالية وهي:

1 - اتفاقية عكرمة، 16/4/1916..

2 - اتفاقية الرجمة، 21/10/1920.

3 - اتفاقية يو مريم لإقرار مسألة الزوايا السنوسية.

ويريد كذلك بعد هذا كله، أن يفرض إرادته علينا من أجل أن يكون الحاكم المطلق على برقة بمساعدة الشعب والدعاية المغرضة التي عرف كيف

يبثها بينهم وبعد الاطلاع على كافة هذه النوايا، التي تتكون منها الثورة والعصيان ونوايا السنوسي نحونا فلا بد من اتخاذ الاحتياطات اللازمة، لمجابهة هذه النوايا وتوجيه الضربة في صميم جوانبها الحياتية. إن السنوسية ابتعدت عن أهدافها السامية التي أسست من أجلها وهي بث روح الدين الإسلامي بين الشعوب، وأهم هذه الأعمال إرشاد الضالين عن طريق الهدى ونشر القرآن وتدريسه في كل زمان ومكان، هذه المبادئ السامية التي أهملت كلياً من السنوسيين وأتباعهم وقد استغل السنوسيون جهل السكان وسذاجتهم وبثوا في قلوبهم بذور الكراهية والخلافات، وأبعدوهم عن طريق السلم والعمل المفيد للبشرية، ولكن شغف السنوسيين بحب السلطة، واستغلال الفقراء والمساكين، وتسخيرهم لخدمتهم تحت مسوح الإسلام، ويمكن القول أن السنوسية فضلت الخوض في بحر السياسة وترك تلك الطريقة المحمدية العظيمة التي سلكها السنوسيون الأوائل وأصبحت السنوسية تطمح إلى أن تكون دولة، فتركوا حلقات الذكر وتطلعوا إلى الجلوس على الكراسي وترك الشعب الليبي يتخبط في ظلمات الفقر والجهل والمرض. هذه هي صفات السنوسيين الحاليين وزعيمهم، وهمهم الوحيد الحصول على المزيد من الأموال والجاه والمزيد من التلاعب بالمقدرات الإنسانية وأعظم ما يقومون به من تثقيف الناس هو تحفيظهم بعض سور القرآن دون أي تغير في شؤون الحياة المعيشية، فكل ما هناك أشياء بدائية دون التوجه نحو التطور ومن هنا نتساءل ما الذي قدمته الهيئة السنوسية للشعب الليبي من خدمات اجتماعية وإنسانية، لا يوجد هناك إلا النذر اليسير والتستر وراء الدين حتى أصبحت أعمالهم تشابه أعمال العصابات.

ولننظر الآن ما قدمته السنوسية من أعمال مادية ومعنوية للمجتمع الليبي في برقة.. عندما قامت قواتنا باحتلال برقة وجدنا الشعب المسكين يعاني من الأمراض والتخلف مما لا شبيه لها في الأمم الأخرى.. فأمرض التراخوما

متفشية بصورة مذهلة، خصوصاً في المدن، وكذلك التدرن الرئوي، ولا توجد هيئة صحية ولا مبادئ صحية إلا بعض الإسعافات الأولية لدى الأتراك، والدجالون يجلسون على أرصفة الطرق ليصطادوا المريض ويكتبوا له تعويذات يسمونها حجاباً للشفاء من المرض أو يكونونه بالنار. . وفي مجال العلم لم تكن هناك إلا الكتاتيب لتحفيظ القرآن، وهذا ليس فقهاً. . والتخلف الاجتماعي كان جامعاً في كل أنحاء المستعمرة وكنا نسمع من أفواه من هم أعلى ثقافة، بل من أكبر الأخوان السنوسيين، مثل السيد الرضا، الذي كان عندما يتحدث عن المرأة يبدأ كلامه بقوله: «أجلك الله» كأنه يتكلم عن حيوان مكروه، أو شيء خبيث بينما المرأة هي بشر يمثل نصف المجتمع، خلقها الله وميزها عن جميع المخلوقات معززة مكرمة بينما يعتبرها هؤلاء المتأخرون خبيثة. . وأناس هذه أفكارهم يجب محاربتهم بلا شك وتطهير المجتمع من أعمالهم. . ولكن البعض يقول إن الطريقة السنوسية أتت لنشر تعاليم القرآن التي كادت أن تفقد وتنسى في الشمال الأفريقي، وكذلك لم ترع في بعض المناطق، كما أن البعض يقول إن السنوسية قامت بأعمال كثيرة منها تأسيس الكتاتيب والزوايا أينما وضعوا أرجلهم وهذا لا ينكره أحد، ولكن انحرفت بعد وفاة محمد المهدي عن طريق سيرها الذي رسمه السنوسي الأول لتوعية الشعوب توعية دينية ولكن الآخرين أصبحوا يغيرون اتجاههم ويعقدون الاجتماعات السرية والمؤتمرات السياسية والتآمر ضد دول أوروبا. وهذا ما تعرفه بريطانيا وفرنسا من الثوار السنوسيين في السودان وأفريقيا الاستوائية. . نعم إن السنوسية أسست في برقة زوايا ومدارس قرآنية ولكن لم تكن لهذا الغرض، بل كانت فقط انطلاقاً لقواتهم ضدنا وضد من يسالمننا ولكن بعد معاهدة «أوشي» قامت السنوسية بتسترها وراء الدين فكانت تدعو الناس (للجهاد) من أجل أن تكون لها دولة بالأخص في الواحات، وبالفعل قامت بجمع الزكاة من السكان من أجل أن تسلح نفسها حتى تثبت حكمها على سكان هذه الواحات، وإذا نظرنا إلى تصرف السنوسية واغتصابها لحقوق الناس

من أجل أن تفرض سلطانها وتستغل السكان في كل شيء وتسخرهم في توطيد دعائم حكم السنوسية والحفاظ على كيائها وتمتعها بكل الخيرات التي يقدمها سكان الواحات المساكين. . ولما كانت عقيدة السكان فيهم كبيرة وعن حسن نية، فقد استنفدت السنوسية قواهم، ونشرت بينهم كراهيتهم وعداوتهم الواضحة لنا. . وهكذا استحوذوا على عقول البسطاء وسحبوا منهم آلاف البنادق التي اشترت ووزعت عليهم من قبل سلطاتنا السابقة إبان الاتفاقيات الفاشلة.

قوات «المجاهدين» وتنظيماتهم العسكرية:

المسلحون «الثوار»، ينقسمون إلى ثلاثة تجمعات «أدوار» وكل دور منها يسمى بالقبيلة التي تموله وتمده بالرجال والأسلحة وهي قبائل: «العواقير»، و«البراغيث» و«البراعصة» و«الدرسة» و«العبيدات» وكلمة «دور» أو «أدوار»، تعني المعسكر أو المعسكرات التي يتجمع فيها الجنود وتعتبر مقراً للقيادات العسكرية والاجتماعية والسياسية، وكل «دور» يقوم بشؤون نفسه من ناحية الجنود والأسلحة والمؤن. . أما التحركات فهناك «قيادة عليا» هي التي توجه القوات للقتال في كل المناطق، وأن أكثر جنود «الثوار» من نفس القبائل لأننا اكتشفنا في حوزة كل قتيل أو أسير بطاقة شخصية معطاة لهم من المتصرفيات المختلفة. . وهذا دليل واضح على أن سكان المدن والقرى يتعاونون تعاوناً وثيقاً مع كل «الثوار» المجاهدين لأن الأدوار لم تستقر في مكان معلوم بحيث يمكننا أن نوجه قواتنا نحوهم، فهم يملكون الإبل ويتوغلون في الجبال والشعاب المجهولة، وهذه التحركات تساعدكم أن يختفوا عن أنظارنا ويصعب على قواتنا أن تسلك مسلكهم. وهناك في الغابات الكثيفة ينقلون المؤن والذخيرة والأطفال والنساء، وكذلك الدواب والأغنام والخيام يضعونها في مأمن بعيد عن الاعتداءات. . وفي بعض الأوقات تتحمل نساء «الثوار» مشقة القيام مع ذويهن في «النواجع» وفي «المدن» تحت خطر الوشاية بهن فيتسللن

فيما بعد إلى المعسكرات ويقمن بتضميد الجرحى من الجنود وعند الاحتكاك بقواتنا، يقمن بمد المقاتلين بالمياه والذخيرة، وعندما يشتد القتال يقمن بحشو البنادق بالذخيرة بحيث لا يضيع المقاتل وقته في حشو البنادق وينقلن الجرحى إلى المخيمات للعلاج والتمريض، ثم قيادة قوافل الإبل لحمل المياه والمؤن للمقاتلين في المدن.

وفي كل «دور» مقاتلون «فرسان» يمتطون خيولهم، والبعض الآخر راجل، علاوة على حاكم يسمى قائمقام للأحوال المدنية.. وهناك القاضي الشرعي وممول للجنود والضباط برتبة ضابط.. وكل «الأدوار» الموجودة فوق الجبل تخضع لقائد واحد هو المعروف لدى جميع القبائل.. «عمر المختار»، الذي كان يسمى ويوقع الأوامر والمنشورات باسم «النائب العام» وعلى العموم فهو «قائد حركة الثوار» وحسب اعتقادي فليس عمر المختار بالرجل الذكي الخارق للعادة كما يقال عنه، ولكن بجرأته استطاع دائماً أن يفلت من الحصار الذي كنا نحيطه به دائماً. وعمر المختار رجل بدوي مثل الآخرين ليس مثقفاً وليس له أي فكر في أن يتطور.. بل متزمت فوق اللزوم. وكان يعتمد على «الشيخ الفضيل بو عمر» في كتاباته ومراسلاته السياسية، والاجتماعية. وبعد وفاته، اعتمد على «يوسف بو رحيل» في جميع هذه الأمور⁽¹⁾.

وقد أطلعنا على هذا سلك المخابرات، معتمداً على خبراء محليين بقولهم: إن عمر المختار يخبىء هو وجماعته من المجاهدين بين الأدغال الكثيفة، ولم يجرؤ أن يقابل قواتنا وجهاً لوجه وحين يشعر بقواتنا تضغط بشدة، وتكاد أن تقبض عليه يلجأ للهرب والتوغل في الدواخل، ولكن رغم ضرباتنا القوية التي نوجهها له ونقتل الكثير من أتباعه، فإنه كان دائماً قوياً

(1) هذا غير صحيح عن رجل شغل وظيفة شيخ زاوية بالسودان وزاوية القصور ببرقة وهو متفقه في الدين والعلوم وحافظ للقرآن الكريم. أما أن يختار من معاونه في الكتابة فذلك راجع لكبر سنه.. «المرجم».

ومستمرأ في «ثورته» ودائماً يسد الفراغ الذي نحدثه في صفوفه بعناصر شابة أخرى، زد على ذلك تمكنه من الحصول على البطاقات الشخصية لأتباعه من جميع متصرفياتنا، فعندما تقبض دورياتنا على أي شخص تشتبه فيه تجده يحمل البطاقة الشخصية بأنه خاضع للحكومتنا فنضطر لإطلاق سراحه . . . وهكذا في كل الأمور فإن «الثوار» المجاهدين يتجولون في المدن والقرى، يشترون ما يلزمهم من ملابس ومأكولات و«سراً» الأسلحة، وكذلك المعلومات عن تحركاتنا العسكرية، كل هذه الأعمال، يقوم بها أتباع «عمر المختار» وبمساعدة سكان المدن والقرى الذين يخفون هؤلاء «الثوار» في بيوتهم ومخيماتهم بحجة أنهم من أقربائهم الخاضعين لسلطاننا، بينما في الواقع هم «الثوار» أعداؤنا. وقد سئل الحسن الرضا أمام مشايخ وأعيان «مدينة بنغازي» عن كيفية استمرار عمر المختار في «الثورة» رغم الخسائر التي لحقته من قواتنا فأجاب بأن أتباعه يتسللون إلى المدن والقرى لشراء ما يلزم للمجاهدين حتى السلاح ينالونه بواسطة المجندين، والتجار الليبيون يقدمون المالية من ورق وفضة وذهب، وأضاف الحسن الرضا: أنه بعد انتهاء كل معركة يحصر عدد القتلى منهم وإلى أي قبيلة ينتمون ثم يرسل إلى هذه القبيلة أن تعوض عدد القتلى بعدد مساو آخر بحيث لا يحصل النقصان، وفعلاً ترسل القبيلة العدد المطلوب مجهزة بكل شيء: ملابس، سلاح، مؤن . . . إلخ . . . والأغرب من كل هذا أن القبيلة إذا لم تجد العدد المطلوب تدفع لعمر المختار 1000 فرنك عن كل قتيل من قبيلتها لكي يجند بها العدد اللازم من المهاجرين أو الخارجين الموجودين في القطر المصري. وكل محارب ومقاتل يمكن القول أن قبيلته هي التي تدفع تكاليفه لأنه رغم تسليحه ومده بكل ما يحتاج إليه تدفع القبيلة كذلك «الزكاة» العينية أو النقدية، هذا خلاف ما ينهبونه من الحيوانات والأمتعة من السكان والأهالي.

ويسأل الحسن مرة أخرى . . . ثم ماذا؟ ويجيب وهنالك علاقات أخرى من

وراء الحدود الشرقية هي أن «السيد إدريس» وصفى الدين، يستقبلون المواشي والأمتعة المنهوبة فيبيعونها ثم يشترون بثمنها مؤناً وأمتعة وسلاحاً، يرسلونها إلى المجاهدين في الجبل رغم حراستنا المشددة على طول الحدود المصرية، ولكن التسلل دائماً يحدث وباستمرار.. وهذا ما صرح به الحسن الرضا السنوسي.

إن سكان الصحراء المصرية الملاصقة للحدود الليبية البرقاوية جلهم من الليبيين المهاجرين، لهذا يتعذر علينا مراقبة الحدود نظراً لبعدها الشاسع ووعورة اجتيازها كما أن هؤلاء «الثوار» سكان الصحراء معظمهم من كل القبائل: طرابلسيين - مصراتيين - ورفلة - مغاربة - براعصة - أعبيدات، وقادة من الإخوان السنوسيين وبعض الهاربين من المتطوعين في جيشنا ولا ندري بعددهم قد يكونون عشرة آلاف أو عشرين ألفاً. وبعضهم أو أكثرهم من مصراتة يعيشون في المدن مثل الفيوم - الإسكندرية - القاهرة وغيرها.. هؤلاء يعملون بالتهريب، وهذا يعود ضرره على برقة بصفة خاصة وعلى المستعمرة بصورة عامة لأنها كلها تعمل خاصة لتمويل «الثوار» وكل الأدوار الموجودة في برقة.

ومن الإحصائيات المقدمة لنا من «السيد سيلفيوسكو شيمارا» تبين أنه من أول يناير سنة 1930، وصلت بضائع إلى ميناء السلوم بلغت 9823 طناً معظمها من السكر والأرز والشاي والدقيق وغيرها بينما في سنة 1930، كان مجموع البضائع الواصلة إلى ميناء السلوم 6323 طناً. ولو نظرنا إلى عدد سكان مدينة السلوم لعرفنا أنه لا يمكن أن يستهلك أكثر من 3500 طن من البضائع المختلفة في السنة، وهذا بناء على الإحصائيات المدروسة من «السيد سكو شيمارا» نفسه، وعليه فقد ثبت أن هناك تهريباً للبضائع إلى دواخل برقة وهذه الدراسات جلبت انتباه السلطات الإيطالية في عام 1930، إن فرق هذه البضائع الذي يقدر بستة (6000) آلاف طن كلها تهرب بواسطة القوافل إلى أدوار «الثوار» في برقة،

هذا بالإضافة إلى مئات الأطنان من البضائع تهرب من دواخل مصر عن طريق الصحراء الغربية، لأن الأسعار تختلف عن أسعارنا، فمثلاً كيلو السكر المهرب يساوي فرنكين، بينما سعر حكومتنا خمسة فرنكات. وهكذا سعر كل البضائع من التبغ والأرز والدقيق كلها تأتيهم رخيصة عن طريق التهريب، بينما أسواقنا مراقبة وأسعارها أعلى من أسعار البضائع المهربة كذلك كل المواشي المنهوبة من القبائل الخاضعة لسلطاننا بعد نهبها تباع في أسواق مصر ويشتري بأثمانها مواد غذائية وسلاح وملابس وغيرها مما أدى إلى ركود التجارة في أسواقنا، وعلى كل حال فنشاط التهريب بدرجة عالية مكن السنوسيين من المقاومة المستمرة مع المراقبة الشديدة من «جنود الأدوار» بحيث يمكنهم حماية هذه البضائع والسلع المهربة، فتصل إلى الأدوار سليمة دون أن يتعرض لها أي كائن. وإذا أردنا أن يسود الأمن والهدوء في برقة يجب أن نطبق الآتي:

- 1 - محاربة السنوسية وجهاً لوجه والعمل على عزل الشعوب عن تأثير السنوسية بكل الطرق.
- 2 - استعدادات عسكرية دقيقة لمقاتلة «الأدوار» بحيث نتمكن من الحصول على الأرض المحكومة من هذه الأدوار.
- 3 - كذلك، استعدادات سياسية أكثر رقابة على الخاضعين لحكمنا وتحديد طريقة تمويلهم بحيث لا يمكن إمداد «الثوار» بالمواد الغذائية وغيرها ومراقبة الحدود الشرقية مراقبة جدية حتى نتمكن من القضاء على حركة التهريب.
- 4 - نزع السلاح من كل السكان.
- 5 - تخفيض القوات غير النظامية تدريجياً مثل الجنود المتطوعين المحليين «الليبيين» بحيث يمكننا أن نقضي على تسرب المؤن والسلاح والأموال إلى «الثوار» ونحرمهم من هذا المورد الهائل الذي يهرب على حسابنا.

6 - استعدادات قضائية، وهي الحكم بالإعدام على كل من يخطيء من المحليين الليبيين مهما كان الجرم تافهاً وبالأخص ضد الهاربين، وذلك استناداً على القرار الصادر في 1929/6/27 حيث يخول الحاكم العام تعطيل كل الأحكام المدنية وإصدار الأحكام على المجرمين من الحاكم نفسه، وكذلك يخول للحاكم العام أن «يكون المحكمة الطائرة» التي تنتقل فيها إلى أي مكان لمحاكمة الثوار.

7 - استعدادات اقتصادية ومواصلة الأعمال في إنهاء الطرق التي رسمها الوزير والحاكم العام المارشال بادوليو، والتي لم تبدأ بعد من جراء العمليات الحربية.

إن شق الطرق حاجة ضرورية نتم بها سيطرتنا وعزتنا في المستعمرات، لأن عمر المختار يرى في نفسه العقبة الوحيدة التي تمنع سير الأعمال في مشروعات الطرق الممهدة.

8 - دراسة سريعة لكل ما يتصل بمخيمات الخاضعين لسلطاننا وطريقة اتصالاتها بالثوار التي يسميها عمر المختار «الحكومة الليبية».

إلى أن يثبت حكمنا في المستعمرات ونعمل على ازدهارها «كذا». وتقدمها والتي ضحينا من أجلها بالكثير، ليس بالعمليات العسكرية البسيطة، بل بقوات أكبر وبكل الوسائل التربوية والاقتصادية والاجتماعية. . . وعندها سنعمل على التغلب على الثوار وتشكيلاتهم تدريجياً، وهذا واضح سواء في الماضي القريب أو الحاضر، أسوة بالدول الاستعمارية الأخرى. فتجربتنا في القطر الطرابلسي وما يتمتع به من ازدهار ظهر لنا في الفترة من سنة 1921 إلى 1930 بالحكم المطلق على الأرض، فأصبح القطر الطرابلسي يسوده السلام والطمأنينة.

إن عمر المختار، الذي أضفى على نفسه صورة الرجل الذي لا يقهر

وأسطورة الزمن . . يجب أن نعامله بنفس الطريقة التي استعملناها في القطر الطرابلسي، وهي قتله مع جماعته بالتدريج، وتضييق الخناق عليه في كل الميادين إلى أن يخضع لسلطتنا . . أو يباد هو وجماعته بالجوع والعطش وبالحديد والنار.

تنظيم أراضي المستعمرة وترتيبها من حيث المناطق:

في السنين الماضية القريبة، كان نظام حكمنا تقريباً مدنياً لأن السلطات كانت في يد المتصرفين وكل منهم يعمل من ناحيته على انفراد، ويرجع في تصرفاته إلى الحاكم العام، ولهذا فالجهود متفككة وغير منسقة في الإجراء، كل يعمل على حسابه وحسب معرفته، من أجل أن يجد الحلول المناسبة لجميع قضايا المستعمرة . . وهذا هو السبب الذي أدى إلى كثير من الخسائر والأغلاط الفنية . . وحاولنا أن نتحاشى ذلك كل هذه السنين، ولكننا دائماً نفشل في تحقيقها لأن المتصرفين دائماً كانوا يتمسكون بالقوانين الطبيعية، والمميزات الطبقية المتبعة في المستعمرات.

في سنة 1923 دخلت الحكومة في طور جديد، بحيث ترجع إلى الوراثة من أجل أن تضع نقطة انطلاق جديدة مرتكزة على مبدئين: السياسة الفاشستية والأنظمة العسكرية . . ولكن هذه الحركة وهي الرجوع إلى الوراثة طبعاً، ستحدث تضارباً في الأنظمة العسكرية والمدنية، وكذلك في شؤون المخابرات التي كانت كلها مصدر صعوبات وقلق . . فإذا أردنا أن نسير سيراً حسناً ونتغلب على هذه الحواجز والعقبات، لا بد من أن نجمع كل هذه الأنظمة أو السلطات في ناحية واحدة، وهي السلطات العسكرية، حيث تكون مساندة للأعمال المدنية وشرطة المخابرات.

إن تجربة تسع سنوات في القطر الطرابلسي، علمتنا كيف نكون دقيقين في كل الأعمال والأحوال، وأن نحسن التقدير بحيث تيسر أعمال الحكومة حسب الخطة المرسومة. وبهذه الطريقة يمكننا أن نتلافى أخطاءنا بسهولة وبكل

سرعة، ومنتاسق في كل خطواتنا ما دام هناك إخلاص في نوايانا من حيث إصلاح كل الأغلاط التي حدثت، أو كادت تجرنا إلى أضرار جسيمة وصعبة وغير ممترة لصالح الجميع.

وفي مارس 1930 كانت هناك خمس متصرفيات وهي:

- 1 - متصرفية العواقر.
- 2 - متصرفية المرج.
- 3 - متصرفية شحات.
- 4 - متصرفية درنة.
- 5 - متصرفية مرماريكا، (البطنان) أو طبرق، بمديريات مختلفة.

أما القيادة العسكرية في منطقة الجبل فتشمل:

المتصرفيات الثلاث: المرج، شحات ودرنة، هذه التنظيمات التي تنقصها الدقة وتقتضي تغييراً جذرياً في العنوان والقيادة سواء في الميدان المدني أو العسكري.

وقد برز فوق مسرح الأحداث «عمر المختار».. القائد المطلق.. وقد كانت أنظمتنا المختلفة تواجه هذا القائد، وأحياناً تشتبك قواتنا مع بعضها البعض نظراً لعدم توحيد الخطط.. ففي سرت حاكم عسكري مقره مدينة أجدابيا لأن الحرب مستمرة في تلك المنطقة على خط العرض 29، وفي منطقة البطنان كان الحكم مدنياً وتنقصها الحركة العسكرية فهي معرضة دائماً لهجوم الثوار، ولحركة التهريب من الحدود الشرقية.

وفي 31 مارس تم إدماج المتصرفيات الثلاث: المرج وشحات ودرنة تحت اسم واحد «متصرفية الجبل» مركزها «المرج» وبجانبها القيادة العسكرية.. وهكذا تتوحد الأعمال المدنية والعسكرية، وتصبح شحات ودرنة ملحقات خاضعة للقيادة العامة في الجبل.

وقد اخترت بنفسني (الكلام لغراسياني المؤلف) لهذه المهمة المتصرف (داوديأتشي) لما له من همة عالية ومقدرة خارقة، وله معرفة وإلمام بالشؤون المحلية، وبالأخص العرب سكان المنطقة، وكذلك له طرق خاصة في التعاون وتسهيل الأمور. أما متصرفية البطانان، فقد تغيرت إلى «منطقة عسكرية» يحكمها حاكم عسكري لمكافحة حركة التهريب. و«متصرفية العواقر» مركزها بنغازي، وبجانبها الحكم العسكري، فبقيت كما هي دون أي تغيير. كذلك «منطقة أجدايا» العسكرية لم يجر عليها أي تغيير.

وهكذا أصبحت المستعمرة منتظمة في إدارتها المدنية والعسكرية. بعد هذا ألقيت خطاباً بينت فيه كل الأعمال والمجهودات التي لا بد من أن تبذل في تحقيق أهداف الدولة. كل منا عليه أن يكون في مستوى المسؤولية، ويجب أن يسود الأعمال النظام والتعاون، وأن تتماسك القوات العاملة في الميدانين المدني والعسكري. . ولا أريد أن أقول حسب المثل القديم (الكل للواحد والواحد للكل)، بل يجب أن نقول كلنا لإيطاليا من أجل مجدها، وتوطيد حكمها لكي نحافظ عليها مهما يكن الأمر.

هذا الخطاب سرى مفعوله في كل الأوساط الحكومية وغير الحكومية وبدأ نشاط العاملين الذين فهموا مغزى هذه التصريحات، فأخذوا يسارعون في تحقيقها بكل جد واجتهاد، لكي يبرهنوا للدولة على أنهم عاملون من أجل الحكومة.

وفي يوم 31 مارس، صدرت البيانات إلى كل السلطات من أجل توضيح موقف الشعب المحلي - أي موقف الليبيين الخاضعين للسلطات الإيطالية - ويستمر الخطاب: بعد الاطلاع على كل القرارات والمعلومات المقدمة من «قلم الاستخبارات»، اتضح أنها كلها مصدر للاضطرابات والاتصالات الخفية بين الخاضعين لسلطاننا والثوار «المجاهدين»، والتفاعل فيما بينها في كل الميادين والنشاطات، وأنا أعلم أن هذه الحركات الجديدة التي قمت بتنظيمها،

جعلت الرأي العام يأخذ فكرة جدية بأن الحكومة أخذت تضغط من ناحيتها على هذه الاتصالات والتفاعلات، بحيث يشعر «الثوار» أن الوضع تغير، وأصبح موقفهم حرجاً ولذلك كان الكلام واضحاً وجلياً بالنسبة للشعب الليبي ورؤسائه من المشايخ، حسب الخطة التي وضحتها في كلماته صاحب السعادة «المارشال بادوليو» الحاكم العام . .

وبدأت في اليوم الأول من شهر أبريل جولاتي في متصرفيات الجبل : (المرج - شحات - درنة) . . وفي أثناء هذه التجولات تحدثت إلى الوجهاء المحليين، ووضحت لهم أن الحركات التمديدية المعمول بها في الأحوال السابقة، والمحجوبة من العنصر العربي، قد تغيرت جذرياً ويجب اتباع النقاط التالية :

- 1 - خضوع بلا قيد ولا شرط إلى قوانين الدولة الفاشستية، وتطبيقها بحيث ينبثق من خلالها السلام، ويكون رومانياً خالصاً.
- 2 - ولكي نصل إلى النهاية لم تكن هناك تدخلات من أي كائن للتعرض لتنفيذ رغبات الدولة من أجل الوصول إلى أهدافها.
- 3 - يفرض على أفراد الشعب الليبي، الخاضعين لسلطاتنا قطع كل العلاقات مع الثوار «المجاهدين» كذلك منعهم من دفع الأعشار وغيرها من الإتاوات المفروضة على السكان من جانب الثوار.
- 4 - يفرض على الشعب الليبي أن يهب إلى معاونة السلطات مستقبلاً ضد الثوار «المجاهدين» مع قوة الشرطة التي كانت موضوعة للدفاع فقط وأن السكان كان موقفهم كاذباً وغير واضح في التعاون معنا.
- 5 - التطبيق وبدون تحديد الضغوط الجنائية ضد الهاربين من القانون.

بعد هذا بأيام قليلة عقد اجتماع مع المتصرفين في بنغازي حيث ناقشوا الخطة التي يجب أن تسير عليها أعمال الحكومة الجديدة وهي النقاط التالية :

- 1 - عزل كلي لكافة السكان الخاضعين لسلطاننا عن الثوار .
- 2 - استعمال سياسة النزوح وطريقة استجلاب السكان إلى القاعدة دون أن تتأثر كرامة الحكومة في أي شيء مهما كان ضئيلاً، وكذلك تخفيف طريقة نزع السلاح ومراقبة طرق تهريب الأسلحة والذخيرة إلى الثوار .
- 3 - الضغط الشديد على السكان المحليين لقطع علاقاتهم مع الدور أي معسكرات الثوار بشتى الطرق، سواء بالمحاكمات وإثبات التهم الشديدة بحيث يكون الليبي متهماً وينفذ فيه (حكم الإعدام) أو السجن المؤبد للإرهاب، وبحيث تخف الحركة العدائية وتهريب المؤن والعتاد الحربي .
- 4 - ربط العلاقات بين القوات المسلحة وقوة الشرطة لكي يضبط الأمن العام في المنطقة، وكذلك التعاون فيما بينها عند اعتداءات الثوار على أية منطقة دون أن ينتظروا الأوامر العليا بل يتصرفوا فوراً في كل الأمور .
- 5 - تقريب المعسكرات إلى بعضها تدريجياً بحيث يمكنها أن تواجه الثوار في جبهة موحدة مهما كانت الأحوال .
- 6 - تغيير الأسلحة حالاً على علاتها الموجودة في يد القوات غير النظامية من نوع 1891 إلى النوع الآخر 78 - 70 بحيث نضع حداً لحركة تهريب الأسلحة والذخيرة .

هذه النقاط بلا شك سيكون لها تأثير كبير وتردع من غلواء بعض المغرورين بحيث يجنحون قليلاً إلى الهدوء . وكذلك هي الحركة الحاسمة للوصول إلى تحطيم الثوار (المجاهدين) . ومن أجل أن نتقل من فترة الكلام إلى فترة العمل ، وفي يوم 4 أبريل صدر أمر بتشكيل المحكمة الخاصة بالمرج حيث تعقد جلستها الأولى لمحاكمة اثنين من الليبيين المتهمين بقتل المواطن الإيطالي (قاروفلو) التي حدثت من وقت مضى وكذلك محاكمة ثلاثة آخرين بتهمة تعاونهم مع الثوار . وقد حكمت عليهم المحكمة (بالإعدام) فنفذ في

المتهمين الأولين شنعاً بينما الثلاثة الآخرون تغير الحكم إلى السجن ثلاثين سنة. وهو الحكم الأول من المحكمة الخاصة بخصوص التعاون مع الثوار (المجاهدين).

ومن وراء هذا تبين للرأي المحلي أن المحكمة سوف تكون قاسية ودون هوادة حتى يفهم أننا لا زلنا رحيمين بالنسبة للمتهمين. فالحكومة من الآن فصاعداً ستكون أشد مما كانت عليه من قبل.

وعلى أثر هذه الآراء صدر البيان التالي مباشرة بعد تكوين المحكمة الخاصة نشر في كل أنحاء المستعمرة، وهذا هو البيان:

«إلى الرؤساء والمشايخ والشعب البرقاوي. . بالأمس تكونت المحكمة الخاصة بالمرج من أجل أن تحاكم الجناة الذين قتلوا المواطنين الإيطالي (قاروفلو). وقد صدر عليهم حكم الإعدام وتنفذ فيهم هذا اليوم في مدينة المرج، وقد حكمت المحكمة على ثلاثة آخرين بالإعدام لتعاونهم مع الثوار ولكن بخصوص هؤلاء الثلاثة أرادت الحكومة أن تكون سخية ورحيمة فأبدلت حكم الإعدام بالسجن لمدة ثلاثين سنة ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم.

رؤساء ومشايخ الشعب البرقاوي. . هذا الحديث يبين لكم بأن أي تعاون مع الثوار يعتبر خيانة عظمى ضد الدولة الإيطالية وجزاء الخيانة معروف فمن الآن وصاعداً لن يكون الجزاء بمخالفة أو سجن، وإنما الحكم بالإعدام. وإذا غيرنا الحكم الآن من الإعدام إلى ثلاثين سنة سجنًا فلنبرهن مرة أخرى بأن الحكومة لا زالت سخية ورحيمة.

لقد أنذرتكم وقد أعذر من أنذر. وعلى كل حال فقد وضعت الخطوط الأساسية للبرامج التي يجب اتباعها وقد ارتفع صوتي بها في كل مكان من المدينة إلى القرية إلى الحقول حتى إلى الصحراء البعيدة، وعلى الموظفين المحليين العمل لوضع الكلام موضع العمل المتواصل بكل جهد واجتهاد إلى

النهاية . كما قال الحاكم (المارشال بادوليو) كلمته المأثورة (لا تتراخوا) . . (أي شدوا بقوة) . ومن ناحية أخرى كل أحد عرف الطريق الذي عليه أن يسلكه .

وإن الحكومة حملت على كاهلها حملاً ثقيلاً هو احترام العادات والتقاليد والديانة والنساء، ومن أجل هذه المبادئ فقد أبلغت الحكومة الشعب عن طريق القضاة والجريدة المحلية (بريد برق) وهذا هو البيان المترجم والمنشور على الجريدة:

«كل من عاش في المستعمرات كثيراً أو قليلاً، لا بد وأن يحترم واقعياً دون نقاش، التقاليد والعادات والديانة والنساء .

لأن الدولة الحاكمة لها وجهة سياسية من حيث التقدم والمدنية فلا بد لها من أن تحافظ على كرامتها وتجعل نفسها في أعلى الدرجات حتى يهابها المحكومون . . ومع كل الأسف أن بعضاً من ضباطنا لم يراعوا هذه المبادئ، بل حدثت منهم أعمال غير مشرفة، أثرت على كرامة دولتنا، وقد لاقوا جزاءهم في هذه الأحوال . غير أنه يجب أن نشعر السكان المحليين، أي الليبيين، بأننا (أعلى منهم درجات) في المدنية والأخلاق والمعنوية . . هكذا قال صاحب السعادة الحاكم العام . .

ولكن إذا كان ينقص من كرامتنا، ويحط من قيمة علم وطننا، فقد ينتج عنه مضاعفات أخرى تناقض هذه المبادئ .

على الضباط والموظفين أن يعبروا عن هذه الحقيقة المطلقة لهذه الكلمات، ويبرهنوا بأنهم فهموها . فالسكان المحليون - أي الليبيون - أحسوا بأن الحكومة قوية في كلامها وقوية في ضغطها . . إذا حاول أحد أن يغير برامجها . . القوات المسلحة على استعداد» .

لما استلم المارشال بادوليو الحكم في ليبيا قبل كل شيء وحد الإدارة، ووضع مشروع السنوات الخمس، ثم وجه جهوده في تنظيم القوات

المسلحة . . هذا التنظيم يختص بتخفيض العدد الضخم الذي كان عليه الجيش في المستعمرات . . في طرابلس كانت القوات تحتاج للتدريب على الحروب الصحراوية من أجل احتلال منطقة فزان . هذه الإجراءات العسكرية أنتجت احتلال الفزان بكل نجاح . .

وهكذا أصبحت المنطقة الجنوبية من ليبيا تحت سيطرتنا تماماً، وأصبحت بقية القوات مهمتها المحافظة على المدن الساحلية . . أما في برقة فإن قوة الجيش الدائمة عددها (23000) ثلاثة وعشرون ألف جندي خفض إلى (13000) ثلاثة عشر ألفاً . وكان هذا العدد موضوعاً لحماية أعمال الطرق في منطقة الجبل ومن أجل هذا خفض الجيش إلى النصف تقريباً . فنصف العدد يفيد أكثر عندما يكون منتظماً ومزوداً بعناصر قوية ومتفهمة، فيمكن الوصول إلى الأهداف المنشودة بسرعة وبإقدام، خير من أن يكون العدد ضعف أضعافه بدون نظام . .

وقد لاحظ (عمر المختار) هذا التغير فاعتقد أنه من أثر ضغطه على الأماكن المجاورة، وعلاوة على ذلك في يوم 13 يونيو 1929 وصل إلى قلعة عقبة المرج، ولكي يحسن تخفية سوء نيته، أطلق نداءه المشهور داعياً إلى الهدوء والسلام .

«تجولوا حيثما تشاءون وكيفما تشاءون . الغوا الاستحكامات لأنها لم تعد صالحة في برقة، ولم تعد هناك حرب لأنها انتهت» .

وكذلك كان فكره البسيط والبدائي، لأنه كان يفكر بعقلية البداوة، ولأنه عاش في هذه البيئة . . بيئة البداوة، وهو شيخ من مشايخها . . فكان يعتقد أن تخفيض القوات من صالحه، وتخفيف الضغط عليه، لأن كثرة القوات يضطر أمامها أن يقسم قواته، وهنا لا يستطيع أن يواجه قواتنا مواجهة حقيقية . ولذلك بتفكيره البسيط استمر في اعتقاده أنه بتخفيض قواتنا، أصبح الانتصار علينا عنده حقيقة واقعة، ولم يدر بأن التخفيض كان مقصوداً . . ولذلك فكانت

غلطة القائد البدوي فاحشة في هذا التقدير.. وكذلك جماعة (مواعيد القهاوي) أو المقاهي أكدوا بأن المكاسب الخيالية التي كانوا ينعمون بها قد تلاشت بتخفيض القوات المسلحة العاملة في الحرب. فالحوادث المقبلة ستبرهن لنا بكل وضوح، أن القوات التي كانت مرابطة في برقة، كان في الإمكان أن نحتل بها واحة الكفرة النائية.. وكذلك إخضاع التمرد في الجبل الأخضر، وحماية أعمال الطرق الجارية، وقفل الحدود الشرقية - أي الحدود المصرية - وحماية (نواجع) الخاضعين لسلطاننا ومراعيهم.. وحيواناتهم. وفي كلمة واحدة فالقوات التي ذكرناها كان في الإمكان بها القضاء المبرم على الثوار في برقة أو من يتعامل معهم.. إذن ما هي معجزة بعض الخبز وبعض السمك؟.

«إن هذه الثورة» كانت أتفه حاجة عند الناس؟.

لا هذا ولا ذاك..

وإنما هي صفر في مكان الرقم لإتمام الاحتياطات الخصوصية. لتوظيف طواير كثيرة في هذه الحرب دون نتيجة، وتكاليف باهظة. فيجب أن يكون هناك توازن حقيقي بين النهاية ووسائلها، بحيث نصل إلى الهدف الأخير. ولكن المعالجة ما هي إلا توظيف قوات وعتاد، مكونة من قوات الجيش النظامية والأقسام غير المنظمة (ثوار ودوريات) بالجيش النظامية خاضعة لقيادة الجيش.. بينما بقية التنظيمات خاضعة للمتصرفين. وهذه الأعمال المختلفة توجد ارتباكاً في تسيير دفعة الحرب لا يتصوره أحد يحسن التفكير، لأنه يكون هناك جيشان وقيادتان مقياسان مختلفان يتوظفان فوق أرض واحدة، بينما هي تحتاج إلى توحيد عملي في هذه الأنظمة.. فالمتصرفون باندفاع جيد أحياناً يكونون على رأس أقسامهم غير النظاميين يخوضون المعارك ويدفعون الثمن غالباً من دمائهم، ولكن هذا لا ينزع الأخطاء الجذرية التي بها تضيع كل المطامع أو المطامح أو التقديرات المختلفة للحالة الجارية.

وكان معروفاً بأن القوات غير النظامية أو الدوريات ما هي إلا مورد كبير (لعمر المختار) في كل المجالات العسكرية والاقتصادية، من حيث الأسلحة والعتاد الحربي وكذلك التموين. ولكن بالرغم من هذا فإن هذه القوات تدافع معنا جنباً إلى جنب وبصدق، ولكن شخصيتهم ضعيفة جداً أمام هذه القوات المزدوجة. بحيث يسهل خداعهم وسحبهم إلى جانب الثوار (يعني المجاهدين). . . وقد اخترنا هذا الموضوع في عدة مراحل، وكان كل متصرف يقسم باستمرار ولاء هؤلاء الجنود غير النظاميين وإخلاصهم، غير أن القائد العسكري ينفي هذا الولاء وينكره. وبكل هذه الدراسات لا بد وأن نصل إلى الأهداف تدريجياً بعد إخراجها إلى حيز الوجود. وفي الواقع قبل أن نبدأ في حل القوات غير النظامية، حاولنا بكل الطرق وبكل الوسائل بأن نرفع من روحهم المعنوية، ومدى إخلاصهم لنا.

من أجل هذه الأعمال وفي 6 مايو أصدرت البيانات التالية «بحث شامل لحالة نشاط القوات البوليسية التي كلفت الحكومة الكثير في ميزانية المستعمرات. والواقع أن مجموع جنود الثوار المحليين والدوريات بلغ 2188 جندياً من بينهم ألف فارس وبرواتب تقدر بحوالي عشرة ملايين وأربعمائة وثلاثة وثمانون ألفاً ومائة وإثنان وأربعون فرنكاً. وزيادة على ذلك فكل السلطات العسكرية والمدنية والشرطة، ثبت لدينا بأنها تتاجر مع الثوار (يعني المجاهدين) ومع الخاضعين لحكمنا. وعن طريقهم تتسرب الأسلحة والذخائر وجزء من مرتباتهم وبكلمة واحدة يعتبرون ممولين (لعمر المختار) وأدواره أي معسكراته. وهذا عمل إيجابي يجعلهم دائماً في موقف المدافعين لا المهاجمين.

لو أن 2188 جندياً محلياً صدقوا منهم 500 جندي فقط لقضي على (عمر المختار) وأتباعه في أيام قليلة، ويمكن أن نستنتج أن مشروعية هذه الأعمال بالنسبة للجيش والشرطة كانت في غير صالحنا. . . وقد اتضح أثناء العمليات أن

كل الأدوار تتكون من عناصر يعتبرون أقارب للعرب الخاضعين لحكمنا. ومن هنا يتبين بأن تمويل وتسليح الثوار يأتي عن طريق هؤلاء الخاضعين لحكمنا. وهذه هي العقدة المزمنة التي يجب علينا أن نتخلص منها بكل الوسائل. . . وكذلك التغلب عليها.

إن قصة الدفاع عن النواجع والمراعي غير صحيح، ولا كاف بأن نقول إنه يجب أن نصرف عشرة ملايين ونصف من الفرنكات التي تذهب إلى جيوب المستغلين سواء كانوا خاضعين لحكمنا أم ثواراً. كل هذه الأعمال المريضة يجب أن تنتهي. . . ولا بد من إيجاد علاج ناجع لهذا المرض المزمن، وهو ليس بالأخير للقضاء على الثورة. . . من أجل ذلك على النواجع من اليوم فصاعداً أن يتهياؤوا للانتقال إلى الأماكن التي ستحددها لها السلطات المحلية بناء على التعليمات التالية:

1 - إن نواجع الخاضعين لحكمنا يجب أن توضع تحت رقابة دائمة ومتجمعة في مكان واحد ومنطقة رعوية واحدة، بحيث يمكن الدفاع عنها من غارات الثوار (يعني المجاهدين) هذا الدفاع لا يتحقق إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار الصيغة التالية:

(أن تنهوا التواطؤ وتقطعوا العلاقات أياً كان نوعها مع الأدوار، وأن تمتنعوا عن دفع الأعشار، وعندها ستكونون سعداء وسيسود الهدوء، لتعيشوا حياة أفضل بدل أن تستسلموا للضعف، وإذا تماديت في الثورة فلن تكون هناك قوة تمنع الحكومة من اتخاذ الإجراءات القاسية تجاهكم.

2 - وعلى ضوء هذه الأعمال لا بد وأن نستغني عن خدمات الكثيرين من المتطوعين في سلك الشرطة. فالذي نحتاج إليه هو ذلك العدد القليل منهم لحراسة النواجع ومراقبتها. أما بقية المراكز فلا بد من إلغائها لأنها أصبحت غير مجدية.

3 - إن قوات الشرطة المحلية يجب أن تكون تشكيلات عضوية للدفاع البعيد، ولا يجب أن تكون مهمتها في عمليات هجومية، لأننا لم نطمئن لحركاتهم، بل يجب أن تكون محددة وبسيطة. بحيث يكونون بقرب الأماكن التي يمكن الحصول فيها على الأعشار وبحيث تخلق فيما بينهم روح النفور والإشمئزاز من هذه الأعمال التي ترغبم الذين استغني عن أعمالهم في الجندية والشرطة بالبحث عن عمل في مجالات أعمال الطرق، وهنا تبدأ الاعتداءات على نواجع الخاضعين لسلطاننا. وهذه الأموال يمكننا استغلالها لصالحنا. وبهذا يمكن ضرب عصفورين بحجر واحد. أما أن يستسلموا أو يموتوا جوعاً وعطشاً. لأن المبالغ التي كانت تصرف لهم من جانب الدولة كجنود متطوعين وشرطة، جاءت بعكس ما كان متظراً فساعدوا الثوار على الاستمرار في القتال.

4 - إن قوات الشرطة يجب أن تتسلح ببنادق فقط من طراز 70-78.

5 - استعمال هذه القوات يجب أن تكون متحركة، ونتيجتها أن تنزل إلى الميدان وجهاً لوجه، ضد قوات أدوار المجاهدين. لأنه لا يفل الحديد إلا الحديد.

6 - إن قوات الشرطة تخضع تحت إدارة المتصرفية، وتكون موجهة من الإدارة العسكرية التابعة للمتصرفية.

7 - الجنود المتطوعون يجب استغلالهم إلى أبعد حد، بشكل متوازٍ مع قواتنا المسلحة. وبهذه الأعمال نكون قد استفدنا منهم استفادة عسكرية وعملية.

إن تغيير الأسلحة لجنودنا المتطوعين العرب من بنادق نوع (91) إلى بنادق 70 - 78 أثبت تأثيراً كبيراً على الثوار (يعني المجاهدين) لانقطاع تهريب البنادق والذخيرة فأصبح الثوار جنوداً بلا سلاح، وقد ثبت لي هذا فيما بعد من (عمر

المختار) نفسه . ولكن رغم تحفظنا وتشددنا ، فقد تسربت هذه الأسلحة الجديدة إلى أيدي الثوار عن طريق الوطنيين المندسين بين صفوفنا ، وكذلك الذين يقاسموننا الحياة داخل المدن . فهم كذلك يظهرون لنا الولاء ولكنهم يعملون ضدنا في الخفاء . فهم الوسيلة الوحيدة التي استعصى علينا اكتشافها . وإن تسريح معظم الجنود العرب الخاضعين لسلطاتنا كان في صالحنا من عدة نواح منها تخفيف الضغط المادي على خزانة الحكومة . . وكذلك الحصول على الكثير من الأسلحة التي كانت بأيدي الجنود العرب الذين كانوا يعملون في معسكراتنا .

وعند إجراء بحث كامتحان ومقارنة وبين الحالة في برقة والحالة في طرابلس ، نجد الفرق شاسعاً بين الحالتين . . فكل ما صرف في احتلال طرابلس مرة ثانية كان لا يتناسب مع ما نصرفه الآن في الحرب البرقاوية التي من أجلها سجل علينا اللوم من السلطات العليا ، وانتقدنا في تصرفاتنا بلهجة شديدة لم يسبق لها مثيل . رغم ما كنا نستفيده من المشايخ والعمد ورؤساء القبائل نتيجة إخلاصهم لنا وتعاونهم معنا . ولم نسجل ولو حادثة واحدة منها .

وفي الواقع أن حركة (الثورة) في القطر الطرابلسي تختلف كلياً عن الحركة في القطر البرقاوي ، لأنه كان محدوداً في حد ذاته ، وأمكنا القضاء على هذه الثورة بسهولة . لأنهم كانوا متفرقين . . كل مجموعة تعمل على حدة . أما في برقة فالثورة كانت عامة منها الظاهر ومنها الخفي . وهناك قوة تدفع بها في الميدان لتتمركز وتسيطر على العقول البسيطة سائرة بها إلى هوة الدمار . . هذه القوة هي العقيدة الدينية السنوسية التي عرفت كيف تخدع وكيف تسيطر . أما تجاه ناحية سلطاتنا فلم يكن هناك تفاهم ولا أمل في إصلاح ذات البين . فالمعارك مستمرة بالسيف وكما يقال (العين بالعين والسن بالسن) . ومن أجل هذه الحقيقة فقد اختفى من الميدان كل الجنود العرب الخاضعين لنا والمتطوعين في جيشنا ، وقد اقتصدت خزانة دولتنا ما يزيد عن عشرة ملايين

من الفرנקات كانت تصرف كلها مرتبات ومساعدات لأناس عملوا دائماً بوجهين: معنا وعلينا. وقد انتزع إلى الأبد الاستغلال الفاحش لأموال الدولة من الانتهازيين.

القوات النظامية:

في شهر نوفمبر 1929 استؤنف العدوان من جانب (عمر المختار) بعدما تأكد من أننا ضاعفنا قواتنا، وبدأنا في تنظيم وحداتنا التي أخذت منا كل جهد وتعب.. فانتهاز هذه الفرصة واستأنف القتال بينما نحن لا زلنا في دور التنظيم والتخطيط. وفي شهر مارس 1930 بعد مضي خمسة شهور في قتال وعداء مستمر، وصلت فيها قواتنا النظامية إلى الترتيب التالي:

- 1 - كتيبة القناصة الأفريقية.
- 2 - فرقة من الميليشيا الفاشيستية.
- 3 - مجموعة من فرقة الدروع واحدة للقناصة واثنان للميليشيا.
- 4 - كتيبتان من الليبيين (السابعة والعاشرة).
- 5 - خمسة كتائب من الأريتريين المختلطة.
- 6 - جماعة من حراس الحدود المدرعة.
- 7 - خمس سرايا من الفرسان وتسمى (صواري).
- 8 - سريتان من الهجانة.
- 9 - ثلاث بطاريات أو حواشد من المدفعية (المدرعة أو الميدانية).
- 10 - أربعة أسراب من الطائرات.

مجموع ما معها رئاسة وأعمال 12,500 جندي. أما القوات العاملة التي تهمنا من قريب فقد كانت مكونة من:

- 1 - كتيبتان من الجنود الليبيين.

- 2 - خمس كتائب من الأريتريين .
- 3 - خمس سرايا من الفرسان أو (الصواري) .
- 4 - سريتان من الهجانة .
- 5 - ثلاث سرايا من الدبابات المدرعة السريعة .
- 6 - جماعة من المتخصصين في سلاح الدروع - أي الدبابات الثقيلة - وكذلك شرطة الحدود .
- 7 - ثلاث بطاريات أو حشود المدفعية الميدانية .
- 8 - أربعة أسراب من الطائرات .

أما الأقسام الليبية فلم تقم بالأعمال الموكولة لها لأن تأثير عمر المختار في صفوفهم كان كبيراً . لأن أتباعه كانوا مهندسين بين الجنود، يبثون في صفوفهم العقيدة والجهاد بحيث أنهم في الوقت المناسب يفرون بأسلحتهم وأمتعتهم . وكان رئيس الثوار (يعني المجاهدين) يهددهم إذا لم يفعلوا ويهربوا إلى صفوفهم سوف يدفعون الثمن هم وأسرهم بل وكل قبيلتهم في مصير مفجع مثل هذا . أو عمل يد سوداء طويلة وخفية تهدد هؤلاء المساكين الذين لا حول لهم ولا قوة بحيث لا يمكنهم الاعتراض على هذا الضغط والظلم . واستبداد السنوسيين الذين لا هم لهم إلا التهديد والوعيد على المسالمين في المدن . . ولكن هذا لا يهم (عمر المختار) . فكل اجتهاده ورغبته في أن تكون صفوفه مليئة بالمجاهدين أو الثوار . وكذلك لا يهمه إن مات عشرة أو خمسون أو مائة من الليبيين .

فالمهم عنده أن يصل الجندي الهارب بأمتعته وسلاحه ، وكذلك يحمل معه معلومات عن خططنا الحربية وأنه لأمر عجيب .

وهذا ما أثبتته لنا واعترف به حسن الرضا السنوسي ، الذي أكد لنا بأنه أثناء المعارك كان الجنود الليبيون يتركون على الأرض الذخيرة والعتاد والأسلحة

مبعثرة، وبعد انتهاء المعركة يتسلل الثوار أثناء الليل ويستحوذون على هذه الذخيرة والعتاد من أجل استعمالها ضدنا.

إن قلوب رؤساء هؤلاء الجنود وصدورهم المليئة بالأوسمة والنياشين وآثار الجروح والعاهات التي بقيت على أجسادهم، تجعلنا نعطف عليهم من صميم قلوبنا. ولكنهم برهنوا على عكس ذلك، الأمر الذي جعلنا نجزم بأنهم يلعبون على حبلين: معنا وضدنا. وعلى ضوء هذه التحاليل المؤلمة التي أوصلتنا نهائياً إلى حل هذه التشكيلات الليبية باستثناء سرايا الفرسان والمشاة المسلحة بينادق (ماوسير) صنع نمساوي، بحيث يمنع التسرب لأنها لا تنطبق مع أسلحة الثوار (يعني المجاهدين) لأنها من نوع 91.

وهذا الإجراء أثر تأثيراً كبيراً على نفسية الضباط الكبار الذين حاربوا بشجاعة وإخلاص، لأنني أعرفهم جيداً. . فيهم من هو درجتي العسكرية وكانوا موضع الاحترام من كافة أقسامهم وجنودهم الذين كانوا في يوم من الأيام يحملون رايات الشرف والانتصار وأوسمة البطولة. وأتذكر أن أحد قادة الكتائب اعترف لي بأن كتيبته لم يهرب منها أحد سوى 19 جندياً خلال أحد عشر شهراً. أما الكتيبتان الليبيتان اللتان سرحتا فحل محلهما جنود من الأريتريين، الأمر الذي جعل (عمر المختار) عاجزاً عن مواجهة هذه الضربات ومرة أخرى يحس بأنه حرم من موارد كانت تساعد على الاستمرار في الثورة. وعلمنا هذا من (عمر المختار) نفسه عندما وقع بين أيدينا. بهذه التغيرات التي طرأت على قوات الجيش، لم يحدث أي ارتفاع في الميزانية رغم ما جدد فيها من تنظيم.

ولزوم هذا التنظيم الجذري في قوات الجيش، من أجل تكوين قوات صحراوية مجهزة أحسن تجهيز، لتقوم بعمليات احتلال واحات الكفرة وكذلك بالنسبة لسرايا الهجانة حصل تغيير من سرايا فرسان الصحراء. . أصبحوا مجموعات صحراوية مستقلة وقوية بذاتها.

إن الكتائب الأريتيرية خفضت إلى عددها الفعلي بعد إدخال التحسينات على تنظيمها . . أما مجموعات المدافع الرشاشة فقد حلت مع إبقاء قسم منها لكل كتيبة .

ونتيجة لهذا التغيير يتكون جسم عسكري سريع الحركة ، وبخفة متناهية تصلح لمواجهة الأحداث - من ناحية - ويستطيع أن يخوض المعارك فوق الجبل من ناحية أخرى ، وتتحرك في اتجاه الصحراء على خط طويل بحيث يسهل علينا احتلال واحات الكفرة .

وفي الختام بعد إجراء التخفيضات والتغييرات أصبحت قواتنا المتحركة كالنحو التالي :

ثمان كتائب أريتيرية .

ثلاث سرايا مدرعات سريعة .

مجموعة متخصصة في الدبابات لخفر الحدود .

فئتان من الجنود الصحراوية .

أربع سرايا من الفرسان (صواري) .

بطارتان من المدفعية المتحركة .

أربعة أسراب من الطائرات الحربية .

وعلاوة على هذه القوات المتحركة والمنتظمة هناك قوى أخرى تعمل داخل الأماكن المأهولة بالسكان ، للقيام بالخدمات العامة وتنفيذها :

1 - فرقة من الميليشيا الفاشيستية .

1 - كتيبة من القناصة .

1 - مجموعة من الجنود الليبيين في الحامية تتكون من حاملي أوسمة الشجاعة من الفرق المنحلة . لكي يؤدوا الخدمات في العمليات الحربية . ويشغلوا الشجرة المفتوحة في قواتنا .

- 1 - مجموعة من القوات المتحركة مكونة من (500) خمسمائة سيارة .
- 1 - مجموعة من المواصلات السلوكية واللاسلكية تتكون من (65) خمسة وستين محطة إرسال منها ثابتة والأخرى متنقلة ومجموع الأسلاك الممتدة للتلفراف طولها (1200) ألف ومائتا كيلومتر . وبالجملية (مع القيادات المختلفة والأقسام الصغيرة) تعد (13000) ثلاثة عشر ألف رجل تقريباً وعدد (3700) ثلاثة آلاف وسبعمائة دابة و(20) عشرون طائرة .

المناطق العسكرية:

إن الرئاسات المتحركة، والأنظمة الموضوعية، والخدمات المبعثرة في هذه الرقعة الواسعة من المستعمرة، كانت موضوعية على أسس غير صحيحة، وبصورة يخيل لنا أنها اقتصادية . وفي الواقع هي بعيدة كل البعد عن مبدأ الاقتصاد . فتوجد في مواقع لا لزوم لوجودها، بينما بعض المواقع مثل الجبل الأخضر يحتاج لتكامل القوات وتقويتها، من أجل القضاء على (عمر المختار) وأتباعه . ولهذا فإن الأرض الواسعة تنقسم - كما ذكرت - إلى أربعة أقسام كبيرة:

اثنان من رئاسة المناطق يتوسطان الأعمال السياسية والعسكرية في المنطقتين: (منطقة البطان) و(منطقة سرت) وهناك علامات تحدد كلا منهما في حدود.

رئاستان متوسطتان في الأرض الوسطى توجد (أعمال سياسية وعسكرية ممتازة) . . وهي: (الرئاسة العسكرية في الجبل) و(رئاسة العواقر في سهل بنغازي).

في هذا الميدان الواسع المترامي الأطراف، الذي تبلغ مساحته (700,000) كيلومتر مربع (ما يعادل مرتين مساحة إيطاليا في حدودها الجديدة) تعمل القوات المتحركة الآتية:

أ - في البطنان أو كما يسمونها (مماركا):

- 1 - كتية من الأريتريين .
- 1 - سرية من المدرعات السريعة .
- 1 - مجموعة من الدبابات الثقيلة خاصة بشرطة الحدود الشرقية .
- 1 - سرب من الطائرات .

ب - في أرض الجبل توجد:

- 4 - أربع كتائب من الأريتريين .
- 4 - أربع سرايا من الفرسان مجموعة في أربعة تجمعات متحركة (تكون كتية وسرية) .

- 1 - سرية من المدرعات السريعة .
- 1 - سرب من الطائرات .

ج - في أرض العواقر توجد:

- 3 - ثلاث كتائب من الأريتريين .
- 1 - سرب من الطائرات .

د - في منطقة سرت توجد:

- 2 - مجموعتان من سلاح الهجانة أي جنود الصحراء .
- 1 - سرية من المدرعات السريعة .
- 1 - سرب من الطائرات .

تعليمات حربية فوق الجبل:

في أثناء العمليات الحربية التي قامت بها قواتنا البسيطة . . الموضوع على أسس سليمة وسريعة، تنفيذاً لتعاليم الفريق أو المارشال بادوليو حاكم ليبيا

العام كانت متمشية ومتوازية مع حركة تخفيض القوات من كافة أنواعها . . هذه الحركة استغلها العدو (يعني المجاهدين) الذي يكون أحياناً في موقف المهاجم وأحياناً أخرى يكون في موقف المدافع، ويقتصر على النهب والسلب والفرار دون أي استقرار، حتى لا يمكننا من توجيه ضرباتنا. ودائماً يفلت من كل حصار يضرب حوله. هذه التعليمات بلغت إلى كل قواتنا حتى أصغر نقطة حربية، أو أصغر سرية. لكي يتمكنوا من إيجاد حركة مستمرة في المنطقة بكل جد وإخلاص، وبكل ذكاء وانتباه. وعندها يمكننا أن نتصر ونحقق ما نصبو إليه من القضاء على العدو (يعني عمر المختار) وأتباعه وسحقه.

اتضح لي أن تحركات قواتنا العسكرية واستخدامها في الميدان تركت طابعاً يعادل مبادئ أساسيين:

1 - القيام بالحركة بعدد قليل كلما أمكن ذلك.

2 - احتلال الأرض باستمرارية الحركة.

من غير هذه المبادئ، يمكننا أن نحتل الأرض مائة مرة وفي مائة نقطة ولكن لا نستطيع أن نثبت فيها إلا إذا احتلنا الأماكن التي من ورائها. في الحالة العملية يلاحظ أن قوات الثوار في أوقات مترددة أحياناً متجمعة، وأحياناً أخرى متفرقة لتضطرم بكل حرية مع قواتنا، دون أن نتحصل على أية نتيجة. ومن هنا يتبين لنا أن (عمر المختار) يتبجح أمام الشعوب بأنه سيد الموقف، وأن كرامتنا قد ديست من قبل قواته المظفرة، حتى ولو جندت إيطاليا قوات تعادل عشرين مرة قواتها الكبيرة العاملة.

ومن ناحية أخرى، فإن أحسن استعمال للقوات يكون بالتجمع . . أفضل من أن تكون على مجموعات صغيرة، حيث يمكن التغلب عليها. وتأتي بتائج ضعيفة تعتبر ضعفاً للدولة يؤثر على مكانتها وكرامتها.

وفي كلمة واحدة . . يجب أن تتحرك هذه القوات باستمرار، حتى ولو كان في الفراغ دون أن نلتقي بجنود العدو (يعني المجاهدين).

بهذه الأعمال يجب أن نشعر العدو بأننا أصحاب الأرض دائماً
وباستمرار!!

فإذا استهلكنا في هذه الحركة الكثير من أقسامنا، فليس مهماً.. ويجب
أن نستمر. وكذلك يجب ألا نفكر في الثمن والخسارة، بل يجب أن نصرف
علناً لكي نتحصل على أعلى النتائج بالنسبة للمجهود الحربي. وفي الوقت
نفسه نضغط للإسراع والتوسع في أعمال الطرق دون انقطاع، مهما كلفنا
ذلك. وعدم الاستمرار في هذه الأعمال، تعطي فكرة للشوار بأننا عاجزون..
لكي نحقق هاتين النقطتين الهامتين يجب أن نعمل الآتي:

تكوين مجموعات من الشرطة المتحركة السياسية والعسكرية.

وحركة عسكرية من أجل البحث عن مراكز العدو يعني (المجاهدين)
والوصول إلى ضرب تجمعاته في مواقعها.

حركة سياسية من أجل مراقبة الخاضعين لسلطاننا في نواجعهم ومخيماتهم
في أوقات متعددة، وخصوصاً التي يشته فيها بأن لها اتصالات مباشرة بالأدوار
لأنها تنتهز فرصة تساهلنا في المراقبة، فتتغلغل بين الصفوف من أجل الحصول
على المؤن والأسلحة من هذه النواجع.

ولهذا يفرض على المجموعات المتحركة، الاستمرار في هذه الحركة.
وكذلك بعضهم يجب أن يجعلوا أنفسهم من أتباع الدور للحصول على أخبار
الشوار وتحركاتهم. وهذه الأمور لا تسند إلا إلى الذين تتوافر فيهم الثقة
والإخلاص للدولة الإيطالية الفاشيستية.

وبناء على النقاط السابقة، فالمخابرات واستكشاف الطائرات لأماكن الشوار
ونقط ارتكازها، يجب التحرك باستمرار والضغط على مراكز التجمع
ومهاجمتها أينما وجدت.. بحيث تمنع اتصال القوات ببعضها وتترك الشعب
يشعر بخطر الموت الذي يسيطر على أماكنهم، ويبعدهم عن التواطؤ مع

الآخرين . وبكلمة واحدة يجب أن تكون قواتنا مصدر قلق وخوف لجميع الثوار ومتصرف الجبل في التنظيم الحالي يجب أن يكون نقطة التجمع لكل المخابرات ، سواء كانت سرية أو علنية لكي يرسلها بدوره إلى الرئاسة العليا ، وإلى الحاكم بعد التأكد من صحتها . وكذلك توزع على جميع قادة الوحدات في منطقة الجبل الأخضر .

إن المجموعات يجب عليها أن لا تكون إقامتها في منطقة ثابتة ، بل متحركة في كل المناطق . بحيث يشعر العدو (يعني المجاهدين) بأننا موجودون بكامل قواتنا في كل مكان . . كذلك أثناء التوقف يجب أن تكون هناك حراسة شديدة لدرء خطر الهجوم المفاجيء .

وأثناء التحركات يجب أن نبحت في كل زاوية من الأرض من أجل الاستكشافات والبحوث العلمية ومصاحبتها للقوات العسكرية . وبعض الطلائع الأمامية تقوم بالاستطلاع على مسافة طويلة بعيدة ، ولا يجب أن ننزعج إذا ضاعت إحدى هذه الطلائع لأن الحرب والقتال معناه ضياع رجال وعتاد .

هؤلاء الرجال هم العيون الحقيقية والمضمونة لأن الطائرات لا يمكنها أن تكشف لنا مقر الثوار مهما تمعنت في ذلك . لأنه في بعض الأماكن تتعذر الرؤية . ولهذا يعتمد كثيراً على الرجال في هذه الحالة . وقد تعودنا كثيراً على استعمال الطائرات في كل شيء ، وبالأخص في استكشاف تحركات العدو (يعني المجاهدين) ونقل نواجعه . وننسى استكشاف الأرض التي نحارب من أجلها والتي يجب أن تكون موضع دراستنا ورقابتنا من قريب وبعيد . ولتحقيق هذه الأغراض يجب أن نوجد خبراء مخلصين يعرفون الأرض بقعة بقعة ، وكذلك مخبرين صادقين يحملون لنا الأخبار الصحيحة . وتمشياً مع هذه الأوضاع لا بد أن نتوازي معها لتسهيل لنا العمليات الحربية .

زد على ذلك أن تنقلات القوات وتحركاتها يكون نسبياً حسبما يتطلبه الموقف الحربي داخل الأراضي المحتلة . ولكن هذا لا يعني أن القوات

المخصصة لناحية من النواحي تبقى في مكانها لا تتحرك حتى تؤمر بل بالعكس يجب أن تتحرك وتقدم المساعدات الجانبية إلى من يستحق النجدة أينما وجدت، بحيث نفوت على العدو الفرصة حتى لا يتغلب على أية مفرزة من مفرزاتنا العسكرية، وهنا تتدخل القيادة العليا لإعطاء الأوامر في الحين. وعلى هذا الأساس فكل القادة يجب أن يتذكروا أن كل نقط الارتكاز في أي جبهة، حساسة ومناسبة حيث يلتجئ إليها العدو (يعني المجاهدين) عند الضرورة باعتبارها ممراً مسدوداً وهناك أهمية أخرى وهي معرفة هذه المناطق بدقة وبطبيعة الحال نحن نجهل هذه المواقع.

ولكي نتغلب على هذه الظاهرة ونجتازها يجب أن يكون هناك تعاون وارتباط بين القادة وكذلك تناسق بين أوامرهم.

والعمليات العسكرية تكون بمجموعات متحركة (كتائب الفرسان، المدفعية والمشاة) كلها يجب أن تكون محمية بالسلاح الجوي.

إن المجموعة المتحركة هي وحدة واحدة في كل شيء في دقة التخطيط المادي والمعنوي.

كذلك العمليات الحربية يجب أن تتخللها قوة الملاحظة والتشجيع وانتهاز الفرصة وتثبيت الهجوم ومنافسات بين الوحدات للحصول على النصر المؤزر. بالإضافة إلى الإحساس بالمسؤولية وتوازن الأعمال بحيث نتحصل على نتائج مرضية.

إن أعمال المجموعات المتحركة تكون داخل نطاق اختصاصها ولكن يمكنها أن تخرج منها كما ذكرت سابقاً وكما هو مبين أعلاه.

وكذلك على المجموعة المتحركة أن تؤمن الأراضي المناطة بها للدفاع عنها دائماً دفاعاً إيجابياً وعلاوة على ذلك يجب إبعاد أي خطر في أية بقعة من هذه الأرض متى تتطلبها.

أما المجموعات غير النظامية الطرابلسية والبرقاوية فأعمالها التحرك وحراسة مخيمات الخاضعين لحكمنا حسبما يتطلبه الموقف من دفاع.

أما المجموعات النظامية فمهمتها المحافظة على نفس الأراضي ومحلات الحراسة وبيوت ومحلات وعمال الطرق وحماية المرور عليها، وبأوامر عليا، تتوسع هذه المجموعات في أماكن بعيدة بخطوط متسعة. . وتتحرك في نقاط معلومة، بحيث يمكنها مواجهة العدو في أماكن متبادلة. فالمجموعات المتحركة حرة من الروتين السياسي، الذي أحياناً يتعارض مع العمل وتجعله مبهماً. وهذا دائماً في صالح دور (الثوار). هؤلاء يجب علينا أن نحصرهم ونتبعهم أينما وجدوا وننتهز كل فرصة للقضاء عليهم، وكل يوم رجل برجل وهذه سنة الحرب التي نقاتل من أجلها بكل حماس. فالمهم أن نقتنع بكل انتصار وتقدم حتى ولو كان بسيطاً. فهو مهم.

وعلى ضوء هذا يمكن التغلب عليهم بالمفاجآت. لأنهم دائماً ينسون أنفسهم ويعيشون تحت أي خيمة أو أي أرض. فعلى رجالنا أن يقاتلوا بهجوم، وأن يقللوا من إطلاق الرصاص، وأن يعتمدوا دائماً على الهجوم بالسلاح الأبيض، كما يجب ألا يكون هناك توقف أو استراحة. . بل استمرار في مقاومة العدو (يعني المجاهدين) ليس بالمثل فحسب، بل أكثر حركة وسرعة. إن واجبات حاكم المنطقة هي التنظيم، وتحديد المواقع، وتحمل المسؤولية بكل شجاعة وإقدام. . وبحيث تكون في النهاية منتجة ومفيدة.

وفوق هذه الدراسات لا يمكن وضع قانون دقيق بل يجب الاعتماد على تفكير قائد الكتيبة أو المجموعة، لأنه يعرف حالة ضباطه وجنوده المادية والمعنوية. كذلك يعرف كيف يقسم أفراد كل واحد في مكانه الذي يحسن الإنتاج فيه. إن القيادة العسكرية هي كذلك بمحاذاة هذه العمليات وما يترتب عليها من مسؤوليات. كل المسؤولين البارزين في القوات العسكرية والمدنية من القائد العام إلى الضباط وإلى الجندي، عليهم أن يعرفوا ويتذكروا دائماً بأن

كل الأعمال القائمين بها والمسؤولين عنها والمناظرة بهم، أعمال خطيرة من أجل المحافظة على كرامة العلم وعزة الوطن، ولكي نكون على أساس متين في النظام المدني والعسكري الحالي ومن أجل أن نتابع تحركات الثورة البرقاوية بلا شك سنقضي عليها نهائياً⁽¹⁾.

نزع السلاح من الشعب الليبي:

إن الأساس المتين الذي يثبت سيطرتنا في المستعمرات هو نزع السلاح من الشعب والسكان المحليين الليبيين ومن غير هذا لا يمكن أن تنفذ سلطة القانون، أو يقوم استتباب الأمن وضمان الأراضي.

إن الشعب الليبي بأسره كان في سنة 1922م مسلحاً بأسلحة حربية من كل نوع وبتوسع، ومأخوذة من عدة مصادر... هذه المصادر هي:

- 1 - قبل كل شيء الغنائم من المعارك التي خسرناها أثناء الاحتلال الأول.
- 2 - ثم الاستيلاء على مخازن الأسلحة إبان انقلابات سنة 1915م.
- 3 - وكذلك الإمدادات من الدولة التركية والألمانية.
- 4 - وأخيراً التهريب عن طريق الحدود وبالأخص الشرقية.

إن الإحصاءات التي أثبتت بعد نزع السلاح... أنه في العمليات الحربية التي جرت في القطر الطرابلسي من سنة 1922 إلى سنة 1928 فعلاً، سلمت إلى سلطاتنا (40,000) أربعين ألف بندقية حربية، ومن بعدها في مناطق الشويرف والجمادة وفزان تقريباً (10,000) عشرة آلاف بندقية حربية، وفي إقليم برقة ما يقارب (20,000) عشرين ألف بندقية حربية ولم يكن نزاعاً عاماً.

(1) هذه هي التعليمات التي وجهتها القيادة العليا إلى المحاربين فوق الجبل «لله در المجاهدين الأبرار الذين حركوا القيادة العليا الفاشيستية من روما إلى جنوب ليبيا إلى مجاهل الصحراء الكبرى والقذف بكل قواها من طائرات ودبابات ضد أناس أقوياء بإيمانهم وشجاعتهم. «المترجم».

هذا العدد الضخم (70,000) سبعون ألف بندقية حربية، يتبعه ذخيرة ضخمة دخلت إلى مخازن الأسلحة بعد فحصها والتأكد من صلاحيتها وعلى ضوء هذه الإحصائية اتضح أن نصف الشعب الليبي مسلح بما يعادل (160,000) مائة وستين ألف مقاتل.

من هذا يتضح أنه لو أن بلاغتنا الرسمية والحربية في كل العمليات صحيحة وصادقة.. لما وجد رجل واحد من الشعب الليبي صالحاً للحرب. وإجابة على هذا بدون تحيز أن الخسائر الفادحة التي حدثت في العمليات الماضية، ولم يعلن عنها، كانت عبارة عن بلاغات وهمية. جعلتنا نعتقد بأننا قضينا على الثوار. ولكن العكس صحيح، لأن عدد الأسلحة التي نزعنا دلت دلالة واضحة على عدم صحة تلك البلاغات. وكذلك لم يتحقق السلام في ربوع ليبيا آنذاك، مثلما تحقق اليوم. الأمر الذي جعل أبناء وطننا كلهم سواء في الداخل أو في الخارج يقتنعون بأن السلام في أفريقيا أصبح سائداً وأصدق القول (فاشيستيا ورومانيا) إن قضية نزع السلاح في إقليم برقة كان متابعاً من كل حكومات المستعمرات السابقة منذ سنة 1922 وما بعدها لم يكن نزع السلاح عاماً لأنه دائماً كانت هناك جهات تعارض هذا الموضوع سواء من السلطات السياسية أو من آراء بعض الخاضعين لسلطاننا الموثوق بهم.

ويقال لنا بما أن السكان معظمهم رحل لا مقر لهم وبطبيعة الحال فالسلاح شيء ضروري بالنسبة لهم من أجل الدفاع عن أنفسهم ومواشيهم ورد غارات الثوار عن مخيماتهم وأموالهم. لأن القوات النظامية لا تستطيع أن تقوم بحراستهم لأن المراعي الشاسعة والأماكن البعيدة تكلف جهداً ومالاً وعدداً، وكذلك التنقلات المستمرة سعياً وراء الرعي يجعل الدفاع عنهم وحمايتهم شيئاً مستحيلاً وقد فكر الكثير في مسألة نزع السلاح من الليبيين نزاعاً كاملاً، غير أن هناك ظاهرة أخرى تمنع هذا النزع لأن الليبي اشتهر بأن سلاحه وجواده مصدر قوته لا يمكن تسليمهما، بل يهرب بهما ليقوى العدو وكذلك تتقوى صفوف

الثوار، ولكن كثرة الأسلحة وتدفقها كانت أثناء حكم الوالي (تيروتزي) في سنة 1927 و1928 بمنطقة الجبل، وهي نتيجة الضغط العسكري في المنطقة. وكذلك تبعية قبيلة المغاربة في سرت من جراء العمليات الحربية بمنطقة خط العرض 29 درجة. ولكن في الغالب كان معظم الشعب الليبي في أواخر سنة 1929 مسلحاً تسليحاً كاملاً بحيث أصبحت المشكلة قائمة لم نجد لها حلاً. وكذلك الخطر لا زال محدقاً بأمن الأراضي وسلامة الشعب. إن حماية المراعي تتطلب تجنيد عدد كبير من العساكر المحليين وهذه (2500) ألفان وخمسمائة بندقية مزودة بكامل ذخيرتها خرجت من مخازننا وسلمت إلى العساكر الليبيين الذين يتقاضون رواتبهم من خزينة الحكومة الإيطالية لغرض الدفاع عن المراعي ومخيمات الخاضعين لسلطاتنا.

كل هذه التسهيلات كانت بناء على اقتراح متصرفي الحكومة للمحافظة على المناطق ومتابعة الثوار أينما وجدوا، ولكن في الواقع هذه الأسلحة وذخيرتها معظمها يتسرب إلى مراكز العدو وأصبحت هذه القوات هي المورد الوحيد الذي يمول الثوار بالأسلحة الحديثة والمؤن كذلك. زد على ذلك أن السكان المحليين ينتمون إلى مختلف القبائل وكلهم متحصلون على البطاقة الشخصية ولهذا فإنهم أحرار في التجول بحجة الاتجار. ومن هنا بدأت حركة التهريب في كل شيء... في الأسلحة... في الذخيرة... في المؤن وفي البطاقة الشخصية نفسها نظراً للتشابه الكبير في الأسماء واللون واللبس... حيث أصبح من الصعب جداً أن نفرق بينهم. لهذا لا بد من اتخاذ الإجراءات اللازمة لحل هذه المشكلة العويصة التي أصبحت خطراً عظيماً على عملياتنا الحربية. لأن الحلول السياسية والجهود المضنية لم تجد شيئاً. وتصبح الحالة كما هي. أما رأي بعض الموظفين المسؤولين بعدم نزع السلاح فهو غير مقبول لأنه بسبب التهاون أصبح العدو يملك قوة لا يستهان بها. وأتذكر بالنسبة لهذه الأعمال الآتية التي لها معنى كبير:

في الأيام الأولى من وصولي قمت بزيارة إلى (متصرفية العواقر بينغازي) وسألت ذلك الموظف الحكومي الكبير . كم عدد الأسلحة المسلمة إلى الإداريين أعوانك؟ .

(2500) ألفان وخمسمائة بندقية حربية مقسمة بين عساكر ودوريات وأشخاص خاصة . ثم استدرك بعد المفاجأة قائلاً:

لتطمئن سعادتكم إن هذا العدد كاف لحاجة الشعب . . ولكنني أجبت على الفور:

بالعكس لازم من سحب هذه الأسلحة كلها في ظرف خمسة أيام ، لأن السلاح يجب أن يكون في حيازة الحكومة فقط وهذا يجب أن تبلغه حضرتك إلى الشعب والأعيان باسم الحكومة . وأنها سوف تتخذ كل الاحتياطات للدفاع والمحافظة على مراعيهم ومواشيهم وكل أعمال الطرق ، وكذلك الحرب ضد الثوار .

وهكذا ابتداء نزع السلاح من أيدي الشعب الذي ذهل من هذا الإجراء . وبضغط من القوات المتحركة ، حرم من الاتصال بكل المخيمات والقرى والمعسكرات .

وفي أيام 8 و9 و10 أبريل نزع السلاح من العواقر . وفي المرج يوم 11 ، نزع السلاح من قبيلة العرفة والدرسة والعييد . . وكان حاضراً هناك في اجتماع الأعيان المحليين ، المدعو (سليمان بن سعيد العرفي) رئيس الدوريات المحلية ولوحظ عنه أن له اتصالاً خفياً (بعمر المختار) في وادي الباكور ، بحيث يكون حلقة اتصال بين المرج وبينغازي ، ليسهل الاتصال بين سكان داخل المدن والثوار ، وكذلك تمويل الثوار بسهولة وبدون مراقبة ، نظراً لما يتمتع به سليمان المذكور من ثقة المسؤولين .

وعن طريق هذا الذي يتظاهر بالولاء والصدق لنا . . يتمكن رئيس الثوار

من الاتصالات في أيام معلومة . وقد سألته فجأة كم بندقية في حيازة دورياتك؟ أجاب (500) خمسمائة . . واستطردت في السؤال : كم عدد رجال (عمر المختار) . . ؟ فأجاب : من سبعمائة إلى ثمانمائة رجل دائماً تحت السلاح . فقلت له حسناً . . أنا أعطيك خمسمائة بندقية بذخيرتها، وهكذا يكون عندك ألف رجل مسلح وبهم يمكنك التغلب على (عمر المختار) وأتباعه لأنك أصبحت تفوقه بالرجال والعتاد، هذا إذا كنت مخلصاً وصادقاً في ولائك للحكومة الإيطالية، فاصفر وجهه، وتصيب عرقاً بارداً، وأجاب إجابة مبهمة، لأنه تخيل أعواد المشنقة التي انتهى إليها . فبعد مضي شهر ثبت لدى المحكمة الخاصة خيائته للحكومة وحكمت عليه المحكمة بالإعدام شنقاً، كما تخيل في هذه المقابلة، مثلاً لعدالة قاسية لا ترحم تلك التي ارتعشت منها العروق والمعاصم لكل الأعيان الحاضرين سواء كانوا من الوسط أو من الحواشي فكلهم تأثروا من هذا الكلام . وكانت الخاتمة أن نفي بعض منهم في (قلعة بنينة) والآخرين في (جزيرة أوستيكة) بإيطالية، وعمولوا معاملة حسنة اعترفوا بها فيما بعد، أي بعد انتهاء الثورة . .

في أيام 12 و13 أبريل نزع السلاح من قبائل العرفة والعبيد والدرسة، وحذا حذوهم تقريباً وسحب منهم السلاح في أراضي شحات ودرنة والبطنان وسرت . وقد بلغ عدد البنادق الحربية التي سحبت في تلك المناطق إلى آخر شهر يونيو (4524) أربعة آلاف وخمسمائة وأربعة وعشرون بندقية . وهكذا استمر نزع السلاح بدون شفقة أو رحمة .

مواصلة تعليمات القائد العام:

ويحصار شديد إلى حد أن كل من لم يسلم السلاح يعاقب بعقوبة الإعدام . والآن وقد نزع السلاح من كل الليبيين نزاعاً تاماً فاخفتت العساكر والدوريات، وكذلك لم يعد هناك من يملك بندقية حربية . ويمكن القول بأن الليبيين الخاضعين لسلطاننا أصبحوا بكل تأكيد خاضعين لسياستنا الفاشيستية،

التي كنا نتمناها منذ سنة 1922. وهذا هو المفتاح الذي بواسطته سنقضي على الثورة والثوار.

وهناك مثل عربي يقول: (خذ أفقر عربي وأعطه جواداً وبنديقة سيكون لك عدواً وثائراً على الحكومة، لأنه عندما يكون في الصحراء يشعر بأنه مالك مطلق لها وشجاع رغم فقره) لا تنس أبداً موعظة المجرب.

حشد الأهالي أو السكان في المعتقلات:

لقد تبين للكثيرين في الخارج بأن الحكومة الفاشيستيّة تطرد وتضطهد السكان المحليين، وتغتصب أراضيهم، هذا كلام غير صحيح، وما هو إلا دعاية مغرضة تنشرها ضدنا الصحافة الإسلامية.. وحقائق الأمر، هي أننا نشتري الأرض من صاحبها الذي يملكها لأنه لم يستغلها استغلالاً مفيداً، ولذلك فكرت الحكومة الإيطالية في شرائها وإعطائها إلى المعمرين الإيطاليين وفق شروط معينة وأجل محدود. ولذلك فالأكاذيب التي تنشر ضدنا نعتبرها أراجيف كاذبة وندعو هؤلاء المغرضين لزيارة ليبيا ومشاهدة ما قامت به حكومتنا من خدمات عمرانية وزراعية، خلال العشر السنوات الأخيرة.. فبكل عزة وفخار، نثبت لهؤلاء، إننا أخذنا بيد السكان العرب. ورفعنا من مستواهم المادي والمعنوي، وزرعنا في قلوبهم التعاون والمحبة بعد ما كانوا يتقاتلون لأتفه الأسباب.. وفي الوقت نفسه غرضنا أن نحرر الكثير منهم من النفوذ السنوسي، الذي كان يستغلهم استغلالاً فاحشاً تحت ستار الدين، الذي لم يكن في يوم من الأيام محل احترام منهم. بينما نحن احترامنا شعائر الأديان أكثر منهم مليون مرة.

وكم من مرة دعونا هؤلاء إلى السلام، سواء من خطابات سعادة الوزير وسعادة المارشال، وخطاباتي أنا بالذات. ولكن دون جدوى. الأمر الذي جعلنا نستعمل معهم الشدة، لكي نزيل هذا الجدار أو السد الضخم القائم في طريق التقدم. وهذا يعني ما تبين من أثر التعليمات التي أعلنت للجميع من قبل

السلطات العليا، وفي الوقت نفسه قررت الحكومة الفاشيستية بأن تضع حداً لهذه الثورة مهما يكن الأمر، ومهما يكن الثمن.

وفي يوم 18 مايو 1930، بينما يتواصل تسليم السلاح، وكذلك الإجراءات القضائية والعسكرية تستمر يوماً بعد يوم، محققة بذلك الخطط الموضوعة، جاء إلى كل الأجهزة الحكومية النداء الآتي:

تمشياً مع العمليات الإكراهية، والمراقبة، والضغط على التواطؤ المستمر بين الثوار والأهالي الآخذ في التوسع، فمن الضروري جعل هؤلاء الأهالي يشعرون بقرار الحكومة الرامي بعزلهم عن الاتصال بالثوار (المجاهدين) لأنه من أعلى واجبهم وصالحهم الحقيقي أن يتخلصوا من سيطرة الثائر «عمر المختار» وحثهم على المساعدة من أجل أن يتبعوا خطوات الحكومة الإيطالية في حدود إمكانياتهم. وبكلمة أخرى نحن نسير بسياسة نحو الشعوب، ولكن على أساس الحكم المطلق.. خصوصاً بعد نزع السلاح منها من أجل جرّها إلى التمرد على «عمر المختار» بل إلى النزول في ميدان الحرب ضده بجانب قواتنا الضاربة. ولكي نحصل على كل هذا يجب قبل كل شيء أن نواصل فرض عزتنا وكرامتنا في كل ميدان، إلى النهاية التي نتوجه لها بخطوات واسعة، وبكل تأكيد سنتنصر...

وفي 22 مايو كنت في منطقة الأبيار وكان هناك الأهالي وأعيان المنطقة مجتمعين، فوجهت لهم النداء التالي:

إن الحكومة تعرف أنكم يا أهالي الأبيار قدمتم في الماضي أعمالاً جليلة، وولاؤكم الصادق والوثيق من أجل أن تطمئنوا في المستقبل، وإن الخطوط العريضة التي سأبينها لكم من واجبكم أن تتبعوها، فهي سهلة جداً وفي متناول الجميع وهي:

1 - كل من يعطي مؤناً وسلاحاً وذخيرة إلى الثوار أو يساعد على ذلك سيعاقب بالإعدام فوراً.

2 - كل الأسلحة لا بد وأن ترجع إلى أيدي الحكومة بدون تردد، والحكومة سوف تفكر في الطريقة التي تحمي بها الناس والحيوانات التي يملكونها.

3 - توجد حكومة واحدة في برقة وهي: حكومة إيطاليا الفاشيستي، أما حكومة «عمر المختار» التي يسميها «حكومة الليل» فسيقضي عليها لا محالة. وحذار أن يحسب أحد منكم حساباً لها.

4 - نحن نحارب السنوسية بوجه مفتوح، أما الديانة الإسلامية فحكومة إيطاليا دائماً حملت لها في نفسها أعلى احترام وتقدير. وبالنسبة للطريقة السنوسية فهي شيء آخر، ونحملها مسؤولية مآسي الأهالي في برقة في الوقت الحالي، من جراء تصرفاتهم وحركاتهم المشبوهة.

5 - إن دفع الأعشار إلى السنوسية يعتبر تواطؤاً مع الشوار. فعليه سيعاقب بالإعدام كل من يدفع هذه الأعشار. فالحكومة الإيطالية هي وحدها صاحبة الحق في جباية أي نوع من الأموال العامة.

هذه هي قوانينكم، وهي التي تنير لكم سبيل أعمالكم. أن هذا النداء نشر فوق الجريدة العربية اليومية (بريد برقة) وطبع منها آلاف الأعداد ووزعت في كل المدن والقرى وحتى النواجع النائية. لكي يعرف كل أحد دون حدوث أي شائبة، رغبات الحكومة وأهدافها.

فالجريدة نفسها وطوعية مديرها الذي هو من المخلصين والمحبين لأبناء وطنهم، نشر المقالات التالية:

«في المقال الذي نشرناه بمناسبة وصول الرئيس الجديد قلنا أن إحدى المميزات التي يتمتع بها صاحب السيادة الجنرال أو القائد غرازياني، هي العدالة. . . وقلنا حينذاك أن الإحساس بالعدالة التي تهيمن على القائد الكبير، تجعله بدرجة ألا يتغاضى أو يهمل حتى في أحلك الأوقات وأصعبها وكذلك أكثرها خطورة.

وفي يوم وصوله أعلن برنامجه المخطط . . بعد دراسة ضافية لحالة البلاد . . فقد اقتنع استناداً على التجارب التي مر بها في القطر الطرابلسي ، بأنه لم يكن هناك سلام ولا تقدم إذا لم يسحب السلاح من الأهالي ، لأن السلاح يجب أن يكون بيد الدولة الإيطالية فقط .

وقد شرح لنا الحاكم قاعدة التعاون بين الحكومة والأهالي التي وافق عليها وزير المستعمرات في قاعة وداخل مجلس الشيوخ الإيطالي . جاء فيها : «بأن التعاون والتجاوب يجب أن يسود بكل نشاط مع الحكومة الإيطالية . وكذلك نبهت على أن أي تواطؤ أو تعاون مع الثوار سوف يعاقب بعقوبة الإعدام حتى الموت ، من هذا يتضح بأنه علاوة على ما يتمتع به من وجوب العدالة وأحقاقها ، فالقائد غرازياني يمتاز بموهبة أخرى وهي الصراحة . . وبطبيعة الحال فالعادل لا بد وأن يكون صريحاً في كل أقواله وأفعاله . هذه عدالة وصراحة الحاكم تتطلب عدالة وصراحة المحكومين . . وإلا إذا تأخروا عن ذلك التعاون النشيط ، أصبحوا غير مخلصين وتعطل التعاون الذي يريده الحاكم . إن كلمة الحكم بالإعدام التي أفاد بها نائب الحاكم العام ، وصدق عليها الوزير ، إنها مفزعة ونضطرب ونرتعش عندما نسمعها .

غير أننا عندما نتعمق في التفكير من حيث هذا الضغط يجعلنا نعتقد أن الروح الإنسانية لا زالت تسير في نظامها الصحيح وعلى طريق العدالة والأمن نحو الإنسان الذي يطلبه ويفرضه الحاكم العام على الجميع . وإذا بالغنا في القول بأن تلك الكلمة المفزعة قد تؤثر في قلوب أولئك الضعفاء الذين لا يعرفون عن العدالة أو الصراحة أي شيء لأن الذين يؤمنون بهذه المبادئ لا يخافون أي شيء ، لأنهم أقوياء وهذه هي الرغبة التي يطلبها الرئيس . لنفكر قليلاً أن هذه الحالة التي تمر بها البلاد نتيجة العذاب المزمن والتنكيل الذي قاساه الشعب منذ زمن بعيد لا بد وأن تتخذ الطرق الكفيلة لوضع حد لهذه المتاعب مهما يكن الثمن ، واستعمال كل الوسائل ، لإنهائها . .

عندما قدم الجنرال غرازياني هنا أعلن أمام الجميع، بكل صراحة، مبدأين رئيسيين من أجل أن يسود السلام في ربوع هذه الأرض وهذان المبدآن هما:

1 - نزع السلاح من يد الأهالي وجميع السكان.

2 - منع الاتصال والتعاون مع الثوار.

واستطرد الجنرال قائلاً، بكلمات واضحة: كل من أراد أن يمول الثوار أو يتعاون معهم... فمن الأحسن أن يقول علناً وعلى الملأ بأنه من الثوار... (1).

أما أن يعلن بأنه خاضع لسلطاننا ظاهرياً، بينما في داخله ضد الحكومة الإيطالية فهذا معناه أكبر حاجز أمام الوصول إلى الهدوء والسلام (2). لأنه يمثل خطراً أكبر من الثائر (المجاهد) شاهر السلاح في وجهنا. إن كلمة الجنرال مفهومة وواضحة من كل طبقات الشعب حتى من الجهلة والمتخلفين الذين استوعبوا كلمة الجنرال وفهموها... تلك التي قال فيها: «أما معنا أو ضدنا» لم تكن هناك تحديدات في الفهم، فليختاروا أحد الأمرين. وبناء على هذه التصريحات فعلى الرجال من ذوي الضمائر الحية والنظيفة أن يغيروا من أفكارهم ولا يخشوا الإجراءات الرادعة التي تدعو إلى الموت. فكلمة الموت مفزعة ومخيفة.

إن الحوادث التي وقعت فوق هذه الأرض، خلقت في أولادها جواً من الكراهية واللاصدقة نتيجة الاصطدام مع المصالح الخصوصية، سواء كانت

(1) من الذين تعاونوا مع الثوار وحكم على بعضهم بالإعدام ونفذ الحكم فعلاً والبعض الآخر حكم عليهم بالسجن... وصودرت ممتلكاتهم: سعيد بن عبد العاطي - ومحمد بو حنور - وسليمان بو سعيد - وعبد السيد بو الضبع وحسين بو محمد - ومحمد الحداد - ومحمد محمد الحداد، وذلك بالقرار رقم 886 مادة 194 في 8/5/1927 والقرار رقم 4116 في 12 يونيو 1930.

(2) وهذا اعتراف آخر من العدو بأنه محارب من الداخل من الأهالي سكان المدن والقرى. «المرجم».

عائلية أو قبلية حتى نزلت الأخلاق إلى الدرك الأسفل، الأمر الذي جعل ذوي الأغراض أن يتخذوا الكذب والوشاية سلاحهم الوحيد.

ولهذا فإن الأحكام التي تصدر ضد المجرمين سياسيين أو غير سياسيين . . لا تنفذ العقوبة إلا إذا كانت موقعة من الجنرال رودلفو غرازياني، ورغم كل هذه الأمور فإن العدالة والرحمة لها مكان في قلب هذا الجندي.

بريد برقة 30 مايو 1930:

«في يوم الأربعاء صباحاً 21 الجاري صاحب السعادة نائب الحاكم العام الجنرال غرازياني جمع في مكتبه بحضور السكرتير العام الكمندتور مورتى، والكولونيل المساعد مليتي حاكم أجدايا، ومدير الشؤون المدنية والسياسية الكفالير فلساني، ومتصرف العواقر الكفالير أيجيدي، وكل الأعيان البارزين في بنغازي، ليوضح لهم الوضع في البلاد والخطط الموضوعة التي ينوي السير عليها للوصول إلى أسنى الأهداف، من أجل إحلال السلام في ربوع برقة حسب مخططات الحاكم العام المارشال بادوليو فقال:

«إن الإشاعات المغرضة التي تبثها عناصر معادية لنا نحملهم مسؤولية أعمالهم، ويجب على الأهالي أن يتعاونوا مع الحكومة في محاربة هذه الإشاعات الكاذبة واستطرد الجنرال قائلاً: إن الحكومة تصرف ما يزيد عن مليونين من الفرنكات رواتب ومساعدات إلى الأعيان ومشايخ القبائل . . والبعض منهم حاضر هنا، ولا أريد أن أذكر الأسماء. أكثرهم لا يعملون، وإنما يتقاضون الرواتب وكفى . . وأحياناً يأتون بأخبار لا أساس لها من الصحة، وعلاوة على كل هذا، فرواتبهم تعادل راتبي أنا نائب الحاكم العام . . فهم لم يقوموا بأي عمل بينما أنا أشتغل 15 ساعة في كل 24 ساعة، وإنني أتساءل: ماذا نجني من وراء هذه المصاريف؟ وما فائدتها؟ لا شيء! لأنه إلى الآن كل الأعيان والمشايخ لا عمل لهم إلا ابتزاز أموال الدولة واستغلالها. ومن مصلحتهم أيضاً أن يدوم النزاع والقتال إلى ما لا نهاية. هذا الكلام أقوله

لكم لكي تبلغوه إلى كل الأعيان والمشايخ في برقة.. أما أنا فعندي هدف واحد أريد أن أصل إليه وهو أن يسود السلام في برقة مهما كانت التضحيات ومهما كان الثمن وعلى ما أعتقد أنها رغبتكم حيث تتضامن الجهود معتمدة على جهودكم المخلصة إذا كانت مخلصه حقاً. هل تريدون أن تبرهنوا لي بأنكم قادرون على إيقاف الثورة؟

تعالوا لتعلمونني بأن عمر المختار واقف خلف باب بنغازي مع جنوده المسلحين، مستعد لتسليم السلاح والخضوع لأوامر الدولة بدون قيد أو شرط.

من الآن فصاعداً سوف تخلق خزائن الحكومة في وجه كل مستغل، ليس هذا فحسب، بل أهيب بكل المشايخ والأعيان.. بأن يتركوا الركود وعدم الإنتاج، بل أحثهم على التعاون المثمر والمخلص مع الحكومة، من أجل الازدهار والسلام في ربوع برقة، أما إذا كان العكس فسأقطع عنكم الرواتب والمساعدات.

وبكلام صاحب السعادة، الجنرال غرازياني، وضح بأنه أخذ كل الاستعدادات للقضاء على كل تعاون مع الثوار، (يعني المجاهدين).

واستطرد يقول:

لا بد أن نكون عمياناً إذا لم نر هذه الأحوال، التي تقود البلاد إلى الخراب، وهذه الحكومة التي تبذل كل جهودها في استتباب الأمن، وتصرف نقودها من أجل ازدهار البلاد، لن ترضى أبداً بأن تعبت بمجهوداتها حفنة من العابثين، والمخربين من الثوار (يعني المجاهدين)..

واستمر الجنرال يقول:

«بنزعي للسلاح من الأهالي حرمت الثوار من تزويدهم بالسلاح والذخيرة، كذلك جمعت كل النواجع المبعثرة حول مراكزنا ونقطننا الحربية بحيث يصبحون تحت رقابة قواتنا، وابتعدون عن الثوار، ويصعب التعاون

والتموين فيما بينهم . كل هذه العوامل وضعتها من أجل تنفيذ خطتي ، التي لا يمكن لأي قوة ، أن تقف في طريقها مهما عظمت . . وأصارحكم بأن جميع الأهالي متدمرون من الوضع ولا يتحملون أكثر استغلال عمر المختار وأتباعه لأموالهم ومواشيهم . . مدة ليست بالقصيرة ، وبلا شك بدأوا يشعرون وينظرون إلى كل ما تبذله الحكومة من أجل راحة البلاد وازدهارها ، وكذلك راحتهم وسعادتهم أيضاً . .

ثم انتقل نائب الحاكم ، في كلمته إلى نقطة أخرى ، وهي العدل حيث قال :
إن العدالة يجب أن تأخذ مجراها وتضرب على يد كل من تحدثه نفسه بأن يعيث بمقدراتها . . سوف لن ترحم من يلعب بمجهودات وأعمال الحكومة مهما كانت مكانته . وفي الوقت نفسه فالمحكمة الخاصة أو المتنقلة سوف تصدر أحكامها بناء على الأرقام التي في يدها ، وتعتبر أحكامها نهائية . والدليل على نزاهة هذه المحكمة عندما استلم الحكم الجنرال غرازياني في برقة كان عدد المسجونين في السجون 173 سجيناً منهم 65 أبرأت المحكمة ساحتهم و47 حكموا بمدد مختلفة و30 فقط حكموا بالإعدام لأنهم خونة قاموا بأعمال ضد الدولة⁽¹⁾ .

واستطرد الجنرال غرازياني قائلاً :

من أجل الوصول إلى السلام أنا لا أفتح الخزائن لأحد ، ولا أتفاوض مع أحد ، والطريق الوحيد هو أن يأتي «عمر المختار» ويسلم أسلحته وجنوده ، ويخضع للحكومة بدون قيد أو شرط⁽²⁾ .

(1) 30 فقط ، يا لها من عدالة ، كيف كانوا خونة وهم أعداء لهذه الدولة المغتصبة ألم يكونوا أصحاب البلاد ، أليس من حقهم مقاومة الدخلاء؟ . .

(2) يا لغباء هذا الجنرال ، هل من المعقول أن يسلم (عمر المختار) وأتباعه بعد كفاح طويل ومرير يزيد على 20 سنة ضحى فيه الشعب الليبي بالنفس والنفس . الأمر الذي رفضه عمر المختار في كل المناسبات . «المرجّم» .

واستطرد الجنرال في حديثه إلى المشايخ والأعيان قائلاً:

اذهبوا إلى طرابلس لتروا بأعينكم حالتها الاقتصادية، وثروتها المزدهرة المتفتحة، لأنه يسودها السلام. . لتنظروا إلى الأمن المستتب في ربوعها. وهناك يمكنكم أن تسيروا مئات الكيلومترات بدون حراسة مسلحة. . يمكن لكل منكم أن ينتقل من مكان إلى مكان وهو مطمئن. .

ثم انتقل الجنرال في حديثه إلى التقدم الزراعي والعمراني في طرابلس فقال:

الحكومة مستعدة لتبعثكم على نفقتها وحسابها الخاص لكي تشاهدوا بأنفسكم ما قامت به الحكومة من أعمال قيمة في هذه المجالات.

وقبل أن ينهي محادثاته ومقابلته مع المشايخ والأعيان قال:

سأجتمع بكم مرة ومرات، لأطلعكم على كل شيء حتى تكونوا على بينة مما يحدث، وأحثكم على أن تتعاونوا مع السلطات الحاكمة من أجل الطمأنينة والأمن والسلام، ولو بذرة قليلة من الجد والاجتهاد.

واختتم كلمته بقوله:

أتمنى مخلصاً أن أجمعكم في يوم وأقول لكم فيه أن برقة أصبحت هادئة تسودها الطمأنينة والسلام.

ولكن مع الأسف كل المحاولات والطرق السياسية، التي اتخذت من أجل التقارب والتفاهم من جانب الحكومة، لم تجد إلا عناداً وغطرسة دون واعز من ضمير سواء من الشعب أو من المشايخ والأعيان. . الأمر الذي جعل السلطات تتخذ كل الوسائل لمنع التعاون بين الأهالي الخاضعين تحت حكمنا والثوار (يعني المجاهدين) وهذه الوسائل هي قطع كل طرق التعاون مع الثوار، وينزع من الخاضعين لحكمنا كل الوسائل التموينية التي كانت خاضعة لنظام

البطاقات، بحيث يحدد لكل واحد بطاقة خاصة حتى لا تتسرب المواد التموينية إلى الثوار، وتكون محددة على عدد الأفواه التي تأكل فقط⁽¹⁾.

وفي الأيام العشرة الأوائل من شهر مايو 1930م تقرر حشد مخيمات الخاضعين لحكمنا للتجمع حول وبقرب استحكاماتنا الأمامية، بحيث تكون مراقبة من قواتنا. . وحتى لا تتسرب المؤن إلى الثوار، فإن هذه التجمعات تكون كالآتي:

(896 بيتاً) أي خيمة تنتقل من أرض العبيد إلى سهل المرج، (1400) خيمة من قبيلة الدراسة ترجع إلى طلميثة و(3600) خيمة كلها كانت مبعثرة في (المخيلي) ونواحيه فقد تجمعت بقرب مراكزنا في درنة وشحات.

وأثناء زيارة الوزير دي بونو إلى المستعمرات في شهر يونيو 1930م، زار الوزير دي بونو يصحبه الفريق بادوليو - لأول مرة - إقليم برقة. . وقد استقبلوا من الجماهير سواء في المدن أم القرى، وكذلك الرحل. وفي هذه التجمعات ألقى الوزير ومرافقه كلمات في الجماهير المحتشدة مبينين في كلماتهم، تصميم السلطات الحاكمة على المضي قدماً في تصرفاتهم، حتى يسود السلام في هذه الربوع، تنفيذاً لرغبة مجلس الأمة الإيطالي وحزب الفاشيست الحاكم. . هذا التصميم هو القضاء على المجاهدين أينما وجدوا. . إن الوزير دي بونو والفريق بادوليو بعد هذه الزيارة، منحوا لي الثقة وحرية التصرف بكل الطرق والوسائل، من أجل إنهاء الحرب في الأقاليم، والقضاء على الثوار المجاهدين أينما وجدوا. وفعلاً بدأت بسكان منطقة البطنان، وحشرتهم في عين الغزالة، ثم نقل العبيدات وتثبيتهم في منطقة درنة، وكذلك الحاسة وتثبيتهم في منطقة شحات.

(1) هذه إحدى الوسائل التي اتخذها المستعمر للقضاء على حركة الجهاد، وهي قطع كل وسائل التعاون بين المواطنين وخنقهم في قوتهم اليومي.

أما (السلطنة) و(العرفة) و(العبيد) في منطقة المريج . . هذه القبائل تكون مراقبة في مناطقها، بحيث لا يحدث تعاون بينهم وبين الثوار. وكذلك (البراعصة) في منطقة (مراوة). تثبيت (العواقير) في منطقة (توكرة وسلوق)، مع تثبيت سكان الأبيار في منطقتهم. أما (المغاربة) فيثبتون في منطقة (سرت).

وعلى أثر هذه التنقلات، وضعت أنظمة قاسية لكل الليبيين الذين يقعون تحت طائلة القانون سيحاكمون فوراً، وينفذ الحكم دون أي تردد. وبما أن هذه التحركات لم تؤثر على «عمر المختار» وأتباعه، لأنه توجد هناك عوامل أخرى أهمها الأعشار والمساعدات الخفية من سكان المدن: بنغازي، والمريج، ودرنة، وطبرق. ولقد عجزت مخابراتنا عن اكتشاف هؤلاء المساعدين.

وعلى هذا، اضطرت إلى تغيير خطتي بالنسبة للقبائل الخاضعة لحكمنا وتثبيتها في أماكن جديدة بحيث يعزلون عن التعاون مع الثوار، وهي موضوعة على النحو التالي:

أ - كل منتجات العواقير تنتقل داخل المربع المخطط من المناطق (سلوق - قمينس) و(الطيلمون - جردينة)، والبعض منها في منطقة (الأبيار).

ب - بعض سكان الجبل، خصصت لهم منطقة (شحات - درنة).

ج - سكان (البطنان)، خصصت لهم منطقة (عين الغزالة - عكرمة - طبرق).

د - قبيلة المغاربة خصصت لها منطقة (أجدابيا - والعقيلة). كل هذه التنقلات من أجل أن يبقى «عمر المختار» وأتباعه معزولين وحدهم في منطقة الجبل، بحيث يسهل علينا تسديد ضرباتنا لهم أينما وجدوا.

وفي أوائل أغسطس من نفس السنة، بدأت فعلاً حركة نقل النواجع. فنقلت 2252 خيمة (بيت) إلى المنطقة المرسومة بين (أجدابيا والعقيلة) من

قبيلة المغاربة . . و 2694 خيمة أعييدات وضعت في منطقة (مرسى البريقة) و 2861 خيمة (براعصة ودرسة)، وضعت في منطقة سيدي حمد المقرون . . و 7417 خيمة (عواقير - عبيد - عرفة)، وضعت بين (سلوق - سواني - ترية - الأبيار) وما بين (بنغازي ودريانة) وبقيت بعض النواجع الصغيرة المختلطة في (البطنان - وعين الغزالة) عدد 1233 خيمة . و 538 خيمة قرب المرج و 1334 خيمة من قبيلة الحاسة إلى منطقة (سوسة) و 143 خيمة قرب درنة .

كل هذه الخيام المتجمعة، أحيطت بالأسلاك الشائكة المضاعفة والمزدوجة . . وتخضع حركة سكان هذه المخيمات لأذونات خاصة (بيرمسو) وعلاوة على كل هذا نفي بعض الأعيان الليبيين إلى جزيرة (أوستكا) وعلى رأسهم عمر منصور باشا الكيخيا وكذلك بعض الأسر البارزة من مدينة بنغازي ودرنة وكل القرى اعتقلوا في معسكرات (العقيلة وبنينة وبرج شويليك) بهذه الحركة وهذه التنقلات، أصبح الثوار في وضع خطر جداً . . لم تعد هناك اتصالات بالنواجع الخاضعة لحكمنا، ولم يعد هناك تعاون وجباية زكاة بين الثوار وبين الأهالي الليبيين سكان المدن والقرى .

في يوم 7 أكتوبر 1930، أعلن الحاكم إلى المتصرفين وضباط المناطق . . أنه يجب معاملة السكان الليبيين، الخاضعين لسلطاتهم بكل شدة . . إلى درجة تجويعهم إذا لم يتبعوا الأوامر أو إذا خالفوا نظام المناطق المرسومة لهم .

وفي نفس اليوم 7 أكتوبر 1930 يعلن إلى الشعب الليبي . . بناء على الأعمال التي ارتكبتها قبيلة العبادلة البيض . . وهي تهريب خمسة مقاتلين إلى دور الثوار بغد تزويدهم بالأسلحة والمؤن، وعقاباً لهذه القبيلة التي تتكون من 80 خيمة (بيتاً) أن تنقل إلى (العقيلة) بشيوخها ونسائها ورجالها وأطفالها بعد أن تصادر مواشيها وممتلكاتها . . ليكونوا عبرة لكل من تحدثه نفسه أن يعمل مثلما عملوا فسيلقى أشد وأقوى .

وفي يوم 29 أكتوبر 1930 حصلت معركة مع دور الحاسة والعبيدات،

وبعد انتهاء المعركة التي قتل فيها الفضيل بو عمر أحد قادة عساكر «عمر المختار» وقعت في أيدينا وثيقة مكتوبة بخط عوض العبيدي شيخ دور العبيدات والحاسة يقول فيها إلى عمر المختار:

أعلمكم أن كل شعب المنطقة نقل إلى المعتقلات بأمر الحكومة الإيطالية، وكذلك كل المواشي الخاصة بهم. . . وليس في استطاعتنا التقرب منهم لجباية أعشار السنة الماضية. . .

وتستطرد الوثيقة في الكتابة بالقول: إن الفضيل بو عمر لم يترك شيئاً من النقود، (الجنرال) يقول:

هذه الوثيقة تعني بوضوح أنه لا زال هناك من يدفع الأعشار. . . ليست عينية فقط بل كذلك نقوداً. وفعلاً هذه النقود ترسل إلى مصر من أجل تموين أدوار الثوار. . . ومن أجل هذا أهيب بالمسؤولين في المنطقة أن يفتحوا أعينهم، ويفتشوا على هذه الظاهرة الجديدة حتى تصبح الرؤيا واضحة. . .

وفي 15 سبتمبر 1930، وقعت حادثة مذهلة، أن بعضاً من سكان المنطقة وعددهم خمسة، تقدموا إلى الحاكم العسكري وطلبوا منه السلاح والذخيرة، لكي يصلوا إلى الدور ويأتوه بأخبار الحركة. وبما أن الحاكم العسكري عن حسن نية اعتقد أن هؤلاء الخمسة صادقون في أقوالهم، فزودهم بما يلزم وانتظر رجوعهم ولكنهم رجعوا محاربين لنا وبسلاحنا، وهذا واضح بأنه كشف القناع عن السكان وأصبحت الحرب حتى من الذين كنا نعتقد فيهم الإخلاص، أصبحوا ثواراً في المناطق الخارجية وفي داخل المدن والقرى.

ويقول الجنرال: إلى متى هذا الشعب لا يلين ولا يقبل الحلول⁽¹⁾؟ .

ولكن يجب أن يعرفوا أن الحكومة (يعني الحكومة الإيطالية) سوف لن

(1) هذا دليل آخر على أن هناك قوة (أي الثوار) وضغطهم الشديد الأمر الذي جعل الجنرال لا شعورياً يعترف بهذه القوة من خلال كتاباته.

تتوقف عن اتخاذ إجراءات صارمة لتقضي على الثوار ومن يساندتهم . . وقد جاءني منشور الحاكم العام رقم 3518 الذي يقول فيه : ليعلم الشعب المحلي (يعني الليبيين) وكل المشايخ والأعيان، إننا نستطيع حل المشاكل الراهنة دون الاعتماد على كلامهم ومساعدتهم المزيفة، ويجب أن يعلموا كذلك أننا نرفض تعاونهم معنا لأننا لم نعد نصدق ما يقولون.

وعلى أثر هذا يجب اتباع النقاط التالية:

- 1 - عزل الأدوار فوق الجبل عزلاً كلياً.
 - 2 - مطلق الحرية والتصرف لقواتنا دون الرجوع إلى الروتين والأفكار القديمة.
 - 3 - مراقبة تامة وشديدة على السكان المحليين.
 - 4 - قطع التعاون بين (الثوار) والسكان المحليين.
- كل هذه الإجراءات أساسية من أجل القضاء على (الثوار) وقد نتج عن هذا أن أكثرية الناس هاجرت ونزحت إلى مصر وإلى تونس وإلى السودان تاركة وراءها أهلها وذويها ورغم مهاجمة الألسن والكتابة لي فإني حاسبت نفسي وضميري . . الأمر الذي جعلني لم أنم هادئاً أكثر الليالي⁽¹⁾.
- أعرف من تاريخ كل العهود أنه لم يكن هناك جديد ما لم تهدم القديم أي بمعنى أصبح لا تستطيع إنشاء حاضر جديد إذا لم تقض على الماضي القديم⁽²⁾.
- هذه المبادئ قرأتها وتلقيتها عن أجدادنا القدامى وتعلمتها من مدرسة الرومان العتيقة مثل الزعماء العظام قيصر، ليفيو، تشيتو وساللو سيوا الذين حكموا العالم فإني سلكت منهاجهم وسأظل هكذا.

(1) الجنرال لم ينام الليل عندما حاسب نفسه، لأنه سفاح وقاتل ومعتد، فكيف ينام الليل .
(2) وهذا دليل آخر على أنه سفاح وقاتل يريد أن يقضي على الكبار - جيل الماضي - لكي يستعبد الصغار - جيل الحاضر - آنذاك.

وفي يوم 29 مايو 1930م وبواسطة قوة الأمن الملكية. أمرت بالقبض على كل مشايخ الزوايا السنوسية في برقة، ما عدا زاوية الجغبوب باعتبارها مكاناً مقدساً يرتاده المسلمون من كل مكان وكذلك مصادرة كل الممتلكات المنقولة وغير المنقولة لهذه الزوايا.

وبتاريخ 2 يونيو 1930م صدر البيان العام من قبل الحكومة الإيطالية إلى كافة الشعب الليبي هذا نصه:

إن الحكومة الإيطالية أمرت بإغلاق الزوايا السنوسية، وصادرت كل ممتلكاتها وهذا يبين لكم بكل وضوح أننا أصبحنا أعداء وسنضرب بكل قوة وبدون حدود كل من لم يخضع لسلطاننا.

ومن الآن فصاعداً قد تخلصتم من دفع الزكاة إلى الثوار وأعلمكم أنه كل من يدفع الزكاة إلى الثوار سيعاقب عقاباً شديداً وهو الإعدام⁽¹⁾.
أيها الشعب أهالي برقة:

مرة أخرى أكرر لكم لا حكومة في هذا البلد (ليبيا) إلا حكومة إيطاليا. اسمعوا كلامي ونصيحتي وفكروا في مصيركم الذي تعرفونه وهو الإبادة الجماعية.

إن أقفال الزوايا، ومنع دفع الزكاة إلى الثوار ما هي إلا ضربة موجهة في صميم تمويل الثوار.

وهكذا بتاريخ 4 يونيو 1930 صدرت الأوامر إلى المتصرفين بأن يقبضوا على مشايخ الزوايا ويودعوهم في معتقل بنينا وبعد أن يتجمعوا ستحملهم الطرادة (استوكو) إلى (سيراكوزة) بصقلية، حيث ينقلون بعدها إلى جزيرة (أوستيكا) أي المنفى وينفى معهم الحسن الرضا الأكبر.

(1) هذا يثبت الاعتداء على الدين الإسلامي وهو منع الزكاة. «المترجم».

في 10 أغسطس 1930م أرسل إلى الوجيه الشارف الغرياني عن طريق مكتبي الخاص الرسالة التي أرسلها له محمد الرضا . . هذا نصها كما جاءت في الكتاب صفحة 127 كما هي :

الحمد لله وحده . .

إلى المحترم السيد الشارف الغرياني ، حفظه الله .

بعد تقبيل أياديكم الكرام أسأل الله أن يطيل عمركم ، ويمتعمكم بالصحة والعافية . . كان بودي أن نلتقي بكم لأبحث معكم موضوعاً خاصاً دون إزعاجكم بالحضور إلي أو الذهاب إليكم فاقترضت الموضوع على هذه السطور ، والموضوع هو :

إن ابني الحسن استلم راتبه من الحكومة ناقصاً وبدأ يلح علي بتزويده بالمال ولو على سبيل القرض . . هو كتب لكم في هذا الموضوع وأنا أقسم لكم بالله لا أعلم عن كتابته لكم وقد حزنت كثيراً من تصرفاته . وإنما الذي يهمني أن أعرفه هل هذا النقصان في الراتب خطأ أم عدم ثقة في ابني الحسن من طرف الحكومة الإيطالية ، في هذه الحالة سوف أعلمه بأن يبتعد عني ولا يزورني أبداً ما دامت هذه أعماله ، وأقسم لكم بالله العظيم بأني دائماً نصحته إلى الصواب والخير ولكن شعرت بأنه لا يهتم بنصائحي ويتصرف حسب أهوائه ونظريته كما تعلمون عنه بأنه رفض أن يأتي معنا عندما ذهبنا للقاءه . . بقي وحده واتصل بمتصرف درنة وهو من الذين يعملون حسب أهوائهم ، وأنتم تعلمون ذلك وما أردت الكتابة في هذا الموضوع إلا لتكونوا على بينة منه . . أنا من ناحية أخرى أخشى أن يدبر الهروب فقد قال لي بالأمس الأول ما ينفع إلا الفرار . . وقد تكلمت معه كثيراً ولكن كان جوابه دائماً أن هذا الكلام كله خراف ورأيت من الضروري أن أعلمكم بكل شيء لكي يستريح ضميري . . لأنكم تعلمون أبناء اليوم وتصرفاتهم . . هذا وأرجو أن تسعى لدى الحكومة الإيطالية في إبعاده من المستعمرة لصالحه حتى تستقر الأمور لأنه

أحياناً يرتكب الإنسان أخطاء قد تكون سبباً في هلاكه . . أنا لا أريد أن يكون هذا الموضوع مظلماً بل وضحت لكم .
والله يهدينا إلى سبيل الرشاد⁽¹⁾ .

ابنكم العزيز
محمد الرضا

إغلاق الزوايا أصبح الشغل الشاغل لعمر المختار، لأنها إحدى الموارد المادية التي يعتمد عليها رغم كتابة (إدريس) حاثاً إياه في الاستمرار مهما يكن الأمر ومن ناحية أخرى فأعيان بنغازي كانوا يمدون ويؤيدون الثوار في الخفاء ويضللون سلطاتنا بأنهم يباركون خطواتنا . . والدليل على ذلك عندما أمرت بإغلاق الزوايا لم يحدث أي تظاهر بالعداء لنا من الشعب أو حتى من المحبين لهذه الطريقة (يعني الطريقة السنوسية) . وعلى أثر هذه الحركة اقتنع محمد الرضا، وسائده الشارف الغرياني . . بأن يسيروا على طريق الولاء للحكومة والسعي في استتباب الأمن وفوق كل هذا نشر محمد الرضا بياناً يحث فيه الثوار على الاستسلام والخضوع إلى الحكومة الإيطالية⁽²⁾ .

وهذا نص البيان :

«بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على رسله المبعوثين . .
إلى العرب المضادين لي وللحكومة الرشيدة يهديهم الله آمين . .
يقول العلي الأعلى : قل لعبادي الذين يسمعون القول فيتبعون أحسنه . .

(1) إن الجنرال أراد أن ينشر هذه الرسالة، ليبين للقراء أن أسرة الرضا متفككة حيث الأب يشكو من ابنه إلى شخص غريب عنه لا يمت له بصلة إلا بالطريقة والوظيفة . . بينما الناس كانت مخدوعة فيهم يجلونهم ويقدرونهم . «المترجم» .

(2) الاستعمار طريقته معروفة في بث روح الخلاف بين الناس ومبدأه مشهور، فرق تسد . وها هي الحكومة الفاشيستية تفرق بين الأخوة الأشقاء وتبعدهم عن الطريق السوي . «المترجم» .

والحديث الشريف يقول: لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وكذلك الدين النصيحة - واتباعاً لكلام الله تعالى لا أريد أن أجبركم على اتباع نصيحتي من أجل أن أتخلص من مسؤوليتي أقسم لكم بالله العظيم أن الحالة الراهنة تؤلمني وتخيفني من عذاب يوم عظيم.

إن خضوعي إلى الدولة الإيطالية الرشيدة كان بمحض إرادتي دون أي ضغط تعسفي أو أي تأثير منكم أو باستشارتكم وما هو إلا نابع من ضميري وصحة تجاربي، وعلاوة على ذلك تفكيري العميق دون سواها.

ومن أجل هذا، تركت كل شيء ورجعت إلى أحضان الدولة الإيطالية العادلة.. تأكدوا بأنني مع الحكومة الإيطالية قلباً وقالباً أكره من يكرهها وأحب من يحبها.. وأشهد الله والمؤمنين بأنني بذلت كل جهد في سبيل النصح في بلدة (شحات والدور).. ولكن لم أكن أعتقد بأن تتخلوا عن نصائحي وتتبعوا من يقودكم إلى الهلاك والدمار والاستمرار في الثورة.. فهل تقتنعون وتنتهزوا الفرصة وتصافحوا اليد الممدودة لكم لترفعكم إلى مستوى أفضل، واستقرار دائم⁽¹⁾.

إن الجنرال غراسياني، شفيق رحيم إذا أنتم خضعتكم وسلمتم سلاحكم إلى الحكومة الإيطالية تجدون فيه الأب الحنون الشفيق وقد تقولون بأنكم تحاربون من أجل الدين والوطن.. ولكن من الذي تعرض إلى الدين، فما هي المساجد مزدهرة ومليئة بالعابدين، كذلك التقاليد والعادات محترمة، أما الوطن فأنتم الذين أفسدتموه وضيعتموه في هذه الحالة بتعننتكم وعدم خضوعكم لدولة إيطاليا الرشيدة⁽²⁾.

(1) هنا برهن الرضا أنه غير مخلص لطريقة أجداده وكذلك الشوار، لأنه وصفهم بأنهم عصاة ونصحهم بأن يخضعوا لأعداء الوطن والدين سبحانه الله يا سيد. «المترجم».

(2) لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، رجل يوصف بالورع والتقوى وإذا به يتهم أبناء الوطن بأنهم أفسدوا فيه.. أين الدين هنا؟ أين العقيدة؟ لقد ضاعت وهم الذين ضيعوها.

أنا سنوسي صافي وبريء أمام الله وأمام الحكومة من أعمال أخوتي وهنا أعلن بأنني لست منهم ولن أكون من زمريهم⁽¹⁾.

عندما احتل الإنكليز مصر قامت ثورة عرابي باشا وكان والذي محمد المهدي شيخ الطريقة موجوداً في الجغبوب، فطلب منه عرابي باشا أن يساهم معه في الحرب ضد الإنكليز فما كان منه إلا أن رفض رفضاً باتاً. لأن مبدأ مؤسسي الطريقة الأوائل مهمتهم دينية محضة ليس هنا حكم أو حكام فأجدادي كانوا هكذا. . وعلى هذا الأساس أوجه كلامي أنا ومن تبعني إلى أخوتي الذين خالفوا الطريقة التي أسسها آبائي وأجدادي.

لهذا فإني أدعوكم إلى ترك الثورة (الجهاد) وأن تتبعوا طريق الهدى أما إذا فعلتم غير ذلك أنبهكم بأنكم لستم مني ولا أنا منكم⁽²⁾.

وحيث أنني حفيد هؤلاء المؤسسين أدعوكم إلى الاستسلام وبعد هذا لست مسؤولاً أمام الله وأمام الحكومة الإيطالية عن كل ما يحدث لكم من أضرار واضطهادات. لأنني بينت لكم كل شيء ونصحتكم بكل صراحة والمثل يقول: خاب من لم يستشر وخاب من لم يتبع النصيحة. إن غلق الزوايا ومصادرة أموالها اليوم يعتبر إجراءً صحيحاً، أراد أخوتي سامحهم الله. . وهم المسؤولون وحدهم أمام رؤساء ومشايخ الطريقة السنوسية. اتبعوني واسمعوا نصيحتي فتنجوا أنتم وجميع المخلصين من دمار أكيد وموت محقق⁽³⁾.

هذه هي نصيحتي لكم، والنصيحة تكون ثمينة عندما توهب بإخلاص لا

(1) يا لله لقد وصل هؤلاء بأن تنكروا لمبادئهم، وكذلك لإخوتهم وأهلهم، ما موقفهم يوم القيامة بين يدي الله؟ لست أدري.

(2) نكبة ربا لها من نكبة، لقد أتاح هؤلاء إلى العدو الفرصة لكي يحط من قيمتنا وأحياناً يبالغ في إلصاق كل ما من شأنه زور وبهتان. «المترجم».

(3) يا لها من نصيحة! الإقلاع عن الجهاد والاستسلام إلى العدو الغاصب فضيحة ما بعدها فضيحة. «المترجم».

تباع بالدراهم وإني إذ أنصحكم لا أرغب من ورائها جاهاً ولا مالاً وإنما ابتغاء مرضاة الله والله يهديكم إلى سبيل الرشاد» .

نشاطات وزارة العدل:

كما ذكرت سابقاً لقد تأسست محكمة خاصة متنقلة على متن الطائرات، تحل في أي مكان من المنطقة لمقاواة الوطنيين الليبيين باعتبارهم ضد أمن الدولة. وفي شهر يونيو 1931 زار وكيل وزارة المستعمرات (ليسونا) إقليم برقة، وبصحبه مراسلو الجرائد الأجنبية والوكالات الإعلامية، لعقد مؤتمر صحفي بخصوص ليبيا وشرح قضاياها. . ومن بين هذه القضايا أعمال المحكمة الخاصة المتنقلة. وكانت المقابلة مع الجنرال (أولوفيري) المحامي العسكري ورئيس المحكمة الخاصة. وسئل في المؤتمر متى أسست المحكمة الخاصة؟ فأجاب: إن المحكمة الخاصة ليست بالشـ ـ الجديد، بل أسست منذ أول الاحتلال عام 1911- إلى هذا اليوم. وستظل دائماً تحت تصرف حاكم البلاد من أجل الدفاع عن أمن الدولة.

ولكن في هذه الأيام حدثت أشياء جعلت هيئة المحكمة الخاصة تتخذ الإجراءات الصارمة، بحيث ربطت الأعمال في الميدان العسكري والميدان المدني وميدان العدل، من أجل أن يسود النظام دون أي ضغط أو تأثير، حتى نصل إلى أهدافنا النهائية.

وكما قلت إن الحوادث مثل موقعة (قصر بن أقدين) وموقعة (البياضة) الأولى حدثت في سبتمبر 1922 والثانية في نوفمبر 1929. دلت هذه الوقائع أن الثورة مستمرة رغم كل هذه الخسائر التي أحاطت بنا. وفي البياضة بالذات التي قتل فيها المحامي (رونيوني) والجندي (روسيني) والإخوة (لاكوتيانا) والعامل (فروفلو) والملازم أول (بياتي) وضابط صف (هوبير). ومن هنا كل من يقع في يد الثوار مصيره الموت ولم يعد لنا .

وعلى ضوء هذه الاعتبارات يمكن القول بأن السكان المحليين لهم القسم الأوفر في تمويل (الثوار). فمثلاً العربي الخاضع لحكمنا يمد الثوار بكل شيء: رجال - سلاح - مؤن وأموال. كذلك المشايخ الذين ندفع لهم الرواتب يزيدون عليها قيمة الأعشار وبيعونها إلى الثوار من أجل تمويل الجنود التابعين لقبيلتهم، وكذلك الموظفون المصنفون يدفعون الأعشار من رواتبهم كل هذه التصرفات أوقفت عندما تسلم الجنرال غرازياني الحكم في البلاد. . فتغير كل شيء، وبدأت في البلاد حياة جديدة.

إن نظام هذه المحكمة المتنقلة وفر على الدولة كثيراً من الأعمال، منها جلب المتهمين إلى مدينة بنغازي، وكذلك نقل الشهود كان يأخذ الكثير من الوقت، وكذلك الكثير من المصاريف. لأن العرب الليبيين أكثرهم رحل لا مقر لهم. ومن أجل مساعدة المحكمة خصصت طائرة لتنقلها في أنحاء الأقليم، دون حدوث أي عائق يمنعها من التجول أثناء انعقاد جلساتها متى شاءت وفي أي مكان أرادت. اتفقت المحكمة مع الحاكم على النقاط التالية:

- 1 - تنفيذ القانون بشدة.
- 2 - تنفيذ الأحكام فوراً.
- 3 - في الأماكن التي ارتكبت فيها الجريمة.
- 4 - تعقد جلسات المحكمة في العراء، وبحضور الجماهير في الميادين العامة.
- 5 - وبرقابة شديدة في كل الأحوال.
- 6 - العلانية إلى أعلى حد وبتعقل.

وهكذا تهيأت المحكمة الخاصة بكل الوسائل من أجل تسهيل مهمتها بأسرع ما يمكن. . فاستعملت السكة الحديدية، السيارات والطرادات وأخيراً الطائرات. فالمحكمة حاضرة في كل مكان حتى سميت المحكمة الطائرة. من

البردية إلى العقيلة وفوق الجبل، وفي الوقت نفسه تابعت حركة القتال والمعارك التي قادها الجنرال غراسياني ومساهمة (البرنس دوق دي بوليبي).

وهنا يجدر بي أن أسجل إلى هيئة القضاة التي ساهمت مساهمة فعالة رغم أنها لم تتوقف لحظة عن أداء واجبها المقدس. . . وكما قلت إن المحكمة الخاصة مارست أعمالها في كل أنحاء المستعمرة بنشاط منقطع النظير، ومتواصل بدون انقطاع حتى بلغ أحياناً إلى طيران ما يزيد عن مائة ساعة. . . لم يقع أي حادث أو عائق أثناء أداء مهمتها. وفي بعض الأحيان يحدث خلاف بين عائلة وأخرى، لم يحدث أبداً أن ضللت المحكمة بل كانت دائماً على أهبة للحضور في أي مكان. . . وتصدر أحكامها بكل جرأة ووضوح.

وهنا أعرض بعض الأحوال الهامة لبعض الأشخاص الليبيين الذين نفذت فيهم المحكمة الخاصة حكم الإعدام. في 14 يونيو 1930 عقدت المحكمة جلساتها في شحات لمحاكمة المواطن حمد بو عبد ربه الدوسي في الميدان العام باعتباره خائناً للدولة الإيطالية. . . لأنه كان شيخاً لبيت من بيوت قبيلة الدراسة، وكان محترماً من سلطاتنا ولكن اتضح لدى قسم المخابرات أنه يتعاون مع الثوار في إمدادهم بالمؤن والسلاح، وكانت مخيماته تعتبر شبه استراحة لجنود الثوار، وعدد هذه المخيمات يزيد عن عشرين خيمة بمنطقة (قصر بن قدين) المكان الذي يتزود منه الثوار بالمؤن والسلاح.

وقد حكم عليه بالإعدام رمياً بالرصاص في الميدان بشحات وأمام الجماهير. وبعد أسبوع من هذا الحادث حصلت حركة انتقامية من الثوار. هجموا على نفس الميدان، وفي وضوح النهار قتل فيه عدد كبير من جنودنا. . . وكذلك تاجر من تجار المنطقة.

وفي شهر مارس 1930 حدث هجوم من الثوار في غابة (بير قندولة) وكان هذا الهجوم بقيادة شيخ الثوار (عمر المختار). وفي هذه المعركة سقط الكثير من الجنود الأريثريين.

وفي شهر سبتمبر 1930 اكتشفت قوة الأمن بمنطقة البركة ببنغازي، أن المواطن محمد الحداد أحد أعيان بنغازي ومن تجارها يتعاون مع الثوار. وعن طريقه تتم حركة الإمدادات من المؤن والأسلحة. وكان يستضيف في بيته الثوار ويمدهم بما يلزمهم.

وفي الوقت والحين حضرت المحكمة الخاصة وحكمت على الأب والابن بالإعدام شنقاً. في نفس ممتلكاته وأمام الجماهير التي أرادت السلطات الإيطالية إحضارهم خصيصاً لمشاهدة تنفيذ الحكم⁽¹⁾.

وهذا مثال آخر:

سليمان سيد شيخ قبيلة الطرش، كان عضواً في مجلس النواب، حاملاً لوسام النجمة الإيطالية للمستعمرات برتبة ضابط، وكان يرتدي برنوس الشرف الخاص بالنواب الليبيين. كنا نعتمد على آرائه، ولم نفكر في يوم من الأيام أن يكون ضدنا ويتعاون مع الثوار على حساب ثقتنا فيه. وكانت له الكلمة المسموعة من كل السكان. من بنغازي إلى المرج يكتنون له الاحترام والسيطرة على مشاعرهم. ثم وشى به بعضهم وأصبح موضع الشك. ولذلك حكمت عليه المحكمة بالإعدام. لأنه كان يستغل نفوذه ويتعاون مع الثوار على حساب ثقتنا فيه. ومن هذا النوع الكثير من المشاهد التي لا يمكن حصرها ومن شهر أبريل 1930م إلى آخر مارس 1931م وهو أول سنة من حكم الجنرال غراسياني، حصلت (520) قضية ضد 809 متهمين هذه الـ (520) قضية غير القضايا الأخرى التي حفظت بأمر النيابة العامة. وهذا يدل على نشاط سلك المخابرات، وقيامه بتحقيقاته على أوسع نطاق وبذكاء منقطع النظير. وفي نفس الوقت واصلت المحكمة إنهاء (400) قضية ضد (700) متهم، وبعد الانتهاء من هذه التحقيقات العامة جاءت النتيجة كالاتي:

(1) هذه آثار المستعمرين عندما يحاربون الشعوب في أخلاقهم وإنسانيتهم ويقضون على المحبة والمودة بين الأب وابنه. «المترجم».

من (448) شخصاً ثائراً صدر حكم الإعدام على (250) ثائراً، مقابل 198 بأحكام مختلفة.. وكذلك صدر حكم الإعدام غيابياً على عشرين ثائراً انضموا إلى صفوف الثوار. وغيرهم من الذين وقعوا في الأسر أثناء المعارك كلهم أعدموا⁽¹⁾.

وبعد هذه الأعمال أصبحت القبائل تتحرك وتنقل مخيماتها من مكان إلى آخر. ورغم هذه الإجراءات لا زال الشعب الليبي يتعاون مع الثوار إلى درجة الضياع التام. ولكن (عمر المختار) ليس بالرجل الغبي أو الجاهل كما قال عنه (الكولونيل أو العقيد نانسي) فبفكره الثاقب وعقله الراجح رأى أن استمرار التعاون مع السكان الليبيين يعرضهم إلى الأخطار وحكم المحكمة الخاصة.

والذي أكد لنا هذا هم الثوار الذين وقعوا في الأسر، أكدوا لنا أن (عمر المختار) أمرهم بالابتعاد عن السكان الليبيين وقطع كل علاقة تعرضهم لتدخل السلطات الإيطالية والمحكمة الخاصة.. في الميدان العسكري قلت حركة تهريب الأسلحة والذخيرة نتيجة أحكام المحكمة، وبعد تنفيذ حكم الإعدام في كثير من السكان الليبيين. هذه هي نتائج العدالة العسكرية التي تمكنت بفضل مجهوداتها من تجميع قوة السلاح مع الحق في المستعمرة.

إن مجموعة (القضبان والفأس) هما شعار الحكم والعدالة العسكرية وبِعِزَّتُهُمَا حكمت الدولة هذه الأرض بالمبادئ الفاشيستية والرومانية. فقد كانت كل أحكام المحكمة الخاصة عادلة رغم دقة الظرف وخطورته، لأن القانون يعاقب كل مخالف ومعتد. وحقيقة قالها القاضي الشهير (بورزيو) لا يوجد معبد قريب من الله مثل ضمير القاضي. نحن كهنة العدالة نعيش بإحساسنا من أجل العمل ونعرف ثقل المسؤولية التي تحملنا أخطر المهمات نحو الله والناس والرجال وفوق كل شيء نحو ضميرنا الذي لا يهدأ خشية أن نقع في الأخطاء عند أي نقطة ضعف أو ضغط من أي كائن كان.

(1) إن الروح البشرية لا قيمة لها عند هؤلاء المستعمرين وكان الحق أعمى بصيرتهم فأصبحوا يقتلون الناس بالميثات دون وازع من ضمير. وها هو التاريخ يسجل لهم استبدادهم وظلمهم. «المرجم».

الفصل الرابع :

الأعمال المسلّحة في عام 1930م

في أوائل أبريل 1930م تستمر الأدوار في الاتصال بمنتجعات الخاضعين لسلطاتنا من تزويدهم بالموثون والأسلحة والذخيرة. ودلت الأخبار أنهم ليسوا على وئام مع الثوار. . وقد كانت هناك مناوشات مع مجموعات صغيرة تصل في بعض الأحيان إلى القتال بالسلح الأبيض. وكان ذلك في منطقة المحجة. بعد هذه المناوشات اعتقد الكثيرون بأن المنطقة خالية من السكان. إلا أنه في يوم 11 أبريل قامت مجموعة من الثوار يزيد عددها عن المائتين نصفهم من الفرسان، هاجموا على غرة الفصيلة السادسة في المرعى بين (بلقيس والفيدية). عندها بدأت قواتنا تنسحب تدريجياً نحو القلعة حتى لا تطوق من الثوار، وفي الوقت نفسه تعطي الفرصة للفصيلة السابعة لمجابهة الثوار. . وكذلك إلى قائد الفيلق الليبي القادم من شحات المسلح بالمدرعات والمدافع الجبلية لفك الحصار عن قلعة الفيدية.

وبعد قتال دام طوال اليوم، انسحب الثوار إلى مراكز أخرى نظراً لانهاء الذخيرة من الثوار. بعد فشل معركة الفايديّة غير (عمر المختار) خطته. وأصبح يقوم بهجوم خاطف في كل مكان من الجبل ضد دورياتنا الأمامية.

وهذه الحركات التي يقوم بها (عمر المختار) من شأنها رفع معنوية الجنود، بحيث لا ترهبهم كثرة العدو وسلاحه. . ومن هذا المنطلق يجب أن

نأخذ بعين الاعتبار، أن أمامنا عدواً عنيداً (يعني المجاهد عمر المختار) في هذه الأثناء سرت الإشاعات أن المجاهد (عمر المختار) مات من أثر جراح أصابته في موقعة الفايدية، وإشاعة أخرى تقول أنه مات مسموماً من شخص أرسلناه لهذا الغرض⁽¹⁾.

هذه الشائعات زعزعت البعض ولكن اتضح لنا أخيراً أنها دعاية من أجل الضحك علينا. ومن جهة أخرى أن اتباع (عمر المختار) ومؤيديه لم يصدقوا هذه الإشاعات، بل فندوها على الفور. واعتبروا أن عمر المختار دائماً معهم بالجسد والروح.

ومهما تكن هذه الإشاعات سارية فقد تحقق وجود (عمر المختار) بعد معركة (وادي السانية) في شهر أكتوبر 1930م حيث أصيب جواده وكاد يقع أسيراً في يدنا. والدليل على ذلك أنه وجدت على أرض المعركة بعد انتهائها نظارته ذات الأجنحة الذهبية وجوؤها الفضي، فقد اقتنعت أن (عمر المختار) لا زال على قيد الحياة. وإنه الأسطورة التي لا تنظر ولا تقهر ولا تضبط ولكن اقتنع هو كذلك أن الحرب أصبحت حقيقية، لأنه عزل عن كل شيء، لم تعد هناك إمدادات، ولم يعد هناك تمويل، فأصبح من الصعوبة بمكان الحصول عليها. الآن تحصلنا على النظارات، وسيأتي اليوم الذي نتحصل فيه عليه. وقد وضعنا منذ السنة الماضية مبلغ مائتي ألف فرنك مكافأة لمن يأتي بعمر المختار حياً أو ميتاً.

إن موقعة الفايدية 11 أبريل 1930م عندما كان موضوع نزع السلاح على قدم وساق، وحملة المحكمة الخاصة في أوج أعمالها، أثرت هذه الموقعة على معنوياتنا. وأحدثت لنا جروحاً دامية في قلوبنا. وقد سمعنا (عمر

(1) كم كان عظيماً عمر المختار الأمر الذي جعل الجنرال غراسياني يعترف بقوة المجاهد ويرسل له شخصاً لكي يضع له السم وهذا دليل واضح على عجز القوات الفاشيستية أمام المجاهد عمر المختار. «المترجم».

المختار) يقول لأتباعه قبل موقعة وادي السانية: إذا سمعتم زئير أسد من بنغازي إلى قلب الجبل لا تخافوا، سوف تحقق لكم الأيام مرة أخرى أنه تحت جلد الأسد حمار.

وعلى أثر هذه الحركة الأولى وبدون شك، إن سرية الفرسان التي أهملت الرقابة حتى فوجئت بهجوم سبب لها خسائر جسيمة. وقد وجهتُ إلى قادة السرية الكلمات التالية:

إن معركة 11 أبريل 1930م التي يعتز بتيجتها (عمر المختار) وأتباعه والتي ستؤثر على الليبيين الخاضعين لسلطاننا، كانت نتيجة إهمال وعدم روية من قادة السرية⁽¹⁾.

فعليه يجب على كل قائد أن يعلم أن كل غلطة مثل التي حدثت، سوف لن تغفر لأحد غلطة مماثلة وسوف يدفع ثمنها بحياته. يجب على كل قائد أن يفتح عينيه في كل وقت وفي كل مكان أينما وجد. ويجب عليه كذلك أن يرسل الطلائع الأمامية لاكتشاف تجمعات العدو (يعني الثوار) لأن الطيارات ليس في استطاعتها استكشاف كل شيء. خصوصاً في منطقة الجبل الأخضر لأنها تكثر فيها الغابات الكثيفة، الأمر الذي يحجب كل شيء. ولم تتضح الرؤيا عن طائرات الاستكشاف، كذلك تحميل المسؤولية إلى السكان المحليين، (يعني الليبيين) لأنه كان في استطاعتهم إعلامنا بالتجمعات لو أرادوا ذلك. ولكنهم لم يفعلوا لأنهم ضدنا باطنياً ومعناً ظاهرياً.

بعد هذه المعركة جاءت الأخبار بأن الثوار تجمعوا مرة ثانية في منطقة (الفايدية). لأنها كانت المنطقة المفضلة للثوار، نظراً لوعورة مسالكها وكثافة غاباتها. وكذلك توجد في منطقة الوسط بين أراضي العبيدات والبراعصة.

(1) هذا اعتراف من الجنرال غراسياني بهزيمة قواته أمام الثوار حتى اضطر إلى توجيه اللوم إلى قادة السرية المهزومة. رحم الله عمر المختار وجنوده البواسل. «المترجم».

حيث تربطها ببعضها عدة طرق . وبها مزارع ومراع خصبة ومركز تموين للشوار . لأنه يربط مراكزنا الأربعة في أرض (فايد) وهي :

جردس جرارى - سلنطة - فايدية - خولان . ونقطة المركز في (قصر مرق) وكانت هذه المنطقة هي موقع اختيار المجاهد (عمر المختار) من أجل أن يجعلها مركز تجمع لقواته المقاتلة . وفي الوقت نفسه مركزاً لاستقصاء أخبار تحركاتنا العسكرية . وكذلك الحصول على المساعدات والأعشار من الليبيين الخاضعين لسلطاننا وهي مخيمات البراعة، العبيدات والحاسة . . ومن هذه المخيمات يتحصلون على السلاح والتموين إلى كافة أدوار الشوار أي المجاهدين . أن الأعيب (عمر المختار) كانت في الواقع التهرب من ضغط قواتنا على تجمعاته وكانت كل أعماله وسياسته أن يؤثر على السكان المحليين (أي الليبيين) ، لكي يتحصل منهم على المؤن والأسلحة وكذلك الأموال أي الزكاة بينما كانت سياستنا إبعاد السكان المحليين (أي الليبيين) عن تأثيرات الشوار (أي المجاهدين) وعزلهم عن كل حركة تقربهم إلى بعضهم . بل السعي بكل الوسائل لمنع الدعايات ضدنا حتى لا يتأثر السكان المحليون بها . وألا يرسخ في أذهانهم بأن الشوار في إمكانهم مهاجمتنا متى شاءوا وأينما كانوا .

يجب أن ننتهج مع عمر المختار وأتباعه سياسة التضليل ، بحيث يمكننا تشتيت تجمعاته حتى لا يتمكن من الاعتداء على مراكزنا . . وفي الوقت نفسه إرغامه على الخروج من مخبئه إلى العراء لكي نسدد إليه الضربات القاتلة . .

العمليات الحربية في منطقة فايد من 15 إلى 30 يونيو:

في هذا الوقت استأنف عمر المختار الهجوم المفاجيء في المنطقة وأصبح مصدر قلق لقواتنا ، بحيث لم نعد نعلم من أي جهة يبدأ الهجوم . .

وعلى هذه الحالة تتلخص الأمور في نقطتين مهمتين :

أولاهما : أن تنقلات قواتنا تتم دائماً بنظام .

ثانيهما : أن قوات الجبل كان الاتصال بها ضعيفاً، نظراً لبعد المسافات، ووعورة الأراضي . .

لم نحظ منهم في يوم من الأيام بأي نتيجة من أعمال هذه القوات .

وقد اتضح لنا أن تحركات (دور منطقة المحجة ومايسينة) وهجوماته، جعلتنا نحسب له الحساب . نظراً لخطورته التصاعدية في المنطقة التي نستطيع أن نسميها منطقة (فايدية) . . هذه المنطقة هي الإسفين في قلب الجبل، التي فشلت أمامه حركة التوسع في المربع (جردس - سلنطة - فايدية - خولان) . ولكنه قائم بمثابة ربط سلسلة المواصلات بينها، وكذلك يقوم بالضغط على وحدات الثوار التي تتخلل صفوفنا عن طريق الوديان المتعددة في المنطقة .

في أوائل شهر يونيو 1930م وصل إلينا (أجدابيا) قسم مختلط من طرابلس لتنظيم الأحوال في منطقة (سرت) . و . اداة كتيبة أخرى لتقوية المقاتلين في الجبل، وهكذا بعد تجميع المخيمات الخاضعة لسلطاننا بقرب مراكزنا . . بحيث تكون رقابتنا لها أكثر دقة ونظاماً . . وفي الوقت نفسه يصبح الضغط على أدوار الثوار شديداً حتى تمنع عنهم التزود بالمؤن والسلاح .

إن برنامج العمليات الحربية حسب الخطة المرسومة هي كما يلي :

أ - في الوقت الأول : يجب تجميع الوحدات من (سرت والمخيلي) بحركة سريعة ومتردة تتحرك بتستر إلى أهدافها حتى تتصل بنقطة التماس في نصف الدائرة المكونة من (جردس سلنطة - الفايدية - خولان) .

ب - التوقيت الثاني : انتقال القوات الأخرى من منطقة (سرت) لكي تمر بين (قارت العديسي) و(بير ياسين) من أجل أن تلتحق بالقوات المسلحة في الجبل . يجب تطهير هذا الطريق لكي تمر القوات بسهولة، حتى تتصل بالقوات الأخرى في الجبل .

إن قوات (سرت) ومعها القوات المحلية بقيادة القائد عاكف أحد

المخلصين لنا الذي يدخل المعركة لأول مرة ضد الثوار (المجاهدين) بعد أن قطع مسافة كبيرة تستحق التقدير والإعجاب رغم رداءة الجو وصعوبة المسالك، اجتازتها قواتنا في سبعة أيام.. حيث اتصلت بقواتنا الموجودة فوق سفح الجبل.. وقد كانت المسافة الصحراوية تزيد عن الثلاثمائة كيلومتر. التي تفصل (أجدابيا) عن المخيلي، على طول طريق (أجدابيا) - (جوف المطر) (بير بن غني) (بير تنقدر).. وفي ليلة 15 يونيو 1930 قامت قواتنا بتطهير منطقة (وادي الكوف) لتسهيل الاتصال بين قوات الجبل مع القوات القادمة من (سرت) و(أجدابيا). وفي اليوم التالي صار احتلال منطقة الفايدية من جديد بعد أن أخلاها الثوار، بحيث لا يفاجأوا بتطويق من جيش الإيطاليين الزاحف ثم استولوا على (قصر مرق) و(بلقيس) بعد تعزيزهم بقوة متحركة لكي تضمن لهم الثبات في هذه المنطقة، نظراً لأهميتها الحربية. وصممت القوات الإيطالية على ألا تنسحب منها مهما كانت الظروف.. وقبل أن تقوم قواتنا بأي عمل كانت أدوار الثوار عندها الخبر بواسطة الذين يزعمون بأنهم خاضعون ومخلصون لسلطاننا. فكانت الأخبار تصل إلى (عمر المختار) أسرع من البرق، الأمر الذي يفسد علينا كل الخطط التي نرسمها للمعركة، وبالأخص في منطقة سلنطة - الفايدية - القيقب. حاملو هذه الأخبار أكثرهم من الجنود المتطوعين في صفوفنا، بينما هم الآفة الخطرة التي تنخر في صفوفنا تحت ستار الطاعة المزيفة، وفي الوقت نفسه جنود في الكتيبة العاشرة.

وقبل البدء في الأعمال الحربية أمرت بتوزيع المنشور الآتي على كل المسؤولين في الدولة من عسكريين ومدنيين للإطلاع عليه:

1 - الخاضعون لسلطاننا من الليبيين كلهم مسلحون ويتحصلون على الأسلحة والذخيرة بسهولة، وبيعونها إلى الثوار. ولكن نزع السلاح الساري الآن عمله. إلى تاريخ اليوم سلمت 3175 بندقية و(60,000) ستون ألف خرطوشة (أي ذخيرة). إن سحب السلاح والذخيرة مستمر دون هوادة.

وفي القريب العاجل سيعلن قرار حكم الإعدام على كل من تكون في حيازته أسلحة وذخيرة.

2 - إن الجنود غير النظاميين والدوريات أسلحتهم كلها من طراز (91) الإيطالية. وعن طريق هذه التنظيمات تتحصل الأدوار على حاجتها من الذخيرة. . أما اليوم فقد تغير الوضع وأصبح السلاح المستعمل من الجنود النظاميين وغير النظاميين والدوريات مسلحة بسلاح جديد من طراز 70/81. لهذا أصبح من الصعوبة بمكان تزويد الثوار بالذخيرة لأنها لا تنطبق مع الأسلحة التي بيد الثوار (المجاهدين) لأنها من طراز (91)⁽¹⁾.

3 - الليبيون الخاضعون لسلطاتنا كلهم رحل ومبعثرون في أراض شاسعة وهنا يلقي الثوار كل ما يحتاجونه من سلاح ومتاع وغيرها في هذه المخيمات، لأنها بعيدة عن مراقبتنا، وكذلك بحجة أنهم يستلمون زكاة الأعشار. أما اليوم فقد وضعوا في مكان معين، وأصبحوا تحت رقابتنا في كل وقت لا يمكنهم أن يتحركوا مهما حاولوا ذلك.

4 - وبما أن الثوار يعيشون على جلب الأعشار من الخاضعين تحت سلطاتنا. لهذا فقد تقرر أن كل من يدفع الأعشار إلى الثوار، أو من يتعاون معهم سوف يكون معرضاً لحكم الإعدام فوراً.

5 - إن مشايخ الزوايا يعتبرون متعاونين مع (عمر المختار) يمدونه بالمعلومات وتحركاتنا العسكرية. أما الآن فكل مشايخ الزوايا وضعناهم في السجون، وأوقفنا نشاط الزوايا من أي نوع كان سواء كان دينياً أو غير ديني.

(1) وهذه ضربة أخرى سددها العدو إلى المجاهدين لكي يفت في عضدهم ولكنهم استمروا في الكفاح وتحصلوا على السلاح الجديد والذخيرة من المعارك التي هزم فيها الجنرال وجيوشه. «المرجم».

6 - إن قوة الضبطية التابعة لقوة الأمن لم تشترك في الحركات العسكرية ولم يكافأوا على ذلك، ولكن في الأيام الأخيرة بعض الحوادث أقنعتني أنهم عكس ذلك. فإذا لم يغيروا بروح جديدة ونشاط مفيد أما إذا جاء العكس سوف يتعرضون إلى إلغاء أقسامهم.

7 - إن السلطات المدنية لم تشترك كذلك. أما اليوم فأمامها المجال. عليها أن تجتهد لتساهم في المجهود العسكري للوصول إلى آخر الأهداف.

8 - سياسة الحكومة كانت ضعيفة جداً. أما اليوم فلا يمكن أن تكون أقوى مما هي عليه الآن. لأنها مرت بحوادث مرهقة يعرفها الجميع.

9 - بتدخل المفاوضات الجديدة من أجل إيقاف استمرار القوة. ولكن لاحظت أخيراً أن الحكومة تزداد كل يوم نشاطاً واجتهاداً.

وأضيف على هذا أن قوات الجبل عززت بعدد كتيبتين من (الأيترين) الرابعة عشر والخامسة عشر بدلاً من بقية الكتيبة الليبية السابعة التي قتل منها من قتل وانضم عدد منها إلى الثوار حتى لم يبق منها إلا ثلاث مجموعات صغيرة. وكذلك عززت القوات الجوية بسرب مكون من ست طائرات من نوع (رو)⁽¹⁾.

مع كل هذه الاستعدادات هناك شيء آخر مهم جداً بالنسبة لتحركاتنا العسكرية، هو شق الطرق لكي نسهل وصول الإمدادات في وقتها المناسب. ومن هنا يتضح أننا استعدنا استعداداً كافياً.

إن الثوار لم تصل تجمعاتهم إلى خمسمائة مقاتل في أي منطقة من مناطقهم، وإن قواتنا تفوقهم بعشرة أضعاف عددهم⁽²⁾.

(1) كل هذه الاستعدادات والتعزيزات من أسلحة حديثة وطائرات ودبابات من أجل من؟ كلها من أجل الثوار الذين أقلقوا حياة الجنرال غراسياني الذي أصبح يطلب من حكومته الفاشيستي المزيد من العتاد والرجال. تحية للشهداء.

(2) هذا اعتراف صريح من الجنرال غراسياني بأنه جهز عشرة جنود مسلحين على أحدث طراز لكل نائر من الثوار. وهذا صحيح لأنني عشت الفترة ولا يمكن لأحد نكرانه إلا من في قلبه مرض. «المترجم».

وبهذا كله لا ينقصنا شيء إلا الشجاعة والإقدام.

وكما قلت لقد تغلبنا على كل الصعوبات التي كانت تعترض طريقنا. مثل صعوبة المسالك في الجبال والغابات، عدم نشاط المخابرات عدم وجود خبراء، والطرق كلها ذللناها وتغلبنا عليها. إن الشرف العسكري يتطلب منا أن نواجه العدو في كل مكان حتى نقضي عليه مهما يكلفنا من ثمن. ومن أثر هذه الضغوط تحول نشاط الثوار في منطقة (البطنان) التي يسمونها (مرماريكا) وهنا وضع عمر المختار خطة أخرى مفاجئة لكي يخلو له الجو ويقرب من الحدود الشرقية فيسهل عليه تهريب الأسلحة والمؤن من القطر المصري نظراً للتحصينات والاستعدادات في جنوب بنغازي وفوق الجبل، اتخذتها السلطات الفاشيستية فأصبح من الصعوبة بمكان الاتصال بالمدن والمخيمات. . . وعليه فقد تحول النشاط في المنطقة الشرقية وهي من (ميناء بردية) إلى (أمساعد) شريط طوله (250) كيلومتراً وعلى هذا واصل الثوار تنشيط التجارة مع مصر. وفي هذه المنطقة كانت رقابتنا ضعيفة جداً على طول الحدود التي يبلغ طولها (300) كيلومتر.

ومن هنا بدأت الحركة فقد أُغِيرَ على (عين الغزالة) ومن ضمن الغنائم (500) رأس من الإبل مارة بنجع الفواخر وهنا تحركت القوات نحو المنتجع واتخذت كل الاحتياطات من بينها إحاطة هذا المنتجع بالأسلاك الشائكة، ووضع قوة مسلحة لحراسته. وقد جعلنا قوة تحت اسم خفر الحدود، زودناها بكل وسائل الدفاع والهجوم. وهذا التنظيم أثمر لنا بأن قواتنا هاجمت مراعي الثوار واستحوذت على ثمانية آلاف رأس من الغنم⁽¹⁾.

أما الحركة فوق الجبل فالحالة فيه على ما يبدو في صالحنا، لأن موقفنا

(1) وهنا لم يصدق المؤلف أي الجنرال غراسياني لأننا كلنا نعلم أن الثوار دائماً يرسلون أغنامهم إلى القطر المصري للاتجار وإن الثمانية آلاف رأس من الغنم التي استحوذت عليها قواته كانت للقبائل الخاضعة لحكم الدولة الفاشيستية وهذا ثابت وحق.

العسكري ممتاز بعد أن ضغطنا على أدوار العبيد - الحاسة - والعبيدات . . وفي أوائل يوليو 1930م استلم (اليتينت كولونيل) مساعد العقيد مالطيزي هذا الضابط الكبير له خبرة وتجارب في الحروب وبالأخص في معارك طرابلس الذي كان فيها قائداً لكتيبة القوات المتحركة . كما كانت له قوة خارقة وهو شجاع يعرف كيف يتصرف ويتحمل المسؤولية . وقد ساهم معه في معارك الجبل الكولونيل المشهور (بياتي) . هؤلاء الضباط الكبار كلهم ساهموا في المعارك فوق الجبل .

إن الحروب في برقة متنوعة ومتفرعة . وهناك الرائد (لورينزيني) قائد فرقة الدروع أو القوات المدرعة ، وكذلك مساعد العقيد (اليتينت كولونيل) ماروني والرائد (ماجوري) و(رغانتزي) كلهم رجال خاضوا معارك الاحتلال ، وقد صقلتهم حروب المستعمرات . . وتتجمع معهم الفرقة غير النظامية منتدبة من طرابلس بقيادة الوجيه (عاكف بك) كان يوزباشياً في الجيش التركي ، وفي حرب طرابلس كان مخلصاً لنا ومثالاً في التفاني والشجاعة . له إلمام تام بمواقع برقة شبراً شبراً . . وقد اشترك في الأعمال الحربية ضدنا مع (أنور بك) أثناء عملية الاحتلال .

هكذا كان يشرح تقرير مساعد العقيد (اليتينت كولونيل مالطيزي) المعروف لدى البرقاويين في الأعمال الحربية .

إن التصادمات مع الثوار لا زالت مستمرة دون هوادة . . بتفكيك صفوفه . بتكبيده الخسائر الفادحة أينما وجد .

وفي يوم 8 يوليو 1930 اشتبكت مجموعة عاكف مع الثوار في منطقة بو إكرمية وهناك يوماً تحدث اصطدامات صغيرة لا تذكر في كل مكان من إقليم برقة . وفي شهر أغسطس توسعت رقعة الحرب ، فاشتبكت الكتيبة الثانية والعشرون من الارتيريين في المنطقة البحرية من المرج . . الفرقة الخامسة من الفرسان (صواري) والكتيبة الثالثة عشرة من الارتيريين اشتبكتا مع الثوار في منطقة جردس جراري .

أما مجاميع قوات المرج التي تقاتل في أراضي العبيد هذه المجاميع
مشتبكة مع دور العبيد وبعد الهزيمة التي أحاطت بنا في هذه الأرض انضمت
المجاميع المنهزمة مع قوات (بياتي) في منطقة (بير الزيتون) كل هذه النشاطات
بين الشوار وقواتنا المتعددة سواء في غرب الإقليم أو في شرقه مثل أرض
العبيدات في الشرق ودرنة وشحات وفي مناطق أخرى من الجبل.

في مخازن مخفر (مرتوبة) قرية قريبة من مدينة درنة توجد كميات كبيرة
من القمح والشعير جمعها الشوار من زكاة الأهالي واستحوذت عليها قواتنا
وبالاتفاق مع متصرف درنة المعروف (داود ياتشي) بأن يجند كل الوسائل لنقل
هذا القمح والشعير من مخازن مرتوبة إلى درنة وفعلاً قام المتصرف بهذا العمل
إذ قام بإرسال قوافل الإبل وعربات الكارو وقليل من السيارات الحمالات . .
وفعلاً بدأت القوافل تصل إلى درنة بسلام ، وفي اليوم التالي حدث العكس
فتعرضت القوافل إلى هجوم من الشوار استحوذوا عليها بعد قتل حراسها
وأكثرهم من الأريتريين .

وكان عددهم يزيد عن نصف كتيبة مسلحة من الكتيبة الأريتريّة الرابعة
عشرة ومدرعتين قضي عليها جميعاً وأخذ الشوار القافلة والسلاح غنيمة .
وكانت هذه المعركة تعرف بمعركة وادي (البقر) رغم قوة الأريتريين ومدرعتين
وجنود محليين لحراسة القافلة .

وعندما وصل الخبر إلى درنة بضياح القافلة - قام (مساعد العقيد)
(مالطيزي) بقوات جديدة لإمداد المنهزمين واسترداد القافلة ولكنه باء بالفشل
وأصر على متابعة الشوار ولكن دون طائل .

وفي معركة أخرى اشتبكت قواتنا مع الشوار لاسترجاع قافلة أخرى ، وكان
عدد الشوار (150) مقاتلاً وبعد تبادل إطلاق النار تدخلت القوات المدرعة
 واحتجزت جمال القافلة بعد معركة طاحنة قتل فيها عدد كبير من الطرفين . هذا
وقد استمرت قواتنا المدرعة في متابعة الشوار إلى أن التحق بهم في وادي

(المخلق) فأصبحت القوات المدرعة على الضفة المقابلة من الوادي وكانت قوات الثوار على الضفة العليا فأصبح من الخطر اقتحام الوادي وبهذا تمكنت قوات الثوار من الوقوف في وجهها مدة من الزمن حتى استطاعوا إبعاد القافلة عن الخطر وأوصلوها إلى المقر العام للثوار بسلام.

اشتباكات وادي الأثرون والعمليات الحربية:

بأمر قيادة الجبل تحركت مجموعة الرائد (رغاتي) نحو وادي (بدهاش) حسب تعليمات قسم المخابرات بأنه في (وادي الأثرون) توجد قوة للثوار من أجل أن تزحف شمالاً حيث تعسكر قرب شحات مجموعة الرائد (رغاتي) وحيث أن القوات النظامية لم تكن مستعدة للاشتباك مع الثوار فقد قام الممثل المدني للحكومة بتجنيد (200) مائتين من قبيلة الحاسة لتعزيز القوات النظامية وقد نقل هؤلاء الجنود على السيارات المدنية التابعة للسكان إلى أن وصلت إلى نقطة قريبة من منطقة (القبة).

وفي ليلة 19 سبتمبر 1930 بدأت القوات غير النظامية تتحرك للاشتباك مع الدور ولكن في الواقع كان الاشتباك ضعيفاً، لأنه بعد الانتهاء من المعركة بقي الدور عاملاً كما هو كانه لم تحدث اشتباكات وعلى هذا الأساس اقتنعت قيادة الجبل بأن القوات غير النظامية كانت فاشلة أمام قوات الثوار بقيادة عمر المختار.

من أجل هذا أمرت قيادة الجبل تغيير القوات غير النظامية وضمها إلى قوات الرائد (رغاتي).

وفي يوم 20 سبتمبر 1930 هاجمت قوات الجبل الوسطى مقر قيادة الثوار بالجبل. وعلى أثر هذا الهجوم تحركت القوات من جهة اليسار لتضيق الثوار في وادي (السقية). وهكذا استمر القتال إلى ما بعد الظهر. حيث وصلت الفرقة الرابعة عشرة (الأريترية) بقيادة (الكونت) من جهة اليمين، وبهذا

أصبحت قوات الثوار شبه مطوقة . ورغم هذه الحركة التكتيكية العسكرية، استطاع الثوار أن يفلتوا من هذه الكماشة بعد أن تكبدوا خسائر فادحة في الأرواح . . وكان من بين القتلى الفضيل بو عمر مساعد عمر المختار ومستشاره . وهو الذي هجم برجاله على التطويق وفتح فيه الثغرة حيث خرج عمر المختار وأتباعه، وكانت خطة محكمة وضربة قاسية في كياننا⁽¹⁾ .

وغطيت هزيمتنا بقتل الفضيل بو عمر وكان الشعب الليبي أبدى تحمسه على هذه المعركة الكبيرة . ولكي نوقف هذا الحماس، قمنا بهجوم آخر في المنطقة الشرقية حتى في هذا الهجوم المكون من القوات الثلاثة بقيادة القواد الثلاثة (بياتي) و(ماروني) و(روللي) لم نتحصل على أية نتيجة . فكل أعمالنا الحربية في المنطقة الشرقية باءت بالفشل في كل المحاولات . . بعد قتال دام (15) خمسة عشر يوماً .

وهكذا بعد استراحة ليست بالطويلة دلت الأخبار أن بعضاً من تجمعات

(1) لم يبين الجنرال غراسياني كل الحقيقة في معركة وادي (السقية) فقد كانت هزيمة ساحقة لقواته بعد أن طوق الثوار قواته وكان وقوع عمر المختار محققاً . . ولكن فطنة عمر المختار ضيقت عليهم الفرصة . . حيث قام الشهيد الفضيل بو عمر بفتح ثغرة في صفوف الإيطاليين بهجوم خاطف وعلى أثره مر عمر المختار وأتباعه، وبقي الفضيل بو عمر في المؤخرة لمنع الجنود الإيطاليين من اللحاق بالثوار . وهذا هو الفداء الحقيقي! حيث خرج عمر المختار من الطوق الحديدي .

ولكي يغطي قائد القوات الإيطالية هزيمته بعد قتل جميع الفدائيين . . قامت قواته بحز رأس الشهيد الفضيل بو عمر، وأتى به إلى مدينة بنغازي ليرهبوا به الذين تحمسوا للمعركة . وبعد عرضه على المعتقلين السياسيين في بنية وغيرها . وما زال بعض المعتقلين في ذلك الوقت على قيد الحياة منهم: الأخ الأستاذ عبد الرحمن بو أنخيلة وغيره من الذين لا أذكر اسمهم، يبتون صحة هذا الكلام وهكذا بقي رأس الشهيد معلقاً ومعرضاً بمطار البركة لكي يشاهده الناس من سكان المدينة الذين أحضروهم قسراً لينظروا ويشاهدوا من كانوا متحمسين لهم . . هذه همجية الفاشيستية في القرن العشرين . . قرن الحضارة كما يقولون! تحية للبطل الشهيد الفضيل بو عمر وكأني بروحه الطاهرة تطل علينا من عليائها لتشهد أبناء وطنها ذاكرين تضحياتها في سبيل الله والوطن . «المترجم» .

الثوار بدأت تتحرك في منطقة وادي (الغريب) نظراً لتفرع هذا الوادي وتعاريفه وكثافة غاباته . . وكذلك قواتنا لم يحصل لها أن اقتربت منه . وفي هذه المنطقة يقوم أكبر (دور) . والذي يعتبر بمثابة القيادة العليا . لأنها محل إقامة (عمر المختار) وهو المكان الذي يطمئن إليه ويستريح فيه .

وفي يومي 5 و6 أكتوبر 1930م حاولت قواتنا أن تضغط على هذه المنطقة (وادي الغريب) بمساعدة القوات المدرعة بقيادة (لورنزيني وبياتي) ولكن الثوار بعد مقاومة شديدة، اختفوا في الغابات والأمكنة الوعرة التي لا تستطيع قواتنا اجتيازها للوصول إليهم . وهكذا بدأت المناوشات في تل الجبل والبطنان، أهمها موقعة (وادي السانية) وكذلك في قطاع (درنة وشحات) .

وفي يوم 15 أكتوبر 1930 هاجمت قواتنا معقل الثوار وكبدتهم خسائر فادحة . وفي يوم 21 أكتوبر 1930م اشتبكت فرقة القائد (رغاتي) مع الثوار في منطقة سيدي أحمدية، كما اشتبكت مع مجموعة أخرى من الثوار في منطقة (شحات) وهم من قبيلة العبيد . وفي يوم 2 نوفمبر 1930م جاء في نأ من سلك المخابرات العسكرية أن مجموعة من الثوار في منطقة (بواصفية) هاجمت قواتنا غير النظامية تحت قيادة الوجيه عاكف مسيك، وبعد معركة دامت بعض الوقت انسحبت قواتنا نحو شحات حيث قامت بالهجوم على الثوار واستحوذت على (300) ثلاثمائة جمل . وفي 21 ديسمبر بإشارة من طائرات الاستكشاف بأن دور (قديرشومر) موجود في تلك المنطقة وعلى أثر هذا الاستكشاف تحركت قواتنا للقضاء على هذا الدور من الأماكن التالية :

القائد (بياتي) بمجموعة من (مراوة) . القائد (ماروني) بمجموعة من (المرج) . القائد (رغاتي) بمجموعة من (شحات) .

وهكذا استمر القتال إلى 30 ديسمبر 1930م .

«المعارك الدامية في منطقة البطنان» (مرماريكا):

إن الخسائر الفادحة التي مُني بها الثوار في هذه المنطقة من جراء المطاردة المستمرة التي تقوم بها قواتنا المتحركة . . وفقدان بعض الزعماء البارزين الذين سقطوا في ميدان القتال من أمثال الفضيل بو عمر⁽¹⁾ القائد الحقيقي في تنظيم قوات الثوار (أي المجاهدين) وقد كانت هناك بعض الخلافات بين قبائل البراعصة - المدرسة - والحاسة - العبيدات .

وقد قام (عمر المختار) بمجهود كبير من أجل تسوية هذه الخلافات بين القبائل الأنفة الذكر.

ومن هنا صفت النية وقامت مجموعة تتكون مما يزيد عن مائة فارس من قبيلة البراعصة انتقلوا من أراضيهم إلى أراضي العبيدات من أجل المرافقة والمحافظة على قافلة التموين القادمة من (السلوم) تحمل المؤن والسلاح إلى مقر الثوار في الجبل الأخضر. وقد أعلمنا قلم المخابرات بأن هناك مجموعة من البراعصة تنوي الهجوم والاستيلاء على قطعان المواشي في منطقة (عين الغزالة).

إن حاكم المنطقة لكي يساعد مخيمات عين الغزالة التي وضعتها سلطات الحكومة الإيطالية في تلك المنطقة، ولكي يوجد لهذا الشعب الحائط بمركز عين الغزالة، جند من سكان المنطقة ما يقارب الخمسمائة شخص كل واحد معه جمل وحمولة من أجل الوصول إلى (عكرمة) حيث يقومون بمهمة حرث القمح والشعير لكي يتحصلوا على مؤونة مخيماتهم. ولكن في الحقيقة كانت خدعة من سكان المنطقة وباتفاق مع عمر المختار أن يجعل كميناً في نصف

(1) هذا اعتراف جميل من القائد الفاشيستي بأن هناك زعماء عظام سقطوا في ميدان القتال من أمثال (الفضيل بو عمر) والفضل ما شهدت به الأعداء. عدو يعترف بشجاعة زعمائنا. «المرجم».

الطريق أو في مكان متفق عليه عندما يصلون هناك بالجمال والبذور يخرج عليهم الثوار ويأخذون الجمال والبذور ويقتلون الجنود المرافقين لها بعد أن يستحوذوا على أسلحتهم وأمتعتهم . . ثم ينضم المجندون إلى الثوار وهكذا نجح هذا الكمين رغم حسن نية حاكم المنطقة وعطفه على سكان عين الغزالة، الأمر الذي كلفنا خسارة فادحة وأرغمنا على أن نستعمل الشدة والضغط على السكان، من أجل حماية كرامتنا وعزة جيشنا أمام هؤلاء الثوار.

وقد اكتشفنا تواطؤ السكان الخاضعين لسلطاتنا مع الثوار من هذه الرسالة التي وقعت في أيدينا بعد المعركة وهي موجهة إلى عمر المختار من (الحاج محمد بو الحمد).

الحمد لله وحده . .

إلى المحترم السيد النائب العام عمر المختار . .

بعد السلام والاحترام.

حامل هذه الرسالة يعلمكم شفوياً على الحالة الشديدة التي يعانيها سكان منطقة عين الغزالة. فقد قامت السلطات الإيطالية بنقل السكان إلى منطقة أخرى من المعتقلات.

وفي نفس الليلة هاجمتنا في الطريق مجموعة من المحافظة واستولوا على الجمال وما عليها . . ومن هذه الجمال جمال عبد القادر المنشرح . وعلى هذا يا سيدي أوصيكم بها لأن عبد القادر هو أحد المحبين لكم وهو دائماً خادم للثوار المجاهدين فأرضاءه يعتبر إرضاء لنا جميعاً.

سيدنا: إذا كان لديكم قوة كافية أرسلوها لطرفنا لأن المركز القريب من تجمعاتنا ضعيف يمكن الاستيلاء عليه بسهولة، لأنه يجب أن تعلموا أن قواتنا أحياناً تصطدم بجنودكم نظراً للتشابه الموجود بينهم. لهذا أحثكم على المبادرة حتى نستطيع التخلص منهم بسهولة دون أن يمسنا أي ضرر.

إن الله على كل شيء قدير . نقدم تحياتنا إلى جميع الثوار باسمنا كلنا .

الحاج محمد بو الحمد وكل إخوته .

ملحوظة : أزيد على ذلك أن سكان المنطقة كلهم يحسون بإحساسكم لأنهم منكم .

21 ربيع الأول 1349هـ (16 أغسطس 1930م)

وكانت هذه الرسالة قد تحصلنا عليها بعد معركة عين الغزالة ونقل سكانها إلى منطقة سرت بعد أن قطعوا في هذه الرحلة 1100 كيلومتر على مرأى ومسمع من قوات عمر المختار، الذي عجز عن منعنا من القيام بهذه المهمة العسيرة وفي نفس هذا المعتقل حضرت المحكمة الخاصة لمحاكمة المشايخ المسؤولين عن حركة الكمين الذي حدث في عين الغزالة . وهكذا أعدم من أعدم، وسجن الباقون بمدد متفاوتة . وهكذا فإن ناحية أخرى في تلك المنطقة أصبحت خالية من السكان، وهذا مورد آخر قطع على عمر المختار في الناحية الشرقية .

تنتهي سنة 1930م فوق الجبل والبطنان في صالحنا بينما في المنطقة الغربية تنهياً الفرق الصحراوية بالزحف لاحتلال (الكفرة) .

الفصل الخامس :

احتلال الكفرة

بعد العمليات الحربية بإقليم فزان وهزيمة الرؤساء عبد الجليل سيف النصر وأخيه أحمد في معركة واو الكبير . . هؤلاء الرؤساء انسحبوا مع الثائر (صالح الأطيوش) إلى تازربو حيث أسسوا فيها دوراً آخر مع بعض المئات من الثوار . . أما أحمد سيف النصر فقد تسرب إليه اليأس وترك الكفاح ، وانسحب إلى مصر وهناك بدأ يعيش .

ومنذ ذلك الحين أصبحت (تازربو) مركزاً هاماً لتوزيع الثوار إلى النضال . وفي يوم 11 يونيو 1930م في منطقة (اسنيح حمود) استولى الثوار على (200) مائتي رأس من الإبل ، وكانت القوات المغيرة من المغاربة وأزوية بقيادة ابن صالح الأطيوش . ولكن المقدم (ماليتي) بدأ في مطاردة المغيرين رغم الزوابع الرملية فتحصل على بعض الجمال في منطقة أوجله - مراده .

وفي يوليو 1930م حدثت غارة أخرى استحوذت على 26 جملاً في منطقة (الطوال) منتصف الطريق بين الحسيات والصحابي . هذه كلها من أعمال دور (تازربو) وعندما علم العقيد (الكولونيل ماليتي) بحركة هذا الدور (يعني معسكر الثوار) تحرك بمجموعة تتكون من المدرعات والمدافع الرشاشة والتحم مع الثوار يوم 5 يوليو 1930م في مكان (أوديد الهود) بين (مراده) و(جالو) وبعد معركة حامية استطاعت قواتنا أن تخلص 11 شخصاً من الخاضعين لحكمنا ، كانوا مكتفين ومحمولين على الجمال مع القافلة .

أما مجموعة الثوار ومعظمهم من الشبان فكان عددهم 23 مقاتلاً بقيادة عبد ربه القويدر من المغاربة رعيضات .

هؤلاء الثوار اعترضوا طريقنا وأوقفوا الحملة مدة من الزمن حتى أتاحت الفرصة إلى قوات تازريو للاستعداد قبل أن تؤخذ على غرة .

وبعد قتال شديد قضي فيه على كل الشبان إلا ثلاثة نجوا من هذه المعركة . وقد وقع في أيدي جنودنا مجموعة المهاري الصحراوية عند (عين سيدي محمد) وأخذوا إلى مقر قائد الحملة (العقيد مألتي) .

الغارات الجوية وإلقاء القنابل على تازريو 31 يوليو 1930:

تلقت قيادة الطيران أخباراً بأن (تازريو) أصبحت قاعدة حربية للثوار، تنطلق منها القوات المغيرة . وعليه تأمر القيادة العليا إرسال طائرات لاستكشاف تلك الواحات . وإذا لزم الأمر قصفها بالقنابل .

إن عملية الاستكشاف لم تنجح في يوم 30 يوليو 1930م نظراً لحدوث بعض الخلل بالطائرات . ولكن في اليوم الثاني قامت أربع طائرات من طراز (رو) من مطار جالو بقيادة مساعد العقيد (لوردي) وأقلعت الطائرات من جالو عند الساعة الرابعة والنصف ، ورجعت إلى قواعدها عند الساعة العاشرة بعد أن اكتشفت تجمعات الثوار وألقت ما يزيد عن الطن من القنابل شديدة الانفجار .

بعد هذه الغارات المتكررة على (تازريو) اضطر الثوار وعلى رأسهم صالح الأطيوش يصحبه عبد الجليل سيف النصر إلى الانسحاب نحو الكفرة . وبما أن سكان الكفرة يعتبرون أن الثوار يجلبون لهم الحرب ولذلك فهم ضيوف غير مرغوب فيهم . وبهذا الشعور السيء اضطر صالح الأطيوش أن يبحث عن منطقة أخرى . . فبدأ ينتقل من تازريو إلى (بزيمة) أولاً، ثم إلى (ربيانه) وأخيراً إلى (الهواري) بشمال وادي (الجوف) .

أما عبد الجليل سيف النصر فقد استقر في منطقة (التاج) وقد تبرع بمبلغ

(2000) ألفي (مجيدي) لتمويل المحاربين وتسليحهم . بعد هذه الغارات قرر الفريق (بادوليو) بعد أن انتهى من احتلال فزان، احتلال واحات الكفرة، بالاشتراك مع القوات الطرابلسية والبرقاوية حيث تتحرك قوات طرابلس من القواعد الأمامية (واو الكبير) و(زله)، بينما القوات البرقاوية تتحرك من (جالو) و(بير الزغين) مكان معروف بقصة البعثة المسماة باسم (بريتزي) قائد البعثة .

استكشاف مياه بير الزغين وقصف الكفرة بالقنابل 25 - 26 أغسطس 1930:

لقد تقرر دون أي تردد اتخاذ الإجراءات اللازمة بواسطة الناقلات الآلية . . تمويل وتزويد الحملة بكل ما يلزمها من تموين ومعدات وأسلحة، إلى ذلك الوادي الذي يبعد (200) كيلومتر عن واحة (الكفرة) و400 كيلومتر عن واحة (جالو) .

إن الأخبار التي قدمها لنا النقيب كابتن (بريتزي) نقلاً من بعض الخبراء المحليين (الليبيين) أنه يمكن للحملة أن تجتاز المفازة الصحراوية بواسطة وسائل نقل خفيفة، ولكن هذه الأخبار ليست موضوع ثقة . . فلا بد من التأكد بحيث لا نضيع في مجاهل الصحراء كذلك أسندت إلى (الرائد الماجور لورينزيني) مهمة استكشاف الطرق .

وتتكون قواته من (32) ناقلة آلية من بينها المدرعات و(120) ضابطاً وصف ضابط وجنود كلهم إيطاليون منهم من الجيش ومن المتطوعين من الحزب الفاشيستي من ذوي القمصان السود .

هذه الحملة ابتدأت من مدينة بنغازي يوم 16 أغسطس سنة 1930م . وفي يوم 21 منه تجمعت هذه الحملة في واحة جالو، علاوة على ذلك للاحتياط هناك مجموعة مكونة من 24 مركبة آلية من أجل التموين، ومد الإسعافات اللازمة لقوة الاستكشاف .

وهناك وحدة جوية بقيادة (مساعد العقيد لتيننت كولونيل - لوردي) الذي

هيا مطاراً خاصاً بواحة (جالو) لكي تتزود منه الطائرات المغيرة بالقنابل والوقود⁽¹⁾.

في يوم 23 أغسطس 1930م عند الساعة الرابعة والنصف صباحاً تحركت القوات المدرعة. . وبدأت مسيرتها نحو الجنوب في طريق القوافل (بالطفال). . و(بئر الزينغن) وبعد مسيرة (200) كيلومتر من (جالو) هيا (الرائد لورينزيني) مطاراً صغيراً يحتوي على مكان لاثنتي عشرة سيارة محملة بالقنابل والوقود لأجل تزويد الطائرات المغيرة. .

يوم 25 أغسطس 1930م:

وصلت قوات الاستكشاف بقيادة الرائد (لورينزيني) إلى المناطق الرملية الصحراوية عند (بئر الزينغن) رغم صعوبة السير فيها حيث كل السيارات تأثرت بغبار هذه الرمال. . وبعد البحث استطاع (الرائد لورينزيني) أن يعثر على منابع الماء على بعد ستة كيلومترات من مكان وقوف الحملة في منطقة (بو حوش) وكذلك في منطقة (بو عطلة) على بعد تسعة كيلومترات. . في هذه المناطق الرملية كانت المياه غزيرة وصالحة للشرب تتخللها بعض الأملاح لا هي عذبة ولا هي مالحة. . وبمجرد أن تحفر إلى عمق متر واحد تجد هذه المياه بغزارة وفي نفس اليوم.

25 أغسطس 1930م:

جهزت القوات الزاحفة مطاراً لهبوط الطائرات المغيرة. . وأثناء تحركات القوات من (جالو) إلى بئر (الزينغن) كانت الطائرات تتحرك معها يوماً بيوم

(1) كل هذه الاستعدادات من طائرات ودبابات وجيوش مزودة بكل الوسائل الحربية من أجل من؟ من أجل واحة الكفرة الفقيرة التي ليس بها إلا عدد قليل من السكان وكذلك من المحاربين ثوار واحة (تازريو) وهذا دليل قاطع على أن الجنرال غراسياني متخوف من الفشل في هذه الحملة. «المترجم».

لاستكشاف الأراضي وتجمعات الثوار وتهبط دائماً بقرب السيارات والمدرعات . . وجنود الحملة لأن طبيعة الأرض (السريـر) تتطلب هذا التقارب بين القوات خصوصاً في مناطق الصحراء خوفاً من الضياع في المتاهات الصحراوية وبالأخص عندما تقوم العواصف الرملية ، لأن الأرض في هذه المنطقة مسطحة بها مطبات مغطاة بالرمال تضطر السيارات لأن تسير ببطء وتحسس طريقها بكل حذر . .

يوم 26 أغسطس 1930م:

قام سرب من أرض المطار بطائرات من طراز (رو)، بعد أن أمضى ليلة 25 من الشهر نفسه في القاعدة المؤقتة التي تبعد عن جالو بمائتي كيلومتر . . وبعد أن تزودت هذه الطائرات بالوقود والقنابل توجهت رأساً إلى الكفرة للإغارة عليها . . وفي الساعة السادسة والنصف صباحاً مرت على القوات المتجمعة في (بئر الزينغ) وقد وصلت الطائرات الكفرة عند الساعة الثامنة صباحاً فأغارت طائرتان على منطقة (الجوف) والثانيتان الأخريان . . أغارتا على منطقة التاج وألقى كل سرب قنابله على تلك المناطق فأحدثت أضراراً جسيمة في الممتلكات والأرواح . وبعد هذه الغارات المتكررة شعر السكان والثوار بأن الدمار سيكون عاماً في كل الواحة وإن الجيش الإيطالي الفاشيستي سيطوق كل المنطقة ويصبح السكان والثوار في خبر كان . . وعندما شعر الشيخ صالح الأطيوش بخطورة الموقف اجتمع هو وعبد الجليل سيف النصر وهياؤا جنودهم لمواجهة المهاجمين وقد أرسلوا طلائع الثوار لتحديد مكان العدو المهاجم . . أما السنوسيون فقد بدأوا بالانسحاب من الواحات متجهين نحو مصر . . وهكذا رجعت طائرتا اثنتان منها نزلتا بالمطار الأمامي بقرب قوات الرائد (لورينزي) . . والأخريان نزلتا بالمطار المؤقت بواحة (جالو) بعد أن أفرغت حمولتها من القنابل على واحة الكفرة وسكانها . . ثم رجعت كلها بعد جولة ثانية عند المساء وقطعت مسافة تزيد على

(1200) كيلومتر إلى واحة جالو. . إن الحملة الاستكشافية بعد أن نفذت الخطة المرسومة من القيادة العليا في يوم 27 أغسطس 1930م عند الساعة الرابعة والنصف صباحاً بدأت في طريق الرجوع حيث وصلت إلى جالو نقطة الانطلاق في مساء يوم 28 أغسطس سنة 1930م بعد أن قطعت هذه القوات الاستكشافية (800) كيلومتر ذهاباً ومثلها إياباً وفي هذه الفترة قدمت هذه القوات تقاريرها من حيث طبيعة الأرض وما بها من صعوبات وكذلك ما بها من كميات من المياه كذلك تقرير عن المناخ والحالة الصحية في كل هذه المناطق الشاسعة، وقد ركزت كل التقارير عن وجود المياه وكيفية الحصول عليها، وبعد أخذ الصور الفوتوغرافية والخرائط البحرية ومن هذه الرحلة الاستكشافية كانت النتائج هي كالآتي:

أ - بكل تأكيد يمكن الوصول إلى منطقة (بئر الزينغ) في ثلاثة أيام بموكب يزيد عن مائة سيارة وبحمولة كل واحدة منها من ثمانية إلى عشرة قناطير.

ب - وجود كمية كبيرة من المياه فهي قادرة على أن تكفي أي قوة عسكرية مهما عظم عددها. أو مهما كان عددها كبيراً.

القضاء على تجمعات أخرى للثوار التي تحاول الغارات على مراكزنا:

إن نشاطات الثوار لم تتوقف لأنها بعد الغارات الجوية على (تازربو) والكفرة والاستكشافات التي قامت بها القوات المدرعة إلى منطقة (بئر الزينغ) أصبح لدى سكان المنطقة أن الاحتلال واقع لا محالة وفي وقت قريب جداً. وعلى أثر هذا الاحتمال بل هذه الحقيقة سرت إشاعة أن هناك تحريضاً على المقاومة ومجابهة قواتنا عندما نزحف للاحتلال. وفي الواقع أن الزعماء الذين قالوا دائماً أنهم سيواجهوننا في المعارك بدأوا يفكرون في تجهيز أنفسهم للهجرة إلى (بوركو) بالسودان أو مصر وهكذا بدأوا يغيرون على المناطق القريبة للحصول على الإبل بحيث يمكنهم نقل خيامهم وأسرههم. . وأمتعتهم

إلى ما وراء الحدود . وفعلاً وقعت غارات على (بئر عاكاريه) جنوب العقيلة واستولى الثوار على خمسين جماً ولكن مساعد العقيد (ماليتي) بدأ بمطاردة الثوار ولكن كانت الأرض وعرة ولم تستطع قواتنا إرجاع الإبل المسلوبة واستمرت المطاردة لمدة أربعة أيام وقد وقفت قواتنا أمام عائق طبيعي بين (عين سيدي محمد) ومراده، ولكن (مساعد العقيد ماليتي) لم يفت في عضده هذا العائق بل واصل المطاردة وتحول إلى ناحية (عين زغوت).

وفي يوم 21 أكتوبر 1930 على بعد خمسة وأربعين كيلومتراً جنوب منطقة (الغرد) قرب (جبنا) وجدت بعض الجمال بحراسة خمسة من الثوار المسلحين وبعد قتال استمر بعض الوقت قتل أربعة من الثوار وبقي واحد جريح وعلى قيد الحياة فأخبر المطاردين بأن الجمال ساقها الثوار يوم 20 أكتوبر متجهين بها إلى (تازربو) وبدون تردد اتجه (مساعد العقيد ماليتي) من ناحية الشمال نحو (تازربو) ولكن بعد مسيرة قليلة التقى بقوات من الثوار متجهة نحونا ومن هذا تبين لنا أن تنظيماً جديداً من الثوار يوجد في منطقة (تازربو) بقيادة شخص يدعى (حمد بو الشاة) وكانت وجهة قواته نحو (النوفلية) أو (العقيلة) الأمر الذي جعل (مساعد العقيد ماليتي) أن يكر راجعاً بسرعة إلى (أجدابيا) لكي يهيء قواته لمقابلة التنظيم الجديد في صفوف الثوار وقد أصدرت القيادة العليا بمجرد العلم بزحف قوات الثوار الجديدة أمراً بتحرك القوات الصحراوية لتواجه هذه الحملة الزاحفة وكذلك السلاح الجوي لإرسال بعض الطائرات نحو واحة (جالو) لمراقبة الحملة الزاحفة وضربها أينما وجدت وما أن وصل (مساعد العقيد ماليتي) إلى (أجدابيا) حتى جهز قواته السريعة واتجه فوراً إلى واحة (جالو) بحيث تتمكن هذه القوات من التدخل في المعركة إذا لزم الأمر لكي تطرد المهاجمين نحو منطقة (السرير) يعني الصحراء الكبرى.

ولكن العدو (يعني الثوار) لم يبتعد من منطقة (الغرد) لأن قواتنا الصحراوية ضغطت عليه حتى انقسم إلى شعبتين واحدة اتجهت نحو الغرب

طريق طرابلس . والأخرى تسعى لشق طريقها نحو (تازربو) ولكن بعد مطاردة مستمرة تبين لقواتنا استحالة الوصول إلى الثوار فصدرت الأوامر إلى القوات الصحراوية وقوات (مساعد العقيد ماليتي) بالرجوع إلى قواعدهما⁽¹⁾.

رغم ما بذلته قواتنا من جهد في اللحاق بالثوار . فإن قسيمي الحملة التي ذكرتها واحدة التي ذهبت نحو طرابلس تتكون من المغاربة وأولاد سليمان بقيادة ابن صالح الأطيوش لأنه يحاول أن يضرب ضربته من ناحية الطريق الخلفية من سرت ولكن الفرقة الرابعة الصحراوية بقيادة الملازم أول (لتيننت) (أجيويه) لحقت بقوات الثوار بعد مسيرة سريعة تقدر بمائة (100) كيلومتر والتحمت بالثوار وقضت عليهم ووقع في الأسر⁽²⁾ ابن الزعيم صالح الأطيوش فجيء به إلى سرت حيث حكم عليه بالإعدام ونفذ فيه فوراً.

كانت هذه المناوشات التي كللت كلها بالنجاح تمهيداً للمبادرة بإرسال قوة الاحتلال إلى واحة الكفرة . وهذه الأعمال العسكرية ضيقت أمل سيف النصر وصالح الأطيوش اللذين كانا دائماً مصدر قلق لقواتنا ومناوشتها وبالأخص في منطقة (سرت) وكانا دائماً يحاولان بطرقهما الخاصة وضعنا داخل جوالهم للقضاء على قواتنا.

الاستعدادات والتنظيمات الخاصة بالقوات الصحراوية:

في شهر مارس 1930م لم تكن هناك تنظيمات في برقة للقوات الصحراوية، كانت هناك سريتان من الهجانة تعملان في منطقة (أجدابيا) فهاتان السريتان ليستا كافيتين لحماية المنطقة لذلك يجب تنظيم هذه القوات وتسليحها تسليحاً كاملاً لكي تقوم بأعمالها كما يجب وتصبح قوة صحراوية حقيقية سيارة لا كما هي

(1) كل هذه التحركات من أجل مجموعة من الثوار أرادت أن تثبت لقوات الجنرال غراسياني أن الثوار موجودون في كل مكان وجعل قواته تعجز عن اللحاق بهم مهما كانت قواته الآلية عظيمة. «المترجم».

(2) اسم هذا الشهيد لم يذكره الجنرال في الكتاب.

الآن مؤلفة من جنود مشاة راكبين . . إن إمكانيات هاتين السريتين كانت محدودة فمثلاً لديهما مؤونة ستة أيام ومياه يومين فقط ولو قارنا حالة هاتين السريتين بسريات طرابلس الصحراوية التي دائماً متوفر لديها مؤونة شهر كامل وثمانية أيام مياه وثلاثة أيام شعير للدواب وعلى هذا المنوال فقد تقرر أن الهدف الذي يجب أن تصل إليه قواتنا في الصحراء هو احتلال (الكفرة) ومن أجل هذا وجب تغيير السريات الهجانية إلى مجموعات صحراوية مزودة بكل الوسائل .

وقد تقرر أن تبدأ هذه العمليات بتاريخ أول يونيو 1930م دون الرضوخ إلى الروتين العملي والمادي الذي طالما عطل أعمالنا العسكرية والمدنية . ومن هنا بدأت العناية الخاصة بانتقاء العناصر المنتجة والمشهورة بالصبر والتحمل وبالشجاعة والإقدام .

وعلاوة على هذا تكون لهم المعرفة الكاملة بالمواقع والمسالك في الجبل والغابات وكذلك في المواقع الصحراوية . إن إدماج هذه السريات وجعلها مجموعة واحدة يضاف إليها قسم المدفعية للهجانة ، حتى يمكنها التنقل بسهولة في الأرض الوعرة وفي الرمال الصحراوية كل هذه القوات تحت قيادة (الرائد ماييجور) (بوسيللي) . . هذا الضابط له خبرة كافية في التحركات الصحراوية فكان قائداً للفرقة الأولى منذ خمس سنوات في طرابلس . فقد ساهم بفرقة في العمليات الحربية الخاصة باحتلال فزان هذه الفرقة التي قطعت (850) كيلومتراً في صحراء الحمادة الحمراء وبعدها مرتفعات (القدين) متصلاً بالضابط (كورنيليو بالبو) وفرقة بعد أن زحفوا على (أوباري) و(وادي الآجال) كذلك من منطقة (مرزق) .

إن توحيد هذه القوات كان بمجهود عظيم من القيادة ولكن هناك تدريبها الذي يتطلب مجهوداً أكبر وهكذا بعد مضي عدة أشهر أصبحت هذه القوات قادرة على خوض المعارك في وسط الصحراء المحرقة بقيادة هذا الرائد (بوسيللي) الذي يعرف كيف يتغلب على الصحراء ومتاعبها .

وهكذا تهيأت هذه القوات وبدأت في زحفها من (أجدابيا) و(زلطن) من أجل تشتيت قوات الثوار المهاجمة والقادمة من (تازربو) التي أعلمتنا عنها المجموعة الأمامية التي التحمت مع قوات الثوار وكانت هي التجربة الأولى وكذلك النتيجة كانت مرضية.

دراسات تحضيرية لمشروع الاحتلال النهائي للكفرة:

وبالتوازي مع تنظيمات المجموعات الصحراوية فقد اتخذت الدراسات للخطوط العريضة لمشروع اجتلال واحات الكفرة بناء على تعليمات (الفريق) (مارشال بادوليو) . . وقد بنى هذا المشروع على هذه الفكرة (إن الفرقة العاملة مجتمعة بكل وسائلها الآلية سوف تتحرك في يوم X (يعني يوم مجهول) إلى (بير الزيغن) و(الجوف) وعندما تصل إلى (بير الزيغن) سوف تنقسم كل وحدة على حدة . . فوحدة المدرعات سوف تبقى في المنطقة لتجهيز المطار المؤقت وحمايته . بينما الوحدات الصحراوية بدلاً من أن تتوقف تواصل زحفها على الفور، متجهة بسرعة نحو (الجوف) تحت حماية الطائرات التي تتابع الزحف .

هذه القوات الصحراوية تتكون من :

- 1 - مجموعتان من جنود الصحراء.
- 2 - قسم المدفعية بالهجانة (يعني فوق الجمال).
- 3 - فرقة المدرعات الآلية .
- 4 - أقسام أخرى متنوعة .

المناطق والأبعاد:

- أجدابيا - جالو 240 كيلومتراً .
- جالو - بير الزيغن 400 كيلومتر .
- بير الزيغن - الجوف 180 كيلومتراً .
- مجموع المسافات 820 كيلومتراً .

نوعية السير على الطريق:

أجدايا - جالو - طريق ممهد يمكن السير عليه بالسيارات .
جالو - بير الزينغن - طريق ممهد يمكن السير عليه بالسيارات .
بير الزينغن - الجوف - طريق غير ممهد صحراوي لا يمكن السير عليه بالسيارات .

أما من ناحية وجود المياه من أجدايا إلى جالو متوفرة، ومن جالو إلى بير الزينغن (400) كيلومتر، من الصعب جداً وجود الماء . وقد سبق في استطلاعات العقيد (لورنزيني) إن المياه في بير الزينغن متوفرة وكافية لتزويد قواتنا بالمياه اللازمة، دون اللجوء إلى جلبها من مكان آخر، حتى الجمال أو الإبل بعد أن تشرب من بير الزينغن . . يمكنها أن تجتاز صحراء السريبر دون أن نحتاج إلى الشرب مرة أخرى .

وعلى ضوء هذه الاعتبارات، بدأت الاستعدادات اللازمة للشروع في الغزو . وقد دعت من قبل الفريق (بادوليو) لتحديد المصاريف اللازمة لهذه الحملة، وبعد مناقشة طويلة ودراسة كل الاحتمالات حسب المخطط الذي وضعه (الفريق) (المارشال بادوليو) فإن القوات تتوزع كلها من نقطة انطلاقها بسير متباعد يميناً وشمالاً وهي كما يلي:

من وادي «واو الكبير» تازربو «بزيمة» «ربانة» هي أعمال القوات الآتية من طرابلس . . ومن «جالو» «الزينغن» «الجوف» هي أعمال القوات البرقاوية . وحسب المخطط الموضوع من استكشاف «العقيد لورنزيني» وكان ذلك في شهر أغسطس 1930م . وبعد الدراسات العسكرية والسياسية والاقتصادية تقرر تخصيص مبلغ أربعة ملايين من الفرنكات⁽¹⁾ .

(1) كل هذه المبالغ العظيمة التي رصدتها القيادة العليا الفاشيستية - الإيطالية من أجل احتلال واحة (الكفرة) وقد أثرت على الاقتصاد الكلي في كل المواد والمؤن وهذه نقطة أخرى تدل على عظمة الشعب وكفاحه المجيد رحم الله الشهداء . «المترجم» .

إعادة تنظيم قاعدة جالو:

ولما كانت جالو هي القاعدة التي تنطلق منها القوات البرقاوية للزحف على واحة «الكفرة» فلا بد من ترتيب كل المواد والمعدات والمؤن في المنطقة بحيث تصبح مخزن تموين للقوات الزاحفة من قاعدة جالو.

1 - وقود وزيوت وقطع غيار للآلات .

أ - قسم السيارات «6000» قنطار .

ب - قسم الطيران «500» قنطار .

ج - فرقة المدرعات «305» قنطار .

المجموع 6805 قناطير .

2 - المؤن ومددها .

أ - مؤونة مدة شهر لحملها صحبة القوات الصحراوية 1962 قنطاراً .

ب - مؤونة عادية لمدة شهرين تحشد في منطقة «بئر الزينغن» «4290» قنطاراً .

ج - مؤونة يومين زحف من أجل استرداد الحيازة لبئر الزينغن ، حتى تصبح الحركة فيه ذاتية لتجمعات الوحدات الصحراوية 677 قنطاراً .

3 - مواد للأشغال العسكرية 230 قنطاراً .

4 - المدفعية 200 قنطار فالمجموع الكلي للمؤن والمواد هو : 14164 قنطاراً .

ومن أجل تعزيز القوات الزاحفة وتجهيز الاحتياط اللازم ، وحشده كذلك في منطقة بئر الزينغن تحت تصرف القوات الصحراوية ، وهي مؤونة شهرين عادية 4290 قنطاراً . مؤونة أحد عشر يوماً للقوات الصحراوية 677 قنطاراً وقود وزيوت وقنابل للطيران 500 قنطار وقود وزيوت لفرقة الدروع 280 قنطاراً . مواد مختلفة للبناء تابع للأشغال العسكرية 230 قنطاراً .

ذخيرة للمدفعية 200 قنطار فالمجموع الكلي 6177 قنطاراً.
إن هذه الخطة وهي تجمع قوات طرابلس تجعل النتائج ناجحة وتسهل لنا احتلال الكفرة.

التجهيزات العاجلة:

في أوائل شهر نوفمبر 1930م لم تنجح استكشافات قوات طرابلس وكانت النتائج بعد اصطدامات مسلحة مع الثوار سلبية. وفي أول نوفمبر 1930م أعلن الحاكم العام الفريق «بادوليو» إن العمليات الحربية سوف تبدؤها قواتنا بالزحف على خط «أجدابيا» «جالو» «الزيغن» «الكفرة».

وفي يوم 7 نوفمبر 1930م دعاني الحاكم العام إلى طرابلس، ودرسنا خطة الزحف والهجوم، ووضح لي كل التعليمات التي يجب علي تنفيذها وأمرني بانتظار ساعة الصفر في اليوم الذي سيحدده فيما بعد وفي حينه.

وفي يوم 11 نوفمبر 1930م رجعت إلى بنغازي بطريق الجو، وأصدرت الأوامر لكي تنهيا كل القوات العسكرية لانتظار الأوامر بالزحف والإسراع في تنمة كل اللوازم، حتى نكون حاضرين قبل يوم 10 ديسمبر 1930م حتى لا نتعرض إلى التغيرات الجوية.

هذه الأحوال تجبرنا إذا تأخرنا بأن نغير خططنا الأمر الذي يوقف الأعمال العسكرية حتى سنة 1932م. ولكن فكرة احتلال الكفرة لا تتغير مهما حصل، والحملة سوف تتحرك من «أجدابيا» بقوة متكاملة للوصول إلى الهدف الأخير «الكفرة». وحيث أن هذه الواحة تبعد من شط البحر شمالاً إلى داخل الصحراء جنوباً 850 كيلومتراً، وإن استعدادات الحملة كاملة ذات قوة كبيرة لا تتأثر بهذه الصحراء وعواقبها. سوف تتغلب عليها. لأنه لم يسبق في كل الحملات أجهزة مثل هذه. ولذلك فالنجاح محقق وبعبارة أخرى كل التجهيزات الفورية للتحرك مهما كانت الأحوال وفي وقت قصير ممكنة، فالقوات حاضرة للزحف في الوقت المناسب.

ولما كان القائد رونكتي ذا كفاءة وقدرة فائقة، أسندت إليه قيادة الحملة.

وفي يوم 16 نوفمبر 1930م انتقل «الجنرال» «القائد رونكتي» بهيئته الحربية إلى «أجدابيا» حيث أسس فيها القيادة العليا للقوات المسلحة المتحركة، ليكون عن قرب من التحركات الحربية. ولكي يقضي على الوقت ويكسب المسافات وضع عدد (50) ناقلة من نوع (أسبا 31) تحت تصرف الحملة للنقل السريع من (أجدابيا) إلى قلب الصحراء.

ولكن في يوم 25 نوفمبر 1930م أجريت تجربة للتحرك باءت بالفشل، وكانت النتيجة سلبية. وعلى أثر هذا الفشل، قامت قيادة القوات المتحركة بحشد أكبر عدد ممكن من الجمال لكي تقوم بحمل المؤن والمواد. وفعلاً نجحت التجربة بحيث أصبحت السيارات خاصة بحمل الوقود والزيوت للطائرات.

هذا وقد أصبح الوقت ضيقاً لا يزيد عن شهر واحد لابتداء الزحف نحو الكفرة، فبدأت القيادة للقوات المتحركة حشد القوات في قاعدة (أجدابيا) من بنغازي مارة من الطريق الزراعي (أجدابيا - أوجلة - جالو) رغم وجود مفازات صعبة وبالأخص في منطقة سيدي الصحابي.

ولكي تكون الخدمات العسكرية منتظمة لتموين القوات الزاحفة، لا بد من استعمال (300) ناقلة آلية وقافلة من (3500) جمل لحمل المؤن والمعدات والأسلحة عند اجتياز السير أي الصحراء الكبرى.

كل هذه الأعمال الاحتياطية من أجل تسهيل الزحف الأكبر في وسط الصحراء الذي تبلغ مسافته (900) كيلومتر تقريباً، وهي أصعب مرحلة سوف تجتازها قواتنا بكل نجاح. وبما أن التجربة السابقة التي فشلت في اجتياز المنطقة الصحراوية وكما نعلم كان عدد سيارات (أسبا) 50.. أما الآن فقد زدنا عدد السيارات إلى «300» من نوع «أسبا» و«تير 15» وهذا العدد يحتاج إلى

وقود وزيوت وقطع غيار بكميات كبيرة. لهذا كان من الضروري تكوين قافلة كبيرة من «الإبل» أو «الجمال» لكي تحمل مؤنثها وكافة المواد والأدوات.

لقد نجحت هذه الخطة أثناء تجربة الوحدة الاستكشافية بقيادة (الرائد لورينزيني)، كذلك تزويد قسم الورش (بأجدابيا) بعناصر فنية، وتكوين محطة لتوليد الكهرباء متحركة، بحيث يمكنها القيام بكل الإصلاحات الخاصة بالناقلات الآلية وغيرها. وقد قامت محطة توليد الكهرباء في بنغازي بكافة اللوازم للمحطة المتنقلة. عملت فيها لمدة أسبوع ليلاً ونهاراً⁽¹⁾.

وعلاوة على كل هذه الأعمال، فقد جهزت مخازن لاستيعاب المؤن والمعدات. وهكذا استعدت الورش لإصلاح كل الناقلات الآلية والأسلحة في (أجدابيا). ولكي نعطي فكرة عن كل هذه النشاطات التي تمت في خمسة عشر يوماً تحت إدارة (الرائد ماجوري نيكولاردي) قائد الناقلات الآلية. . . ويجدر بي أن أشير هنا إلى أن كل محركات الناقلات الآلية غيرت وفي مدة قصيرة. كانت (300) ناقلة آلية جاهزة بكل اللوازم لاجتياز الصحراء الكبرى بكل ثقة واطمئنان، ووزعت هذه الناقلات الآلية على دفعات إلى أماكنها المعينة من يوم 22 ديسمبر 1930 إلى يوم 24 ديسمبر 1930.

إن قيادة كل هذه القوات وهذه التنظيمات تكون تحت قيادة الرائد لورينزيني. لأنه سبق وأن كان قائداً لقوة الاستكشاف من (أجدابيا) إلى بير الزينغن. أما (الرائد نيكولاردي) فإنه يبقى في أول الوقت بالقاعدة في (أجدابيا). . . وبعد توزيع مجموعات سيارات (أسبا) يواصل بآخر مجموعة إلى (جالو) ثم (بير الزينغن) وبعدها مباشرة إلى الكفرة.

أما بالنسبة (للإبل) فقد اهتمت الحملة بتحميل (3500) جمل ومعها ألف

(1) كل هذه الأعمال العسكرية وهذه التجهيزات الفنية من أجل احتلال واحة الكفرة هذه القرية الموجودة في قلب الصحراء الكبرى أهلها لا يملكون من السلاح إلا البندقية ومعظمها من بنادق الصيد. . . هذا اعتراف من الجنرال بقوة المكافحين الليبيين.

وخمسمائة (جمال). يعني سائق جمال - أكثرهم من المغاربة . . كل هذه الأعمال تعتمد اعتماداً كلياً على حنكة وفطنة القائد. أما أعمال (الرائد روللي) التي هي أصعب مهمة في هذه الحملة فقد نجح فيها نجاحاً باهراً يستحق عليها كل شكر وتقدير. وهكذا بين 25 نوفمبر و5 ديسمبر، وصلنا إلى نهاية كل الاستعدادات بخصوص (الإبل) في كل من المنطقتين (أجدابيا) و(العقيلة). ومن يوم 10 ديسمبر 1930 إلى يوم 12 ديسمبر، تم تعيين (الجمالين) لكل جملين رجل واحد. وتم حشد هذه القافلة في أجدابيا. وفي يوم 18 ديسمبر 1930 كانت القافلة جاهزة للتحرك نحو الصحراء. وهنا يجب أن نوضح أن القافلة المعنية ليست بقافلة بسيطة، وإنما هي قوة هائلة بما في هذه الكلمة من معنى. تحمل المؤن والمعدات. وقد وجدنا صعوبة من جهة الحطب فهو غير موجود. . . فجعلنا لكل فرد موقداً صغيراً يشتعل بغاز الاستتصباح عوضاً عن الحطب المفقود في تلك المنطقة وهكذا تغلبنا على هذه العقبة بشكل اقتصادي عجيب. وعلاوة على هذا كانت هناك مشكلة المياه، فقد قمنا باحتياط لكل مجموعة (36000) ستة وثلاثين ألف لتر من الماء.

وفي يوم 13 ديسمبر 1930 ذهب رئيس الأركان إلى طرابلس لعرض موضوع الحملة وتحركاتها على الحاكم العام (المارشال بادوليو) وهي مفصلة على المراحل التالية:

زحف القوات نحو الجنوب ليتم الاستيلاء على (بئر الزيفن) وتأسيس القاعدة المتحركة في (بئر الزيفن). استئناف زحف القوات الفعالة للتمهيد ومسح المنطقة، لتسهيل احتلال الكفرة. بحيث تلتقي القوة الزاحفة من برقة بالقوات الزاحفة من طرابلس.

تكوين الشرطة لحفظ الأمن بالكفرة، وهذه تكون مع قافلة (الجمال). . . بعد الاحتلال تكوين حامية مسلحة لحماية الواحات. وبعد الاطلاع على هذا المشروع أصدر البيان بالتعليمات النهائية الآتية:

القوات الأصلية المقدمة من برقة والتي تعمل ضمن خط (أجدابيا - جالو - بئر الزينغن - الكفرة) قوة ثنائية مقدمة من طرابلس تعمل ضمن خط (واو الكبير - تازربو - الكفرة). القوات الجوية تصاحب القوات الزاحفة من طرابلس بخط يمر من (زلة - بو حشيشة - تازربو) لتمهيد الطريق أمام القوات الزاحفة من طرابلس للدخول إلى تازربو. وحتى تصبح قيادتي عندما تلتقي مع قوات برقة عند منطقة (بئر الزينغن)!

تكوين الحملة أو القوات الزاحفة وتفصيل كل وحدة بقائدها:

إن القوات المخصصة للحملة مفصلة كما يلي:

رئاسة الحملة:

تحت قيادة (الجنرال رونكتي كومندتور ريكاردو).
وبعده بالدرجة الثانية قائد الحملة.
صاحب السمو الملكي (الدوق ديللي بولي).
الضابط الملحق المساعد النقيب أركان حرب مينزيو كفالير (فارس)
كليمنت.

القوات الجوية بقيادة:

العقيد المساعد (أ. لوردي الفارس الضابط روبرتو).

قوات الهجاة بقيادة:

العقيد المساعد (ماليي الفارس أرلندو).

وسائل الدروع أو القوات المدرعة بقيادة (الرائد مايجور لورينزيني الفارس أرلندو).

قاعدة (أجدابيا) بقيادة (العقيد المساعد مارينوني الفارس أمبرتو).

القوات الجوية تقرر تكوينها من عشرين طائرة بما فيها المضاف إليها من

قوات طرابلس التي أمنت تمويناً تاماً لمدة (100) ساعة كل يوم في ثمانية أيام . وهي تعادل (800) ساعة إجمالية حيث جبهة بألف قنبلة بوزن (2) كيلوغرام ، وأربعمئة قنبلة من وزن (12) كيلوغراماً ، وتجهيز كامل للمدافع الرشاشة . . وقد روعيت سبل الاقتصاد في هذه العملية . . بحيث يمكن أن يكون التوزيع مطابقاً لعدد الأيام المقررة حتى لا نواجه صعوبات في المستقبل .

أما قوات الهجانة فكانت مكونة من :

التجمعات الصحراوية البرقاوية مع مجموعتين من قسم المدفعية فوق الجمال . «20 ضابطاً 20 صف ضابط ، 837 جندياً 6 مدافع رشاشة ومدفعين من مدافع الجبال» .

مجموعة صحراوية قادمة من طرابلس على «3» سرحدات كل واحدة منها «100» جندي فمجموعها «300 جندي» . . وكذلك مجموعة من المغاربة وعددها «100» جندي فهي منفردة معها تموين أربعين يوماً مأكولات ، وثمانية أيام مياه خاصة بالرجال . . كذلك قافلة عامة قوامها «3000» جمل ويزيد مقسمة على وحدات كل وحدة «200» جمل بحراسة مجموعة من الجنود الأريتريين لتوصيل المواد والمؤن الأولية لتموين الكفرة بعد الاحتلال . وهذه الحركة تبندىء من بئر الزينغ إلى الكفرة والواحات المحيطة بها .

ثم وسائل النقل الآلية تتكون من :

الفرقة الأولى من المدرعات بالمدافع الرشاشة ، وقسم خاص بسيارات فيات (15) تير ، وعددها (220) سيارة لحمل المعدات والأدوات التي لم تستطع حملها الجمال ! .

إن العملية الحربية سوف تتم على مرحلتين : كل منها لها طابعها الخاص الزحف نحو الجنوب لاحتلال بئر الزينغ والآبار المحيطة به .

تكوين مجموعة «الكولونيل» العقيد مارينوني من أجل الحكم المحلي للمنطقة:

في يوم 12 نوفمبر وبكل فخر، تأسست في مدينة بنغازي فرقة (مارينوني) بعد عودته من (أريتريا) وهي تتكون من:

(500) جندي مقسمة على 5 مجموعات. وفي يوم 18 نوفمبر 1930 وصلت الفرقة إلى «أجدابيا». هذه المجموعات واحدة منها تحرس قافلة التموين حتى تصل إلى الكفرة، بينما المجموعات الأخرى تساعد على إصلاح الطريق المؤدية من «أجدابيا» إلى «جالو». وفوق هذه الأعمال «مساعد العقيد مارينوني» القائم بالأعمال الداخلية في المنطقة، يحل محل «مساعد العقيد مالبتي» في حالة غيابه. وهكذا فالخطة التي وضعها الحاكم العام (المارشال بادوليو)، جهزت حسب الخطة الموضوعية في انتظار الأوامر العليا لمباشرة الزحف المقرر.

وهكذا كل مجموعة في مكانها.

المجموعة الصحراوية تتحرك من «واو الكبير» إلى «تازربو».

سرية مدرعة تتحرك من «زلة» إلى «تازربو» مارة بمنطقة ثمند «بو حشيشة».

سرب صغير من الطائرات يأخذ قاعدته في بو حشيشة.

وفي يوم 18 من شهر ديسمبر 1930 وصلت إلى أجدابيا على متن طائرة حربية، واستعرضت كل هذه القوات الخاصة بالزحف واحتلال الكفرة، بحضور صاحب السمو الملكي «الدوق دلي بولي» الذي وصل من طرابلس لاستلام قيادة القوات في المرحلة الثانية. وقد أخذت فكرة طيبة عن الضباط والجنود، لأن روحهم المعنوية مرتفعة جداً. وقد استغرقت كل هذه الأعمال عدة شهور وخصوصاً في الشهر الأخير. فكان العمل متواصلاً دون انقطاع. بذل فيه كل جهد من الجميع.

وفعلاً في يوم 20 ديسمبر 1930 حسبما هو مقرر منذ البداية، انتهت كل التجهيزات العسكرية وذهلت كل الصعاب حسب الخطة المرسومة.

بدأت تتحرك الحملة من أجدايا إلى تلك المنطقة المجهولة من الصحراء للوصول إلى الهدف المنشود وهو الزحف نحو الجنوب.

الحالة السياسية عند بدء العمليات الحربية:

لقد وصل سيف النصر وصالح الأطيوش إلى المنطقة وبصحبه الذين هاجروا من القطر الطرابلسي، فأصبح الموضوع دقيقاً ومتصلاً.. وبالأخص صالح الأطيوش.. فهو مكابر وشديد المراس⁽¹⁾.

هذا وقد وصلتنا الأخبار أن تجمعات كبيرة من الثوار تقدر بستمئة (600) مقاتل تقريباً مقسمة على عدة مجموعات.. تتكون معظمها من «الزوية» و«المغاربة» تحت قيادة «عبد الحميد بو مطاري».. وأخبار أخرى تؤكد بأن حركة القوافل القادمة من «القطر المصري» التي تحمل الأسلحة والذخيرة والمؤن مستمرة بطريقة متواصلة الواحدة بعد الأخرى.. الأمر الذي جعل سكان المنطقة يتهيئون إلى مقاومة جيشنا الذي سيزحف على الكفرة. ومن الأخبار أن أحمد الشريف خول إلى صالح الأطيوش وعبد الجليل سيف النصر قيادة المجاهدين الثوار والدفاع عن الكفرة والواحات التي حولها.

وقبل أن تبدأ قواتنا في الزحف صدرت الأوامر إلى «الكمندتور الشارف الغرياني» بأن يرسل من يثق فيهم إلى تازربو للاستطلاع على قوات الثوار وسكان الواحات. وفعلاً وصل الشارف الغرياني إلى مراده على متن طائرة

(1) إن المجاهد صالح الأطيوش كان من المجاهدين العظام الذين ساهموا في الذود عن حياض الوطن، وتحرير ليبيا من الاستعمار الفاشيستي. وها هو الجنرال غراسياني يعيش فترة قلق من شدة مراس هذا المجاهد العظيم.. رحم الله الشيخ صالح الأطيوش فقد عرفته شخصياً أبان إقامته في بنغازي 1947 عهد النضال في سبيل وحدة البلاد.. فكان وحدوياً صادقاً كما كان مجاهداً حقيقياً. «المترجم».

حربية، وأرسل اثنين ممن يثق فيهم لكي يطلعوا على أحوال الكفرة وما حولها. وقد رجعوا بالأخبار أن كل الواحات تقريباً خالية من السكان لأنهم هاجروا إلى مناطق أخرى بعد أن علموا بقرب زحف قواتنا وبالأخص فرقة «العقيد توريللي» الأمامية⁽¹⁾.

وفي آخر ديسمبر 1930 عندما استأنفت قواتنا التحرك من جالو إلى «بشر الزينغن»، وفي هذه الأثناء وصلتنا الأخبار أن شمس الدين وبعض الإخوان مع عائلاتهم غادروا الكفرة متجهين نحو الحدود الشرقية المصرية حتى وصلوا إلى مرسى مطروح.

إن سفر شمس الدين السنوسي من الكفرة أعطى الإحساس المضبوط للاضطرابات الحادثة بين القوات المتناقضة بين المقاومة واللامقاومة، وتغلب فريق المقاومة على الآخر، الأمر الذي جعل شمس الدين يغادر الكفرة لأنه من مناصري التسليم بدون قيد أو شرط. وهذه الفكرة كانت دائماً تدور في خلد شمس الدين لكي يحمي ممتلكاته وكل الواحات مع الزوايا من مصادرتها بعد الاحتلال. وعندما ضاع الأمل في إقناع الآخرين بالاستسلام، بقي شمس الدين حائراً، وكانت أمامه ثلاثة طرق يختار واحدة منها وهي:

أما أن يتحد مع المقاتلين ويبقى في الكفرة، وأما أن يبقى مع أخيه الحسن حتى يتم الاحتلال ويخضع لحكم المحتل. وأما الانسحاب إلى القطر المصري. . . وبعد أن قلب الأمور على كافة أوضاعها، قرر أن ينسحب إلى القطر المصري تاركاً أخوه الأصغر حسن بالكفرة، على أمل أن يستطيع إنقاذ ما يمكن إنقاذه من الممتلكات والأموال.

(1) توريللي هو ابن (الجنرال توريللي) الذي كان من قادة حملة الغزوات سنة 1911. وقد قتل هذا الجنرال في موقعة فرزوعة بالجبل الأخضر سنة 1913. وهزمت جنوده على أيدي الثوار الأحرار (المجاهدين). «المترجم».

حركة فوق واحة (جالو):

إن السير من «أجدابيا» إلى بئر الزين 620 كيلومتراً يتم على مرحلتين :

المرحلة الأولى: أجدابيا جالو تقطع في سبعة أيام.

المرحلة الثانية: تقطع في عشرة أيام.

بين المرحلة الأولى والمرحلة الثانية كان لا بد من استراحة يومين في جالو، لكي تتمكن من سقي المواشي من الخيل والجمال. ومن قاعدة «جالو» تنطلق القوافل نحو المرحلة الثانية. . وهكذا انقسمت القوات إلى ثلاثة فيالق:

الأول : تحت قيادة مساعد العقيد ماليتي.

الثاني : تحت قيادة الرائد «لورينزيني».

الثالث : تحت قيادة الرائد «روللي».

هكذا بدأت هذه القوات الواحدة تلو الأخرى، بعد أن تعرضت في يوم 22 ديسمبر 1930 إلى زوينة رملية هبت على أثرها ريع القبلي الساخنة أربكت الحركة نوعاً. . وقد أجل التحرك ليوم 31 ديسمبر 1930 بدلاً من يوم 28 ديسمبر 1930 لكي تلتقي مع القوات القادمة من القطر الطرابلسي في منطقة تازربو يوم 11 يناير 1931. ولكن الزوابع الرملية وهطول الأمطار أثرت حتى على الخيول والإبل، فانقطعت عن الأكل والشرب من أثر البرد القارس. وأثرت حتى على محركات الناقلات، الأمر الذي اضطر الفنيين إلى إعادة تصليح المحركات وغيرها. . وهذا العمل استغرق وقتاً طويلاً فكان السبب في تأخير الحملة عن «السري» المنطقة الصحراوية حسب الوقت المقرر لها. فقد قامت الورشة المتنقلة وورشة قاعدة «جالو»، حيث أجريت كل الإصلاحات الخاصة بوسائل النقل، بعمل متواصل ليلاً ونهاراً. ثم باشرت الفرق السير من جديد على غرار التنظيم الثلاثي السابق. وهذا كان بعد توقف ثلاثة أيام لإنجاز الأعمال التي سببت تعطيل سير القوافل.

استئناف السير نحو الجنوب:

استأنفت القوات سيرها حسب الترتيبات السابقة بعد أن أتمت كل التعليمات حسب التخطيط العسكري في انتظار ساعة الصفر، أي ساعة الانطلاق من القاعدة.

وهكذا في يوم 2 يناير 1931 عند الساعة السادسة والنصف صباحاً، تحركت الحملة متجهة نحو الجنوب تتقدمها القوات المدرعة. وبعد أن وصلت إلى النقطة المعينة انتظرت حتى تتصل كل الناقلات الآلية ببعضها وتفحص من جديد لكي تقوم بالمرحلة الأخيرة. ومن خلف هذه الناقلات يتبع سيارات الورش العامة لكي تقوم بالإصلاح الفوري للناقلات.

أما القافلة المكونة من الجمال والخيول فلها منظرها الخاص، فهي كتلة متحركة في وسط الصحراء على شكل مستطيل، عرضه 500 متر وطوله 1500 متر، تتقدمها سرية أمامية من الأريتريين للاستطلاع، وبعدها خبراء المنطقة مع رئيسهم على الجمال. ثم قافلة المياه الاحتياطي مكونة من 280 جملأً أما قافلة بئر الزينغ فمكونة من 890 جملأً وقافلة الكفرة تتكون من 2100 جمل، وأخيراً قافلة الحراسة. ولكي تتم المسيرة، هناك طابور من الجنود الأريتريين يحملون ظهر الحملة وكذلك سرية الفرسان والهجانة، يحملون جوانب القافلة الزاحفة. وكذلك وحدة صحية مكونة من أطباء بشريين وبيطريين من أجل الجنود والجمال والخيول الاحتياطية بحيث إذا حدث أي تخلف لحصان أو جمل، يستبدل من الاحتياط بغيره حتى لا يحدث أي إزعاج أو توقف في سير الحملة الزاحفة.

وهكذا تسير الحملة إلى أن تصل إلى نقطة التوقف، فتنزل الأحمال في ظرف نصف ساعة للاستراحة، ويبقى كل أحد في مكانه في صفوف متوازية. والذي هو مهم جداً وفيه التعب الشديد هم القائمون بالإصلاحات والتوجيه. فالقيام بتسيير 300 ناقلة آلية بما فيها المدرعات وفي أراض صحراوية، ليست

بالأمر الهين. ولكن بتشجيع الضباط وسلامة القيادة الحكيمة، استطعنا أن نتغلب على كل الصعاب.

وصلت الحملة بسلام إلى القاعدة بئر الزينغن كاملة لا نقصان فيها وكان ذلك يوم 9 يناير 1931 قبل الميعاد المقرر بيوم، فكانت المرحلة موفقة بعد أن قطعت 400 كيلومتر من أرض السريير المليئة بالرمال والمطبات، وهي المسافة بين جالو وبئر الزينغن. أقولها بكل فخر، اجتازت قواتنا هذه المرحلة دون أن تترك وراءها أو يتخلف عن ركبها لا رجل ولا ناقلة. . سواء كانت آلية أو حيوانية. ولم يكن هناك ضياع في الأرواح إلا نسبة قليلة. وهي مائة جمل من 3500 التي قامت من جالو. .

الاستراحة في منطقة بئر الزينغن:

كان وصول الحملة إلى بئر الزينغن في صباح يوم 9 يناير 1931، وكانت الطائرات الاستكشافية تقدمت الحملة للتأكد إن كانت هناك قوات للشوار، فأعلمت القيادة أن المنطقة خالية من السكان لا حياة فيها. . وهذا كان متوقفاً حسب الاحتمالات الثلاثة:

- 1 - إذا كانت هناك مقاومة من الشوار في بئر الزينغن.
 - 2 - إذا كان هناك تجمعات من الشوار في نصف الطريق. بين «الزينغن» و(الجوف)
 - 3 - إذا كانت هناك قوات من الشوار مساندة في الجوف.
- وكان اعتقادي في محله، لأنني كنت مقتنعاً أن الشوار لن يتركوا وراء ظهورهم 180 كيلومتراً صحراء قاحلة تفصل بئر الزينغن عن وادي الجوف. وهكذا تحقق الاحتمال الثالث، وثبت أن منطقة بئر الزينغن خالية تماماً دون أن يحدث فيها قتال. وإلا لدمرت تماماً من طائراتنا وبكل تأكيد لو حدث قتال لكان النصر لنا.

ومنذ تحركنا من بنغازي كان في خطتنا أن نلتقي مع الثوار فوق مرتفعات (الهواري) تبعد عن التاج ببضع كيلومترات - وفعلاً حدث كما تصورت فابتدأ القتال من هناك. وكذلك في واحات «تازربو» اكتشفت طائراتنا إخلاء المنطقة من الثوار، ولا يوجد فيها إلا بعض الفلاحين قائمين بحرث الأرض من جديد. هذا وقد أمرت القيادة العليا كل الأقسام بالاستراحة على النحو التالي:

القيادة العليا وفرقة «لورينزيني» المدرعة تقف للاستراحة عند علامة الكيلومتر 385.. أما مجموعة من المدرعات تتوقف للاستراحة عند علامة الكيلومتر 390.

أما فرقة «روللي» في بئر الزينغ منطقة «بو حوش» وأخيراً فرقة «ماليتي» فتتوقف للاستراحة عند «بئر عطلة» حيث وجدوا أن الآبار التي حفرت في السابق لم تتغير، بل باقية كما هي عليه. وهي التي حفرتها مجموعة «الكولونيل العقيد لورينزيني» الاستكشافية في 26 أغسطس 1930 بعد أيام الاستراحة أجريت كل أعمال استئناف زحف الحملة في المرحلة الثانية نحو الجنوب، بعد أن أسقيت كل الجمال والخيول وشحنت كل المواد والأحمال بدأت الرحلة.

إن إخلاء هذه المناطق من السكان ومن كل شيء يخيل لي أن الكفرة ستكون هكذا. لأنني متأكد أنه لم تصلهم أخبار سفر الحملة.. ولهذا فمن المحتمل أن نأخذ الواحات على غرة، وهذا الأمل تحقق عندما ألقينا القبض على أحد الأعراب مع عائلته قادماً من الكفرة ومتجهاً نحو (جالو). وسألناه متى خرج من الكفرة؟ فأجاب يوم 30 ديسمبر وكان القبض عليه يوم 7 يناير 1931. وعلى هذا القياس عرفنا أن الكفرة قد قربت منا.

وفي يوم 10 يناير تحركت سرية من منطقة بو عطلة متجهة إلى (تازربو).. هذه السرية تتكون من مائة جندي صحراوي مهمتها ربط القوات القادمة من طرابلس مع القوات القادمة من برقة. وفي الوقت نفسه تمد هذه القوات بالتموين وما يلزم ذلك.

وكذلك في نفس اليوم علم الجنرال أو القائد (رونكتي) بالبرقية التالية التي تتضمن التعليمات بخصوص الزحف النهائي لاحتلال الكفرة من منطقتي (الزيغن وتازربو) وهذه هي البرقية :

التعليمات والعمليات الخاصة باحتلال الكفرة إلى قوات طرابلس وبرقة (.) قف .

أولاً : (.) من يوم 11 يناير 1931 القوات البرية والجوية الطرابلسية التي تعمل في منطقة تازربو تصبح تحت قيادتي بناء على أمر صاحب السعادة الفريق (بادوليو) الحاكم العام (.) .

ثانياً : (.) عملية احتلال الكفرة تنطلق من (تازربو والزيغن) على النحو التالي :

فرقة (كامبيني) زودت بسرية من جنود الصحراوية البرقاويين . . تزحف رأساً على تازربو على وادي الجوف (.) .

فرقة (ماليتي) تزحف من بئر الزيغن على وادي الجوف عن طريق (فاضل الهويويري) على الطيران أن يقوم بحركة الاتصال بين الفرقتين لكي تلتقي (.) القائد (رونكتي) يقوم بتوزيع الأوامر الدقيقة لتحديد يوم الزحف النهائي . بحيث تكون مدة الزحف أربعة أيام بالنسبة للفرقتين الزاحفتين (.) .

بالنسبة لسرب الطائرات الطرابلسية والبرقاوية تأخذ قاعدة لها تازربو والزيغن (.) . . القائد رونكتي عليه أن يضع تحت تصرف «الرائد توريللي والرائد كامبيني» سرية من القوات الصحراوية والبرقاوية الزاحفة على «تازربو» . «ضمان الوصول أو ضمان الاستلام» . القائد غرازياني .

وفي يوم 11 يناير 1931 بدأت القوات القادمة من طرابلس . . باحتلال واحات «تازربو» .

وفي يوم 12 يناير 1931 أصدر القائد «رونكتي» بياناً خاصاً بتحركات

الفرقتين الطرابلسية والبرقاوية بصفته قائداً عاماً في المنطقة لتحرك كل قوات الحملة .

إن أعمال قوات الاحتلال تنفذ حسب تعليمات نائب الوالي أو الحاكم والقائد الأعلى للقوات من أن فرقة «كامبيني» المجموعة الثالثة من القوات الصحراوية الطرابلسية وسرية «برونو» من القوات البرقاوية تزحف من «تازربو» على «الجوف» من طريق «بزيمة» و«الهواري». فرقة «مالييتي» التجمعات الصحراوية بقيادة الرائد «بوزللي» وسرية من الجنود غير النظاميين مكونة من المفاربة. من «بئر الزينغن» تزحف على الجوف عن طريق «جبل فاضل الهويوي» و«التاج».

وفي نفس يوم 12 يناير 1931م انتقلت من بنغازي إلى «بئر الزينغن» مع مجموعة الطيران حيث سارت على نفس الخطط المرسومة.

الزحف على الكفرة:

إن التعليمات التي وضعها «رونكتي» قائد الحملة هي أن تتحرك القوات كل منها إلى طريقها في صباح يوم 13 يناير 1931م وهذا من أجل إعطاء الفرصة إلى الملازم «برونو» وسريته لكي يتم الاتصال مع الفرقة الصحراوية في تازربو بقيادة الرائد «كامبيني» حتى تتوقف يوماً عن الزحف.

وبعد أن اجتمعت بأركان الجيش للاستشارة فأشاروا علي ألا أتحرك بالقافلة كلها إلا بعد وصول القوات الطلائعية إلى الكفرة للتأكد من قوات الثوار ومدى قدرتها على المقاومة⁽¹⁾.

(1) لا شك أن هذه التحركات وهذه القوات الضخمة بجنراتها ودباباتها وطائراتها وجنودها على اختلاف أجناسها بجمالها وخبولها بعنادها ومؤنها تجعل الإنسان يقف برهة يفكر في مصير سكان الواحة وماذا سيحدث لهم وفوق كل هذا تتحرك هذه القوات بدقة وحساب معتبرة أنها ستقابل قوات الثوار في معركة كبيرة وهذا دليل واضح واعتراف ثابت بقوة الثوار وشدة مراسهم في القتال رحم الله الشهداء الأبرار الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل الدين والوطن . «المترجم» .

وهكذا وزعت قواتنا الواحدة تلو الأخرى حتى تكون بينهما مسافات متوازية وتسير بهدوء دون أي تشويش حتى تصل إلى الهدف المطلوب كذلك سارت خلف هذه القوات على بعد مسيرة يوم قافلة تحمل الماء الاحتياطي للقوات الزاحفة تقدر بـ 180,000 ليتر بالنسبة للجمال . ومثلها لمجموعة من الناقلات الآلية .

وفي صباح يوم 14 يناير 1931م بين الساعة السادسة والسابعة تحركت فرقنا العقيد «ماليتي» و«كامبيني» نحو الجنوب حسب الخطة المرسومة وهي مسافة 80 كيلومتراً بين الفرقتين . بحيث يلتقيان فيما بعد بمنطقة الهواري .

وكانت الطائرات تقوم بربط الفرقتين واستكشاف مناطق الجبهة وكذلك الحركات الجانبية للقوات الزاحفة . وفي يومي 16 - 17 يناير 1931م كانت القوات الزاحفة تقترب من بعضها لتلتقي في النقطة المحددة لتسير معاً نحو الهدف على جبهة عرضها 30 كيلومتراً .

وفي يوم 18 يناير 1931م تجمعت قوات «كامبيني» مع قوات العقيد المساعد «ماليتي» وفي هذه الأثناء وصلت الأخبار نقلاً عن طائرات الاستكشاف أنه توجد تحركات للشوار في المنطقة . إن الاستكشاف أثبت أن الحالة كالاتي :

1 - وجود بعض الرحل بقرب (الجوف) مع بعض الخيام وعددها عشرون تقريباً وعدد 300 جمل تقريباً محصورة في حظيرة محاطة بالأحجار .

2 - إن سكان الواحة كأنها تنتظر احتلال القوات الزاحفة ولكن في منطقة الهواري يشاهد أن الشوار مقسمون على تجمعات صغيرة من 20 إلى 30 مقاتلاً بحيث يمكنهم الاختفاء عن طائرات الاستكشاف ولكن إحدى الطائرات خاطرت بنزولها على ارتفاع بسيط فوق موقع الخيام ولكن نيران الشوار أرغمت الطائرة على الارتفاع من جديد ولم تتمكن من استكشاف

مكان الثوار بعد أن أصيبت في أجنحتها عدة مرات ولم يكن لدينا أي شك بأن هناك مقاومة مستميتة من جانب الثوار وهذا ليس بخوف على العقيد «ماليتي» نظراً لأنه ضابط كبير ومحنك له خبرة كبيرة بالحروب الصحراوية وبالأخص في المناطق الليبية أكثر من عشر سنوات الأمر الذي تحقق عندي بالبرقية التالية :

«إن طائفة الاستكشاف فوق مخيمات الثوار رجعت إلى القاعدة مصابة بطلقات نارية في أجنحتها من قوات الثوار المرابطة في منطقة (الجوف) إنني أعتمد على قدرة سيادتكم وخبرتكم المعروفة وعلى شجاعة الضباط والقوات جميعها مهما يكن الثمن قف»⁽¹⁾.

ومن هذا الوقت قواتنا لم تبعد عن منطقة الجوف إلا بمسيرة يوم لأنه من «تازربو» أولاً، و«بزيمة» ثانياً كلها تحركت نهائياً نحو الكفرة قسم المدرعات من «تازربو» والقسم الآخر من القوات الصحراوية من «بزيمة» وهكذا يفاجأ الثوار بظهور قواتنا أمام واحة الكفرة. وهكذا نظراً لدقة الموقف فقد أصبح يوم 19 يناير 1931م هو اليوم الذي ينتهي فيه احتلال كل المنطقة احتلالاً كاملاً.

وفي صباح يوم 18 يناير 1931م كانت التعليمات كما يلي :

أ - العقيد المساعد «ماليتي» عليه أن ينتظر فرقة «كامبيني» في آخر الرحلة حتى تتصل القوات مع بعضها وتدخل الواحة متماسكة مارة في نفس اليوم متوازية مع بعضها في «الهواري» و«الهويويري» وفي اليوم الذي بعده كل القوات تحتل المنطقة الوسطى واحة «الجوف والتاج».

(1) يا لله! ثوار مؤمنون بقضيتهم مسلحون بإيمانهم يواجهون طائرات العدو ببنادقهم البسيطة ويرغمونها على الفرار. . ومن العظيم جداً اعتراف العدو نفسه بعظمتهم ويرسل الحاكم برقية لقائد الفرقة يستنهض فيها روح الشجاعة والإقدام ويحثه على السير إلى الأمام مهما يكلفه ذلك من ثمن. . تحية إجلال إلى الثوار الأحرار. «المترجم».

ب - العقيد المساعد لوردي قائد الطيران عليه أن يستعد بنصف طائراته في قاعدة الزيغن مزودة بالقنابل من أجل الغارات الجوية عند الحاجة .

تنظيم العمليات العسكرية:

عندما وجدت كل القوات في المنطقة قوات آتية من شمال الواحات وقوات من جنوبها، وكذلك من الجنوب الشرقي، مع مساعدة قوة السلاح الجوي الذي لم يشترك في المعركة حتى الآن لأنه لم يستطع اكتشاف معاقل الثوار . . ولكن في صباح يوم 19 يناير 1931م استطاعت طائرة الاستكشاف أن تحدد وجود تجمعات من قوات الثوار تقدر بأربعمئة مسلح . . وكان قائد الطائرات هذه المرة: «صاحب السمو الملكي الدوق دلي بولي» أما قواتنا الزاحفة، كانت في الناحية الشمالية بقيادة العقيد المساعد «ماليتي»، وفي الناحية الجنوبية كانت بقيادة الرائد «كامبيني» . . وعند الساعة العاشرة صباحاً أخبرت إحدى الطائرات أن الثوار متجمعون في ظلال الأشجار والنخيل . . وعندها تحركت القوات الأمامية للاشتباك مع الثوار في المنطقة . . وفعلاً بدأت المعركة ولكن في الوقت نفسه بدأ العقيد المساعد «ماليتي» بحسب الحساب للموقف .

فأمر الجنود بالتقهقر لكي تصطدم قوات الثوار مع قوات الرائد «كامبيني» بحيث تصبح قوات الثوار بين نارين . .

ولكن شجاعة الثوار . . واستماتتهم في الدفاع . . ضغطت على الجناح الأيمن وأرغمته على التقهقر بعد أن كانت قواتنا مهاجمة، أصبحت منهزمة وبينما نحن في هذه الحالة وصلت القوات الطرابلسية التي أخذت علماً بالهزيمة عن طريق الطيران . . وكانت المقاومة عنيفة جداً وعلى أثر هذه المعركة وصلت الأخبار إلى قاعدة الزيغن وكان ذلك عند الساعة الحادية عشرة وبعدها بدقائق قامت ثماني طائرات من طراز «روميو» المقاتلة محملة بالقنابل . . فأقلعت نحو الهواري - منطقة القتال - وفي الساعة الثانية عشرة

والنصف.. كانت الطائرات تحلق فوق منطقة المعركة، وهي «الجوف»، وفي الحال بدأت الطائرات عملها في إلقاء القنابل واستعمال المدافع الرشاشة.. الأمر الذي جعل الثوار يلجأون إلى منطقة الهواري.. للوقاية من الغارات الجوية.

وفي اليوم التالي، عند الساعة السادسة عشرة والنصف، وصلت قوات العقيد المساعد «ماليتي» على بعد ستة كيلومترات من منطقة «الهواري».. واستأنف في الوقت نفسه الزحف على «التاج».. حيث كان في اعتقاده أن تكون هناك مقاومة من الثوار وبالفعل كانت هناك مقاومة شديدة عطلت الزحف لكي تستعد قوات الثوار في منطقة الهواري، وعندما بدأ القتال أعلمت القائد العام ببرقية «الفريق بادوليو» في طرابلس وكان رد المارشال بسيطاً.. كالآتي:

«إني متأكد من النصر، أوصيكم باستعمال الطائرات بتوسع كبير»..

واستمر، كما علمت فيما بعد، في لعبة «البردج» التي قطعها قبل قليل، دون أن يعلم أحد بما جاء في البرقية.. هذه الثقة البالغة التي وضعها الفريق في الحملة وقائدها في ضباطها وجنودها، كانت السبب في نجاح العمليات حتى ولو أنها حملتنا خسائر فادحة، لكن كان النصر لنا نتيجة أن قوات الثوار تحت قيادة رجال مهمين من أمثال «صالح الأطيوش» و«عبد الجليل سيف النصر» و«حمود بن شغيلي» و«حمد بن شريف» و«عبد الحميد بو مطاري»، الذين قابلوا قواتنا الكبيرة بكل عددها وعددها من دبابات وطائرات وأنها معركة غير متكافئة، رغم هذا كله كانوا أشداء، أقوياء، صامدين صابرين لا يتقهقرون أبداً حتى ولو أدى ذلك لفنائهم جميعاً مؤمنين بأنهم أصحاب حق وشجاعة⁽¹⁾.

(1) لله در هؤلاء الأبطال، لقد اعترف العدو بأنهم شجعان وأصحاب حق رغم قلة عددهم وعددهم فكانوا مثال المقاومة حتى سلاح الطيران اشتكى منهم واعترف لهم بالقوة وشدة المراس. والفضل ما شهدت به الأعداء. هؤلاء الأبطال.. سلاحهم الإيمان والبندقية، وزادهم التمر والشعير، ومع ذلك دوخوا القيادة الإيطالية.. فالله أكبر والعزة للعرب. «المترجم».

وأسفرت المعركة عن مائة قتيل وأسروا ثلاثة عشر نائراً خلاف الجرحى، ومائة بندقية وبعض صناديق الذخيرة. وقد قتل منا: الملازم أول «هازل»⁽¹⁾، والملازم أول (بييتوني)، هذا الأخير جرح جرحاً بالغاً مات من أثره في قاعدة (الزيغن) ونقل إلى طرابلس على متن طائرة عسكرية، وكذلك بعض الجنود الأريتريين قتلوا وبقي منهم ستة عشر جريحاً.

وكذلك بعض من جمال القافلة قتلت وبعض آخر جرح . . وفي يوم 24 يناير 1931م وصل بطريق الجو من طرابلس إلى الكفرة بعد أن قطعوا مسافة 2000 كيلومتر كلها صحراء قاحلة وكان ذلك عند الغروب كل من (الدوق دلي بولي أميديو دي صافويا أوستا، أمير الصحراء) والفريق (بادوليو) من أجل رفع العلم الإيطالي على زاوية التاج.

استغلال الانتصارات:

عندما عرفت النتيجة في يوم الزحف وكانت الأخبار تبين أربعة اتجاهات لانسحاب قوات الثوار: واحدة نحو شمال شرقي (سيوة)، وأخرى نحو الشرق رأساً إلى الحدود المصرية، وواحدة على الطريق الموصل إلى (العوينات)، والأخيرة نحو الطريق المؤدي إلى جبال التيسست، ولكي نثبت انتصاراتنا يجب أن نلاحق الثوار في أي مكان بدون قاعدة أينما وجدوا. وكانت هزيمة لا قيام بعدها للثوار.

وفي يوم 20 يناير 1931م صدرت الأوامر إلى القوات الجوية، بمتابعة المنسحبين وإلقاء القنابل عليهم ومطاردتهم إلى أن يفنوا جميعاً⁽²⁾.

(1) قامت السلطات الفاشيستية ببناء العمارة الكائنة بقرب ضريح عمر المختار والتي استعملتها إدارة التربية والإرشاد القومي، بنتها تخليداً لاسم هذا الملازم الذي سقط في معركة الهواري وهذا اعتراف صريح بقوة الثوار. وكفاحهم من أجل وطنهم رحمهم الله. «المترجم».

(2) تعليمات صدرت من متوحشي القرن العشرين قتل العزل من الشيوخ والنساء والأطفال الهاريين من الظلم، والاستبداد، رحمهم الله جميعاً. «المترجم».

وجعل مواقعهم دائماً تحت رقابتنا . . وفي صباح يوم 20 يناير 1931م أمر العقيد المساعد (ماليتي) بعد احتلال (التاج) بإرسال سرية بقيادة الملازم أول (لاسكاروا) نحو شرق المنطقة، وسرية أخرى بقيادة الملازم أول (كريماسكو) نحو الجنوب الشرقي وسرية ثالثة بقيادة الملازم أول (نابولي) نحو الجنوب الغربي، بينما المجموعة الثالثة من الفرقة الطرابلسية مهمتها تطهير منطقة الجوف المحتلة. وكانت حركة هذه القوات الموزعة، تحرسها الطائرات وترشدها إلى فلول قوات الثوار المنسحبة. وفي الوقت نفسه تغير هذه الطائرات على المنسحبين وتلقي عليهم القنابل، وتطلق عليهم النار من مدافعها الرشاشة، من ارتفاع منخفض، وهكذا اتصلت القوات المطاردة ببعض المتخلفين في مؤخرة المنسحبين ومعظمهم من النساء والأطفال.

وبما أن المطاردة مستمرة، فقد وصلت الأخبار أن معظم الجنود المنسحبين قد توجهوا نحو جبال «التيبست» . . فالقيادة أمرت سرية الملازم أول (نابلي) بالانضمام إلى قوات النقيب «بونينكي» . . والاستمرار معاً في مطاردة الثوار إلى «معطن» - يعني بئر «بشارة» حول مكان توجد به الماء على طريق «التيبست» الذي يحتمل أن يقف عنده المنسحبون ليتزودوا منه بالماء. وفي يوم 23 يناير 1931م، رجعت سرية الملازم أول «كريماسكو»، واليوم الذي بعده سرية الملازم أول «لاسكاروا»، وفي يوم 28 يناير 1931م النقيب «بونينكي» مع المجموعة الأولى . . وأنتجت المطاردة الحصول على 37 بندقية حربية صالحة للعمل، وأسر خمسين رجلاً 12 منهم أعدموا على الفور في نفس المكان. أما محمد بن عمر الفضيل وأمينه الخاص أحمد بن علي الفضيل، فقد أعدموا في الجوف. وكذلك 200 تقريباً بين نساء وأطفال وحيوانات⁽¹⁾.

(1) هذا اعتراف خطير من القوات الإيطالية المهاجمة بأنها أعدمت 200 من النساء والأطفال والحيوانات، على السواء، يا لها من فضيحة لا حرمة للروح البشرية البريئة، صدق المثل القائل: اللي يختشوا ماتوا. . ويحدثنا التاريخ الإسلامي عندما يجهز الجنود للحرب أول =

في كل مكان تجد آثار مرور القوات المنسحبة وعندما وصل النقيب «بونينكي» إلى «معطن بشار» - أي «بئر بشار» والطرق المتفرعة منه وجدها مليئة بجثث الموتى والأشلاء المبعثرة للنساء والأطفال نتيجة الغارات الجوية⁽¹⁾.

في معركة يوم 19 يناير 1931م، كانت انتصاراتنا عظيمة، حيث ترك العدو «يعني الثوار» على أرض المعركة 200 قتيل و160 بندقية حربية جمعت من على أرض المعركة، كذلك وقعت في أيدينا مخازن السلاح والذخيرة في التاج والجوف بها ثلاثة مدافع رشاشة وثلاثة مدافع ميدان.

وهذا جدول يبين كل ما غنمناه من أسلحة وذخيرة، اعتباراً من يوم معركة 19 يناير 1931م إلى حين رجوع الهاربين وسكان المنطقة:

بنادق أوروبية صالحة 318.

بنادق من أنواع مختلفة 35.

بنادق غير صالحة عربية 200.

مدافع رشاشة من نوع مكسيم 3.

مدافع ميدان من عيار 70 جبلية 3.

قنابل مدافع⁽²⁾ 787.

= توصية للجنود: لا تقتلوا امرأة ولا طفلاً ولا شيخاً ولا تقطعوا شجرة، هذه حروب المسلمين أما شريعة جنود الحضارة ومدنية القرن العشرين الوحشية، فهي التقتيل بالجملة وبدون تمييز. رحم الله الشهداء. «المترجم».

(1) الحمد لله، لقد أثبت المؤلف في كتابه وحشية جنوده، وها هي طائراته تتعقب السكان البائسين الهاربين من الفزع وجلهم من النساء والأطفال، وهذا قائد السرية يعترف ويؤكد أن القتلى والأشلاء المبعثرة بقرب البشر كلها نتيجة الغارات الجوية بالرشاشات على الأبرياء والعزل من كل وسائل الدفاع. . . يا للوحشية. «المترجم».

(2) هذا كل ما كان من أسلحة عند الثوار، بينما القوات الفاشيستية كانت مجهزة بأحدث الأسلحة بما فيها الطائرات والدبابات. . . وبالرغم منها فقد هزمت عدة مرات من قبل الثوار في أكثر من معركة.

ومجموعة كبيرة من المواد المتفجرة وعدد كبير من طلقات البنادق . وفي 25 يناير 1931م رجع الفريق (بادوليو) من الكفرة إلى طرابلس، وأنا رجعت بدوري إلى بنغازي، بعدما أعطيت التعليمات اللازمة من أجل التنظيم وتطهير المنطقة واستمرار الاستكشاف على مراقبة الطريق التي تربط الكفرة بمنطقة بئر الزين . . وكانت مفتاح الطريق لنا لاحتلال الكفرة، ونتيجتها كانت في صالحنا .

وهكذا، بقوة السلاح، استطاعت قواتنا أن تحتل قلعة السنوسي الأسطورية . التي لا تقهر ولا يمكن لأحد أن يجتاز ذلك المخبأ وهو الكفرة، أما اليوم فكل سائح يمكنه بكل حرية أن يصل من بنغازي إلى الكفرة بالطائرة في ست ساعات ليزور مكة السنوسية .

الكفرة وتنظيماتنا الصحراوية:

نحن نستطيع أن نؤكد . . ونواجه أي انتقاد دون وجل أو خوف من أحد، فأعمالنا وتصرفاتنا سليمة جداً، وهي كالاتي :

1 - إن الاحتلال لواحات الكفرة بالقوة العسكرية ثبت أكبر عملية حربية صحراوية، لم يسبق لها مثيل ولم تطبق من قبل .

2 - إن العمليات الحربية التي أجريت من أجل احتلال القبلة (أي الجنوب) . . والحمادة الحمراء والكفرة نفسها تعطي لنا المكان الأول دون جدال في الحروب الصحراوية .

3 - إن النتائج التي حصلنا عليها كانت ثمرة جهادنا وتفانينا في دقة الأمور وتنظيمها وفي الوقت نفسه، توحيد الجهود وترباطها ببعضها، بحيث نواجه المفاجآت الصحراوية التي تحدث أحياناً وتؤثر في سير العمليات . . ومن هذا العمل بالصحراء يجزني الحديث إلى عام 1922 عندما كانت قبائل الطوارق تخيف الفرنسيين في جنوب الجزائر

والإيطاليين في جنوب ليبيا وبالمناسبة أحب أن أذكر رسالة كانت في سنة 1925 من شيخ قبيلة مشاشة محمد بن حسن كان خاضعاً لسلطاننا ثم عاد فانقلب علينا، كتب لي رسالة يقول فيها، مشيراً إلى رسالته السابقة في سنة 1925 ومجدداً اقتراحاته بأن نحذو حذو نظام الدولة الفرنسية في الجزائر. . وهي أن تفتح الحكومة خزائنها لصالحه وتعطي إلى الرؤساء المحليين الحكم المطلق في منطقة (القبلة) أي الجنوب، لأنها المنطقة الحصينة، التي لا تقهر كما يسميها هو. . وفعلاً في سنة 1924 بدأت الحكومة الإيطالية في تكوين نواة من مجموعات تستعمل المهاري (نوع من الجمال تتميز عن الجمال العادية في سرعة العدو)، ثم بدأت تجاربها لاجتياز الصحاري، ومن ذلك الوقت. . بدأ الاعتناء بهذا النوع واعتبر من الوسائل الناجحة لاجتياز الصحاري بكل ثقة واطمئنان. وهذا ما أثبتته التجربة عندما زحفت المجموعة الثانية نحو منطقة (قيرياط) وبعدها (بئر الكور) في قلب الجنوب الليبي. وكانت النتائج مرضية للغاية، ومن هنا شعرت السلطات آنذاك، بأنه لا بد من الاهتمام بهذا النوع وتسليحه بكل المعدات وأنواعها لأنها أصبحت ذات أهمية كبرى تستحق الاعتناء. . لأن المجموعة الغربية من كتيبة المهاري أثبتت وجودها باحتلال (غدامس) و(بئر العصمان) و(بئر القطار) وبكل فخر واعتزاز.

وفي سنة 1926. . أخذ قيادة هذا النوع (الدوق ديللي بولي) ونظمه تنظيمًا رائعاً بجده وتفانيه حتى جعل من هذا النوع في الدرجة المرموقة من بين القوات المسلحة. . والدليل على هذا. . انتصارات المجموعتين. . (الثالثة والرابعة) من القوات الطرابلسية تحت قيادته في معركة (تقرفت) وفي آخر عام 1928 يمكن القول أن القوات الصحراوية وصلت إلى مكانها المرموق من النظام والقوة. . وهذا ما أثبتته في معارك احتلال فزان من جديد. . فكانت هي القوة الثالثة مع القوات الآلية وقوة الطيران. الأمر الذي حازت به هذه القوة الصحراوية شهرة في العالم الخارجي.

وعندما يفكر الإنسان، أن هذه القوات في ظرف ثلاثة أشهر احتلت كل الأراضي الجنوبية الطرابلسية الوسطى من (واو الكبير) إلى (توموا) ليس احتلالاً فحسب، بل نزع السلاح من كل السكان نزاعاً كلياً بكل نظام إنها معجزة أذهلت الدول المجاورة لنا مثل إنكلترا وفرنسا في أفريقيا الشمالية.

لا توجد هناك دولة أخرى تتبجح بأنها قامت بحرب صحراوية كما قامت دولة إيطاليا الفاشيستي في معركة احتلال الفزان الأول والثاني.

الفرنسيون أنفسهم، لم يستطيعوا أن يسلكوا الطريق الذي سلكناه في الحروب الصحراوية، مثلاً الخسائر التي تكبدتها القوات الفرنسية في احتلال واحات (انصلاخ) في جنوب الجزائر التي كانت احتلالها في سنة 1900م.. ولكن الفرنسيين لم يستطيعوا في يوم من الأيام أن يستقروا في ناحية من النواحي وقتاً طويلاً مهما قاوموا.

أما نحن فقد برهنا إلى العالم أجمع بأن قواتنا عندما تحتل تعرف كيف تتصرف هذا معروف عنا في كل الأحوال.. وبالأخص معركة فزان، رغم ما أذاعه عنا ذوو الأفكار المفرضة سواء كانوا من وراء (جبال الألب)، أو من وراء البحار.

إن سقوط الكفرة كان متوقفاً، لأن الحكومة الإيطالية الفاشيستي لم تتجه رأساً لاحتلال هذه الواحات.. بل سلكنا الطريق السليم، الذي لم يسلكه أحد من قبلنا، حيث قامت قواتنا بحركات تمهيدية لاحتلال الجغبوب أولاً ثم عمليات خط العرض 59 درجة واحتلال (جالو) و(أوجلته) و(مرادة) و(زلة) و(سوكنة) وأخيراً، بعد احتلال فزان من (واو الكبير) إلى (توموا) ومراقبة مطلقة على هضبة (الهروجي) كل هذه الأعمال الحربية.. كانت من أجل احتلال الكفرة، ومن أجل رفع اسم الوطن إيطاليا واسم روما عالياً في القارة الأفريقية.

وقد وضع وخطط بقلمه الفريق (بادوليو) هذه العمليات العسكرية التي كللت هامته بإكليل الفخر والاعتزاز.. من أجل إعلاء عظمة إيطاليا الفاشيستيّة.

الكفرة كانت خلاصة مسيرة عسكرية كبيرة. ليست عملية بسيطة لاحتلال أرض. أين؟ في الصحراء. من أجل أين؟ نحو المجهول نحو لا شيء... الرمال المحرقة ولكن نحو أهداف إيطاليا الكبرى ومصيرها بين الأمم بدون حدود.

إنه استدعاء إلى جلالة الامبراطورية القديمة إنه نذر حاد من أجل نشأته من جديد.

إنه آية في قوة المستعمرات الإيطالية الفاشيستيّة. وليس في استطاعة أي أحد أن يمنعنا من أن نحلم ونخلق ونبني.

إنه وصول إلى هدف بعيد يشير إلى الأجيال الجديدة القوية الفاشيستيّة نحو أهداف المستقبل الباسم.. إنها عجلة الحظ ارتبطت وثبتت بين رمال الصحراء الليبية التي لم يتجرأ أحد أن يجتازها، وكانت آمال قلوب كثيرة وأرواح مبهتجة من أبناء الشعب الإيطالي الفاشيستي.. إذن.. الكفرة تكون شعار السلالة التي لا تكذب ولا تموت بل ستنهض وتخلق.

بعد أن انتهت من احتلال الكفرة ووضعت لها إدارة محلية لتنظيم أمورها وتخليصها من استغلال إدارة السنوسية فهي كانت ظالمة وجائرة في حكمها، تأخذ من السكان الزكاة والأعشار على كل شيء: الحبوب، الحيوانات، التمر، علاوة على أخذ كل ما يتناسب مع أهوائهم حتى من النساء. يستغلون العبيد في كل أعمالهم، ويسخرونهم، يشترون فيهم ويبيعون، مستحوذين على أحسن النخيل والأماكن الخصبة والمباني الحسنة في تلك المنطقة. وعندما تعجبهم أي حاجة من أموال الشعب مثل «المهاري» و«الجياد» يعني الخيل

وغيرها من الأشياء يستحوذون عليها ويدفعون الثمن «بالدعاء» وهكذا كانت تعيش واحة الكفرة في بؤس وتعاسة تحت إدارة السنوسيين . لم تكن هناك عناية بالإنسان والحيوان على السواء . فالعبيد يجلبون من السودان وتشاد والمناطق المجاورة، فيباعون ويشترون في الأسواق العامة كالبهائم والسلع . أما بعد الاحتلال فقد زالت كل هذه الأحوال التعسة وبدأ المهاجرون يرجعون من مصر والسودان وتشاد وغيرها، لأن أقرباءهم كتبوا لهم أن الأوضاع تغيرت وأن العمل أصبح متوفراً ولم يعد هناك استغلال بشري كما كان في السابق، بل عم الرخاء والأمن والطمأنينة وفعلاً بين شهري سبتمبر ونوفمبر عاد إلى الواحة أي إلى الكفرة 141 رجلاً و72 امرأة و14 طفلاً من مصر والسودان . ومن التيبست وصلت اثنتا عشرة قافلة وبصحبتها 46 رجلاً وامرأتان ومعهم 200 رأس من الغنم والبقر . وهناك عدد كبير من المهاجرين ينتظرون القوافل للرجوع إلى الكفرة لأن أقاربهم كتبوا لهم أنهم يتمتعون بكل خير، وأنهم كانوا مغلوبين على أمرهم ومنخدعين في عقيدتهم السنوسية وأن الحكومة الإيطالية أوجدت لهم العمل والنشاط في التجارة .

وهنا أنقل نماذج من الرسائل القادمة من أماكن مختلفة والتي تبين أن كاتبها يرغب بلهفة إلى الرجوع إلى الكفرة، بعد أن تحررت من ظلم المستبدين . وهذه ترجمة الرسائل المرسلة :

المحترم الفاضل حاكم واحات الكفرة . .

الله يحفظك . .

بعد التحيات أود إعلامكم أن الذين يروجون الاضطرابات دائماً ضدنا إلى درجة أنهم يعتقدون بأننا ملك لهم في كل شيء، يستحوذون على أموالنا وأمتعتنا لأجل ظلمهم وكبريائهم وسيطرتهم على الضعفاء . وقد ثبت عندنا أنهم قرروا الدخول في حرب معكم ونحن بدورنا نخاف بأن يشملنا العقاب الذي سيلحق هؤلاء القوم عندما يتم الاحتلال، وكل واحد يعلم بأننا أبرياء .

وبعد أن تم الاحتلال وطردت قواتكم أعداءنا نحن الضعفاء وساد السلام والاطمئنان، سنرجع إن شاء الله في القريب العاجل إلى الكفرة لنعيش فيها.
ودمتم سيدي ..

محمد الجداني

رسالة أخرى من بشير السويكل يكتب من بحيرة «تشاد» بتاريخ 5 ربيع الأول 1350 إلى أخيه خير الله. هذه ترجمتها:

المحترم أخي وقرة عيني ..

السلام عليكم ورحمة الله ..

إذا سألتكم عن صحتنا فنحن بخير ولكن قلوبنا معكم وليست في أجسادنا.

وبمجرد استلامنا للرسائل التي تبين السلم والطمأنينة والعفو من الله والحكومة وكذلك الضمانات التي صرحتم بها بأنه لا تتخذ أي إجراءات تأديبية ضد الذين هاجروا خوفاً من غزو الحكومة الإيطالية الفاشيستي.

وعلاوة على ذلك فقد ساد الهدوء والسلام على المنطقة. كل الناس صممت على الرجوع إلى الكفرة ما عدا الذين لم توجد لديهم وسائل نقل.

إن الناس الذين تركوا الواحات وفروا منها كان ذلك خوفاً من الثوار من أن يفتكوا بهم ولكن بعدما سمعنا بأن القوات الإيطالية احتلت الواحات وطردت منها السنوسيين فما نحن نعود لنستأنف عملنا في الواحات.

نسأل الله أن يحسن الأحوال.

سلامي إلى كل الأصدقاء، والعائلة.

وهذه رسالة أخرى من أحد المهاجرين في مصر:

الفاضل المحترم حاكم الكفرة ..

بعد تقديم الاحترامات اللائقة بمقام سيادتكم أعرض ما يلي:

أنا الموقع اسمي أدناه عبد الرحمن بو ساسية تاجر بين الكفرة والسودان كما هو ثابت في سجلات الحكومة (بجالو) تركت الكفرة منذ تسعة شهور إلى مصر وقبل ثلاثة أشهر علمت أن الحكومة الإيطالية احتلت واحات الكفرة. فقررت الرجوع إليها، غير أنني علمت أن أسرتي ذهبت إلى السودان خوفاً من الاحتلال وهكذا حكمت علي الظروف بأن أذهب إلى هناك للبحث عن أسرتي عن طريق (الفاشر) بعد أن تحصلت على جواز سفر من القنصلية الإيطالية بالقاهرة وكذلك التأشيرة للمرور من (واداي) من أجل أن أرجع إلى الكفرة مع أسرتي لأواصل حياتي هناك. أرجو سيادتكم أن تسلم ممتلكاتي وأراضي إلى الحراسة إلى حين رجوعي ولا تسلم إلى أحد يستثمرها أي كائن كان. ومن هنا سأبذل كل جهدي لأعجل بالرجوع إلى الكفرة، هذا إذا لم يكن هناك عائق من السلطات الفرنسية.

أنا واثق في أن سيادتكم سيصدر أمره بوضع كل أملاكي تحت حراسته وأني أسمح لأختي (جازية) لتسكن في منزلي.

أسأل الله أن يحفظكم دائماً.

المحب لسيادتكم

عبد الرحمن ساسية

مقاومة الثوار رغم احتلال الكفرة:

إن احتلال الكفرة كان ضربة قوية في كيان السنوسية وكان تشبيطاً لعزم الثوار الذين لا يزالون يقاومون فوق الجبل رغم انتصارات غرازياني في واحات الكفرة.

وقد أراد عمر المختار أن يخفي الواقعة عن المحاربين ويشد من عزيمتهم بأن المدد سيأتي من سيدي المهدي السنوسي المدفون في زاوية التاج، وكانت هذه هي عقيدة العامة. ولكن عمر المختار الذي يعتبر من القادة المشهورين

وفي الوقت نفسه عالم جليل متبحر في الأمور الدينية، ثابت عنده أن المهدي السنوسي مات ودفن من مدة بعيدة. ولكن كقائد يبحث عن شد عزيمة جنوده، والرفع من روحهم المعنوية، يخلق الأشياء التي تؤثر على عقولهم لكي يستمروا في الصمود.

وكانت الصحافة المصرية تهاجمنا باستمرار وبالأخص بعد احتلال الكفرة، فأصبحت مراقبتنا للحدود المصرية قريبة.. ولذلك توقفت حركة تهريب المؤن والأسلحة واللباس وغيرها، الأمر الذي جعل التجارة بدأت في النقصان.. ولذلك كان التأثير سائداً لا على الخاضعين لسلطاتنا فحسب بل على الثوار فوق الجبل الأخضر.

قضية الحدود:

كثيراً ما بينت أثناء محادثات سابقة بخصوص الحدود الشرقية، وكيف برزت وأصبحت مهمة جداً في هذا الظرف بالذات. إن الحالة السياسية في عام 1929م فرضت علينا أن نؤسس نقطة مراقبة وتفتيش في ميناء (برديه) بحيث تمر الحيوانات المصدرة دون أن تدفع ضريبة الجمرك، على أمل أن يخفف هذا العمل حركة التهريب.

وفي الوقت نفسه يمكن للحكومة أن تمنع تصدير الحيوانات من البقر والأغنام إلى مصر عن طريق البر ويستمر التصدير عن طريق البحر فقط.

وعلى أثر هذا أصدرت الأوامر إلى السكان عامة: أي شخص يحاول تصدير الأغنام أو أي شيء آخر عبر الحدود البرية يكون في علمه أنه سيعرض حيواناته وأغنامه إلى المصادرة، دون أن يدفع له أي تعويض بل يعاقب على مخالفة الأوامر.

إن نقل النواجع من محلات إقاماتها الطبيعية إلى مناطق أخرى، أحدثت فراغاً كبيراً في المنطقة. وأصبح الثوار في قلق من حيث التموين والأسلحة

وبالتالي لم يكن هناك بد من ازدياد القوافل التجارية عبر الحدود المصرية .
وحدثت مشكلة قام بها أحد التجار المصريين يدعي منصور في سوق السلوم
فقد أعلن إلى الجمهور أن الأغنام والحيوانات القادمة من برقة كلها معفاة من
الضرائب الجمركية لأنها تحمل تصريحاً من حكومة عمر المختار بينما هي
كانت تابعة للحكومة الإيطالية . وهذا واضح من أن السلطات المصرية متعاونة
مع الثوار إلى أبعد الحدود . رغم احتجاجات نائب القنصل الإيطالي في
السلوم . وقد صممنا على أن نستعمل طريقنا الخصوصية لكي نضع حداً لهذه
الحركة ، وحركة التهريب عبر الحدود المصرية .

وفي يوم 16 أغسطس 1930م دعت السلطات المحلية المسؤولين على
خفر الحدود من أجل توزيع التعليمات اللازمة بهذا الخصوص :

ليس بالشيء الجديد موضوع التهريب في الحالة الراهنة على الحدود
المصرية . وهذا واضح من أن عزل الخاضعين لسلطاتنا ونقلهم من مكان إلى
آخر بحيث تمكنا من إبعادهم عن ميدان التعاون الذي كان قائماً بين الثوار
والخاضعين لسلطاتنا . . والآن يجب علينا جميعاً نظاميين أو غير نظاميين ، أن
نفذ بكل دقة وأمانة كل الأوامر الخاصة بالحدود والتهريب دون تردد . لم يكن
هناك توقف بل الإسراع بقطع كل الوسائل الرامية لترويج التهريب . إن القيادة
العليا أعطت أوامرها في المنشور رقم 15666 بتاريخ 13 أغسطس 1930م
بوضع مراقبة خاصة على الحدود الشرقية أي المصرية والحد من نشاط
التهريب والمهربين . إن متصرف المنطقة له الصلاحية المطلقة وحرية التصرف
في هذا الموضوع . وبما أن هناك بعض الوطنيين الإيطاليين الذين كونوا ثروتهم
بهذه الطرق المعوجة فإنه يؤسفني جداً أن يكون ابن إيطاليا الفاشيستي ضد
مصلحة بلاده في سبيل ثروة غير مشروعة⁽¹⁾ .

(1) حتى الإيطاليين الذين لم يكونوا في يوم من الأيام فاشيستيين على اقتناع تام بأن حكومتهم
ظالمة ومعتدية ولذلك يعرقلون مجرى الحوادث وكم من مناقشات حادة تحصل في مجلس =

لا بد وأن تتخذ الإجراءات الصارمة ضده. ومن المؤلم جداً أن أقول هذا الكلام.. غير أنه واقع لا يمكن السكوت عليه لأنه مخجل أن يكون بعض الوطنيين الإيطاليين يسلكون هذا السلوك المعيب في حق حكومتهم وبلدهم. من أجل أن يتحصلوا على ثروة عن طريق تهريب المؤن والأسلحة إلى الثوار.

أنا متأسف أن أكرر هذا الكلام في حق بعض المواطنين الإيطاليين وأضع يدي على هذه النعمة الحساسة الحزينة التي تجرح كرامة بلدنا وعزة علمنا وتحز في إحساسنا ونفوسنا. ولكن كان من واجبي أن أعري هذه الشرذمة بحيث يطلع عليها أي مواطن في البلاد والخارج ليأخذ عبرة من هذه الأعمال الهدامة التي تبثها السنوسية في طريق تقدمنا حتى وصلت بها الوقاحة بأن تؤثر على قلوب بعض الضعفاء ليستغلوهم في مصالحهم ومصالح الثوار..

إن هؤلاء الضائعين وصلت بهم الخيانة بأن يستغلوا اسمهم بأنهم ممولون للقوات الزاحفة، بينما الأسلحة والذخيرة والمؤن تباع إلى الثوار علناً أمام الخاص والعام تحت ستار مواد للقوات الزاحفة.

عندما استلمت الحكم في برقة كانت الأحوال مضطربة وكان فرسان التجارة والمكاسب الخيالية فرحين بفشل العمليات الحربية لأنها تفتح أمامهم أبواب ربح عظيم يملأون به جيوبهم ويتمتعون على حساب دماء الغير. وكذلك حاجة أخرى خطيرة وهي الغرور، فقد صرحت مراراً وتكراراً على الجرائد المحلية وفي خطاباتي بالمسارح أثناء الاجتماعات وفي عمارة الحزب الفاشيستي وفي كل مكان إن زمان الانتهازية قد ولى وإن تصرفات بعض الإيطاليين الذين أعماهم الغرور وأصبحوا لا يبالون بشيء يجب أن يفهموا بأنني أتيت إلى هنا لتنظيم الجيش من أجل أن أقضي على الثورة والثوار.

= الشيوخ الإيطالي وكم من مرة انتقد رئيس الحكومة الفاشيستي بنيتو موسوليني بسبب هذه الحروب الخاسرة التي كلفت خزينة الدولة مبالغ كثيرة ولم تنته بعد. كل هذا يرجع إلى بطولات وتضحيات الثوار وضغطهم. «المترجم».

إنني متأكد من أن تعاونكم معي كمسؤولين في الدولة يجعلني لا أبالي بما يقوله ذوو الأفكار المغرضة والمريضة الذين لا هم لهم إلا الشتم والانتقاد الهدام، هؤلاء عندي وفي قرارة نفسي لم يكونوا فاشيستين بمعنى الكلمة بل اعتبرهم معاول هدامة تعمل على هدم إنجازات الحزب الفاشيستي وإرجاع بركة إلى الوراء وإبعادها عن الحضارة اللاتينية⁽¹⁾.

ولنرجع إلى قضية الحدود. بدأت أقتنع أن كل الأعمال والاحتياطات التي اتخذتها بأت كلها بالفشل فبدأت تختمر في فكري مسألة الأسلاك الشائكة فهو العمل الجذري الذي يسيطر على الموقف ويبعد الثوار عن الاتصال بالأسواق القائمة من وراء الحدود في الأراضي المصرية. هذه الأسلاك يكون مدها من ميناء بردية إلى ما بعد الجغبوب. ولكن هذا التفكير جعلني أثريث قليلاً وقد كدت أضحك من نفسي وأعدت التفكير في الموضوع مرة أخرى كيف يمكن إنجاز هذا العمل الضخم مد 300 كيلومتر أسلاك شائكة في منطقة صحراوية ليس فيها أي شيء يشير إلى الحياة. . هذا مشروع يتطلب شجاعة وقوة مادية لا يستهان بهما.

درست هذا الموضوع من كافة نواحيه ووضعت في اعتباري انتقادات كل الناس عسكريين ومدنيين على السواء، وقد خاطرت في الوقت نفسه بسمعتي العسكرية الناجحة وبالأخص الحروب الصحراوية الأمر الذي جعلني أكرر الدراسة مرات ومرات. ولكن عقيدتي في نجاح هذا المشروع كانت راسخة وقوية في أثناء دراستي له كانت أفكارى مضطربة من ناحية الثوار وهجوماتهم المتعددة فقد كنت في بعض الأوقات أخاطب نفسي كالمجنون وقد اعتقد

(1) هذا واضح بأن الجنرال غرازياني بدأ يشعر بالخيبة وأنه عاجز أمام قوات الثوار وأن أحلامه التي كان يحلم بها وهي القضاء على الثوار في مدة وجيزة لم تتحقق فصب جام غضبه على أبناء جنسه وهم الإيطاليون واتهمهم بالخيانة والانتهازية وهذه هي هستيريا الحرب فضغط الثوار عليه أفقده صوابه وخرج عن المنطق والمألوف وهي بادرة الجنون. «المترجم».

البعض بآني كنت مجنوناً الأمر الذي جعلني أكرر دراسة القوانين العسكرية وما يحدث لي عندما أفشل في تنفيذ هذا المشروع وما هي العقوبات الحربية التي سأواجهها.

وجعلت أمامي كل الأحوال السوداء ومن بينها الإعدام وهي مسؤوليات يجب أن أتحمّلها لأن الإنسان إذا لم يكن جديراً بتحمل المسؤوليات يصبح تافهاً وأنا من النوع الذي دائماً يكون مقتنعاً بمواجهة المسؤوليات لأن الشخص الذي لا يتحمل المسؤوليات لا يخلق شيئاً ولا يكونه، ووجوده في الميدان غير ذي موضوع وقد كنت دائماً أشعر في قرارة نفسي بآني أعرف كيف أتحمّل المسؤولية.

وعلى هذا قررت أن أتخذ كل الإجراءات اللازمة لتنفيذ مشروع مد الأسلاك الشائكة من ميناء (برديه) إلى (ما بعد الجغبوب) بعد أن درست الاحتمالات وما يطرأ عليها من تغييرات كذلك دراسة الأحوال الآتية:

1 - بالرغم من إبعاد النواجع والسكان الخاضعين لحكمنا.. يستمر (عمر المختار) في المقاومة بشدة ويلاحق قواتنا في كل مكان. وفي ربيع عام 1931 تكونت قوات (عمر المختار) من جديد بعدما قاست الهزائم في عام 1930.

2 - إن السلطات المصرية والإنكليزية من وراء الحدود بان بوضوح عجزها عن مقاومة جماعة التهريب في منطقة الحدود المصرية. الأولى مصر من ناحية الدين لأنها دولة مسلمة فتغض النظر عن الموضوع وتسهل الحركة وتعتبرها تجارة حرة. وكذلك باعتبار أن «الثوار» فوق الجبل مجاهدين فواجب كل مسلم أن يمد يد المساعدة لهؤلاء لأنهم يحاربون في سبيل الدين الإسلامي.

أما الثانية فإن إنكلترا تصرح علناً بأنها لا تتدخل في هذا الموضوع حيث أنها صديقة لمصر وللعرب جميعاً لا تريد أن تغضبهم وترضيها. الاثنان

بموقفهم هذا كأن الأمر لا يعنيهم وما هو إلا من صميم مسؤولياتنا . .
ويتعللون بقولهم: نحن لا نستطيع عمل أي شيء بخصوص توقيف التهريب
ولا منع دخول الناس إلى مصر والخروج منها. الأمر يهمكم أنتم وحدكم أما
نحن فلا علاقة لنا بالموضوع. هذا غير صحيح، لو أردت أن أتصرف كما
حصل منذ ألفي سنة من عهد الرومان أجدادنا القدامى وهي احتلال السلوم
وواحة سيوة ثم إعلام مجلس الشيوخ بالواقعة. ولكن حكومة إيطاليا
الفاشستية وأنا لا نريد فتح جبهة أخرى وفي الوقت نفسه لا نريد أن ندخل في
معارك طاحنة مع مصر وخلق مشكلة سياسية ودولية، وبالعكس قد تكون في
صالح الثوار. وفي منشور التعليمات السابق قلت: لو أن (عمر المختار) أسس
القواعد خلف جبهاته لكننا تغلبنا عليها بسهولة حيث قطعنا عليه كل الوسائل
وعزلناه عن كل الموارد وقد كانت كلها في صالحنا.

ولكنني ارتكبت خطأ في اعتقادي في ذلك الوقت لأن القواعد كانت
موجودة ولكنها في أرض أجنبية لن نستطيع الوصول إليها أو الاعتداء عليها
لأنها في حصن حصين حيث لا يمكننا أن نوجد مشكلة أو عداء مع دولة
مجاورة (يعني مصر).

من أجل استمرارية المعارك ينقصنا عامل مهم هو أن نضرب العدو (يعني
الثوار) في القلب . . إن الرئيس العجوز (يعني عمر المختار) اعتقد بأن مشكلته
قد حلت على دقة تجهيزاتنا الحربية، فبعد أن اطمأن على خطوط تموينه
البعيدة أصدر أمره إلى قواته الموزعة في كل مكان ألا تزحف بعد الآن الليبيين
الخاضعين لسلطاتنا حتى لا يكونوا سلاحاً آخر ضده وألا يغضبوا من حركته
وهكذا يصبح أمام ضميره بأنه مسلم حقيقي ونظيف.

ولكن مرة أخرى وقع في الأخطاء. إن مد الأسلاك الشائكة المكهربة على
حدود مصر كادت أن تنتهي وستضيق الخناق عليه تدريجياً حتى يقع في الفخ
الذي سننصبه له.

3 - إن مصر هي المأوى الأمين لعدد كبير من الآلاف المؤلفة من البرقاويين الذين يتمنون إلى القبائل الهامة التي لها إمكانياتها البشرية والمادية وكذلك لها التأثير الكبير على كثير من النفوس التي يسهل تجنيدها وتوجيهها نحو القتال مقتنعين بأنهم يدافعون عن الدين الإسلامي وعن كيانهم معتبرين أننا (يعني الإيطاليين) مغتصبين ومعتدين على حقوقهم... هؤلاء الخارجون عن القانون (يعني الثوار) ومن بينهم أعداؤنا (يعني الإيطاليين أعداء الحزب الفاشيستي) يكونون المخازن الثانية لمد وتمويل الثوار بالأسلحة والمؤن والرجال لكل (الأدوار) رغم كل الاحتياطات التي اتخذتها سلطاتنا الحاكمة زد على ذلك الأموال التي تجمع من لجان التبرعات من الأقطار العربية لمساعدة الثوار القائمين بالحرب المقدسة فوق الجبل الأخضر في برقة.

وبكلمة واحدة حتى بعد أن اتخذنا كل الاحتياطات ضد الخاضعين لسلطاتنا وإبعادهم عن المنطقة واحتلال الكفرة وغيرها من المراكز الهامة ورغم هذا كله فالثوار لا يزالون أقوياء يهاجموننا في كل مكان⁽¹⁾.

القرار النهائي:

كرجل حربي من عادتي دائماً أن أترك أثراً محموداً لتصرفاتي في المجال العملي ليقال عني بأني أتصرف بحكمة في أعمال العامة ومتابعتي لهذه العادات.

وكنت قبل أن أترك بنغازي بالطائرة من أجل العمليات الحربية الخاصة باحتلال الكفرة أعطيت التعليمات التالية إلى قيادة الجيش العامة:

(1) هذا إنصاف وأيما إنصاف ففي الحلقات السابقة بينت كافة الاستعدادات التي قامت بها السلطات الإيطالية من أجل احتلال الكفرة ورغم هذه الاستعدادات فما هو الجنرال غرازياني يعترف بقوة الثوار وبوجودهم وأنهم ما زالوا أقوياء يحملون السلاح في وجوههم. «المترجم».

- من الضروري أن قضية الحدود أصبحت مهمة جداً وأخذت مكانها في كثير من المناقشات العالية لأنها تعني قطع الصلة التامة بين السكان المحليين الخاضعين لسلطاتنا ومراكز الثوار لأننا اليوم وصلنا في الضغط عليها إلى درجة الانتهاء منها قريباً. وأنا لم أتردد في القول بصراحة إن استمرار الثوار في المقاومة يرجع إلى الإمدادات والمساعدات التي تقدمها مصر وتقوم في الوقت نفسه بحمايتها⁽¹⁾.

لهذا لا بد لنا من وجود طريقة لحل هذه المشكلة سواء إن كانت داخلية أو سياسية خارجية وأنا أعتقد أن الحل السليم لهذه المعضلة هو إنشاء خط من الأسلاك الشائكة على طول الحدود المصرية من البحر أي من بردية إلى ما بعد واحة الجغبوب ويكون طول هذا الخط ما يزيد عن 300 كيلومتر. وثابت ومتين بحيث لا يمكن لأي أحد أن يقترب منه ومضاعفة قوات المراقبة على طول هذه المسافة من بردية إلى الجغبوب ثم باحتلال (بئر الطرفاوي) ومراقبة طرق (جالو - سيوة وسيوة - الجبل) بهذا العمل يتم الحصار الكلي ويصبح القضاء على الثوار محققاً. وقد أعطيت التعليمات إلى جهات الاختصاص أن تدرس موضوع هذا الخط أثناء غيابي في عمليات احتلال الكفرة.

وفي يوم 11 يناير 1931 سافرت إلى بئر الزيفن. ومن هناك في يوم 25 يناير 1931 عند رجوعي من الحملة، عرضت الموضوع على «الفريق بادوليو»

(1) لقد سبق وأن كتب الكثيرون من الذين في قلوبهم مرض بأن الليبيين كافحوا الاستعمار وحدهم دون أن يتلقوا أية مساعدة من أحد وبالأخص من الأشقاء العرب وهذا افتراء على الحقيقة والتاريخ وهذا العدو الجنرال غرازياني يعترف أن مساعدة مصر للثوار حقيقة واقعة أجبرته على أن يأخذ الاحتياطات اللازمة في مراقبة الحدود الشرقية أي المصرية فمصر هي التي آوت السنوسيين بصورة خاصة والليبيين بصورة عامة إلى حين هذا التاريخ وكذلك سوريا وتونس وتركيا كل هذه الأقطار ساعدت الليبيين أبان جهادهم وحمتهم وأمدتهم بكل وسائل الدفاع والمؤن وما مساعدة مصر وتركيا للمجاهد أحمد الشريف وإيوانه أبناءه وكل الليبيين إلا مظهر من مظاهر الأمانة والأخوة الصادقة وفي الحرب العالمية الثانية كم من أسر وعائلات الشجأت إلى مصر فارة من العدو الغاصب فوجدت المأوى والعمل. «المترجم».

وكنيت أخشى أن تؤخذ عني فكرة سيئة من أجل موضوع خط الأسلاك الشائكة. وقد لآزمني الخوف بأن تكون الفكرة موضع هزء ولكن (الفريق بادوليو) استمع إلي دون أن يبدي أي رأي بل قال لي:

شيء معقول سأتكلم عنه في (روما) وفعلاً بعد أيام قلائل دعيت إلى (روما) لحضور الاجتماع برئاسة سعادة (دي بونو) وحضور الفريق (بادوليو) وسعادة (قواريليا) عن وزارة الخارجية الإيطالية ونوقش موضوع خط الأسلاك الشائكة على الحدود المصرية، وانتهت الجلسة بالموافقة على المشروع والابتداء فيه فوراً وفتح اعتماده على وجه السرعة. وما أن شاع الخبر حتى بدأت الانتقادات والتعليقات المغرضة على فشل هذه الخطة، ولكن لم نهتم لهذه الأبواق بل بأشربنا العمل ونحن مطمئنون لنجاح الفكرة. ولكن الأيام أثبتت لنا فعالية هذا الخط الذي كان السبب الأول في انهيار الثوار أمام هذا العمل الفذ وأصبحت الثورة منتهية في القطر البرقاوي.

وأحب أن أحدد لكم قصة الثمن:

من البحر إلى ما بعد واحة الجغبوب المسافة تزيد عن 300 كيلومتر ولذا يجب أن تكون هناك مراقبة شديدة ومستمرة بحيث لا يمكن أن يمر من الحدود لا رجل ولا جمل ولا حتى نعجة إلا من أمام مراقبتنا وسهرنا على هذه الحدود. ومن أجل أن نصل إلى تنفيذ خططنا يجب أن نأخذ أحد الاقتراحين الآتين اللذين لا ثالث لهما:

أما أن نوجد على طول الخط قوة متحركة لكي تقوم بمراقبة هذه الحدود، أو قفل الحدود كلية بحيث يمكننا التحرك بقوة أقل وكذلك بأقل تكاليف.

ولذلك يفضل الاقتراح الثاني لأنه يحل المشكلة جذرياً وكذلك اقتصادياً في كل المجالات.

وبما أن القوات الموجودة في منطقة البطنان قليلة وضعيفة لا يمكنها أن

تقوم بحراسة المنطقة والحدود معاً، وكذلك القوات الأخرى موزعة في الجبل وجنوب بنغازي وفي منطقة سرت لا يمكن نقل أي جندي من هذه المناطق هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لو أردنا حراسة الحدود بجنود نحتاج لكل عشرين كيلومتراً كتيبة من الجنود. . وأخذنا الموضوع بعين الجدد وقد نحتاج لتجنيد «15» خمس عشرة كتيبة من الجنود وهذا يكلف الدولة ما لا يقل عن خمسين أو ستين مليوناً من الفرنكات في السنة بينما خط الأسلاك الشائكة كلف الدولة عشرين مليوناً كان وسيظل عملاً ثابتاً ومفيداً واقتصادياً ومن نتائجه:

- 1 - أنه قضى على الثوار.
 - 2 - قضى على التهريب وأصبح دخلنا في ازدياد من ناحية الضرائب الجمركية على البضائع الواردة من مصر لأن التهريب أصبح خطره ألف بالمائة ولذلك يعتبر الآن منتهياً.
 - 3 - قضى على حركة الإمدادات التي كانت تأتي للثوار من مصر عن طريق المهاجرين البرقاويين الذين أصبح موقفهم حرجاً بالنسبة للسلطات هناك في مصر.
- وفي شهر أكتوبر 1931 قام رئيس الوزراء المصري صدقي باشا ورفقته وزير الحربية وبعض الشخصيات العسكرية والمدنية بزيارة إلى الحدود من «سيوة» حتى «السلوم» وكان أثناء مروره على طول الحدود يلاقي التحيات والاحترامات من قواتنا العسكرية المرابطة على الحدود المصرية. إن هذا العمل قد أبهر الرئيس المصري الأمر الذي جعل ممثلنا السياسي في القاهرة يطلب المساعدة من السلطات المصرية بحيث تعمل على إبعاد الخارجين على القانون من منطقة الحدود إلى داخل الأراضي المصرية أو إخراجهم منها بخيامهم ومواشيهم، وكذلك احترام الاتفاقية المبرمة في سنة 1925م بخصوص الحدود الشرقية واحتلال الجغبوب التي لم تقم الحكومة المصرية بتنفيذها وإن مجلس النواب المصري لم ينظر فيها في سنة 1932م.

وزيادة على ذلك بتاريخ 24 ديسمبر 1930م قام سعادة «كانتلوبو» بنشاط ملحوظ في تثبيت حقوقنا في المستعمرات وعرضها على الأوساط السياسية في العالم لتوضيح موقفنا ومعاملة أعدائنا بالنسبة لنا لأنهم دائماً ضدنا. رغم أن الحكومة المصرية أذرت محمد إدريس السنوسي أن يترك نشاطاته ومساعداته للاجئين والخارجين عن القانون وإذا خالف هذه الأوامر ولم يطعها سوف تضطر السلطات المصرية لتحديد إقامته ووضعها تحت الحراسة الدائمة أو إخراجه من الأراضي المصرية. كذلك حصل الاتفاق بين رئيس مجلس الوزراء المصري وسفارتنا في القاهرة أسفرت عن اتفاق نائب القنصل في السلوم مع السلطات المحلية على النقاط التالية:

- 1 - إبعاد الثوار إجبارياً الذين دخلوا مصر حتى الآن وكذلك الذين يدخلون فيما بعد.
- 2 - إبعاد الخارجين عن القانون من منطقة السلوم لأنهم يستقبلون الثوار ويتعاونون معهم.
- 3 - مراقبة خاصة على قبيلة السنينات ومراقبة أكثر على رئيسها «محمود السيني».
- 4 - تكوين مركز حراسة بمخيمات «أولاد علي» على طول خط الحدود المصرية بحيث تتمكن من مفاجأة القادمين من برقة. كل هذه الاحتياطات لا تكفي فقد اتخذنا طريقة استعمال الكلاب المدربة على طول الحدود لترشدنا إلى أماكن الثوار⁽¹⁾.

(1) هذه دلالة واضحة على أن قوة الثوار عظيمة جعلت المستعمر يستعمل كل ما يملك من قوات وأسلحة حديثة واستعدادات تكاد تكون مجهزة لحرب جيوش منتظمة لها كل الإمكانيات ولكن غاب عنهم أن الثوار قوتهم وسلاحهم الإيمان بالله وبقضيتهم العادلة ألا وهي القضية الوطنية وعلاوة على كل شيء جندوا حتى الكلاب. الله أكبر والعزة للعرب. «المترجم».

بهذه الوسائل مجتمعة نستطيع أن نقضي على الثوار أينما وجدوا. إن مد الأسلاك الشائكة على طول حدود مصر هو عمل لم يسبق لأي أحد أن قام بهذا المشروع في مدة قصيرة مثلما قامت به قواتنا رغم بعد المسافات ورداءة مسالك المنطقة. لأنها رملية وصحراوية لا ماء فيها ولا شجر. هذه الطريقة هي التي كانت السبب في القبض على عمر المختار لأنها قطعت الاتصالات البرية بينه وبين مخازن تموينه في مصر، فأصبح معرضاً هو وأتباعه إلى خطر الموت جوعاً لأنهم لم يجدوا ما ينهبونه من المدن والقرى فبدأ يشن هجماته على مناطق الآمين في الجبل لكي يتحصل على ما يقتات به هو وأتباعه من الثوار ومن أجل هذا وقع عمر المختار في الشباك التي نصبناها له على أيدي قواتنا المتحركة.

وعلى أثر هذه الحوادث تحرك «العقيد ناسي أو نازي» الحاكم العسكري فقد عين ووصل إلى المستعمرة أي إلى برقة في شهر فبراير 1931م. في الحقيقة هذا العقيد يعتبر المعلم الأول في الفنون العسكرية بالمستعمرات، كالمولد للطاقة الحربية. متقد نشيط حازم كان من المتعاونين معي إلى أبعد الحدود. محب وفي ومخلص في أعماله، إليه يرجع الفضل في تنظيم التحركات والإشراف التام على مد خط الأسلاك الشائكة على طول الحدود المصرية. . وكذلك التنظيمات الإدارية للمراكز الهامة بمنطقة الكفرة وواحاتها.

استحكامات تفوق خط ماجينو لاحتلال الكفرة:

ورغم ما صادفنا من صعوبات وعراقيل طبيعية وغير طبيعية ومن كل نوع عرفنا كيف نتغلب عليها.

بدأ خط الأسلاك الشائكة من «آبار الرملة» في «خليج السلوم» متمثلاً في شريط عريض مترام على طول الحدود ماراً بمرتفعات ومنخفضات منطقة البطنان إلى ما بعد الجغبوب حتى المرتفعات الكبيرة التي تحد بشمال الصحراء الكبرى. هذا الحاجز الذي يمتد طوله أكثر من 270 كيلومتراً وله ثلاثة مراكز حراسية وهي:

«أمساعد - الشقة، الجغبوب» وستة مخافر إضافية وهي :

«الرملة - سيدي عمر - قرن القرين - العمارة» وحماية ثلاثة مطارات للإقلاع والهبوط وهي :

«أمساعد - الشقة - الجغبوب» وقاعدة تسع أربع طائرات وأخيراً تمم هذا المشروع الضخم بمد خط هاتفي ليكون الاتصال سهلاً.

كل هذه الأعمال الكبيرة والصعوبات التي تعرض لها هذا العمل أثناء التنفيذ والشركة التي قامت بتنفيذه هي شركة «السيشلب» (يعني اسم الشركة مختصر وهي الشركة الإيطالية المعمارية للبناء والأشغال العامة) فكانت في مستوى المسؤولية حيث أنجزت هذا العمل الضخم في أسرع وقت يكاد لا يصدق، فتحية وتقديراً لاجتهادها. ولكي نبين لماذا استحققت هذه الشركة تقدير المسؤولين في هذا المجهود العظيم وحتى لا ننسى يجب علينا أن نعرف أن المنطقة الموجودة ما بين ميناء «بردية» و«الجغبوب» منطقة جرداء لا تنتج أي شيء حتى الماء معدوم فيها.

لهذا كان من المتعب حقاً إيجاد المياه للشرب إلى العمال والقوات المرافقة لحماية العمال وكذلك الأعمال وما تحتاج إليه من كميات كبيرة من المياه من أجل تثبيت أعمدة الأسلاك الشائكة.

وعلى هذا الأساس كان لزاماً علينا أن نقسم الأشياء من مواد بناء وأعمدة من حديد ومياه ومؤن وخيام ودواب على أبعاد متقاربة، بحيث يمكن إنجاز العمل بسرعة. . كذلك تنظيم وتدريب وتوجيه 2500 رجل محلي من أجل الحصول على إنتاج أكثر. تأسيس مجتمعات عمالية من أجل إنجاز العمل بسرعة على جبهة 270 كيلومتراً. وكذلك توفير قوة مسلحة وكافية لحماية هؤلاء العمال. استمرار مطاردة الثوار «يعني المجاهدين» وبالأخص الذين يرافقون قوافل التهريب ويسعون بقدر إمكانهم المرور من الحدود مهما كان الثمن.

الأرقام تتكلم:

وأريد أن أسجل هنا أنه رغم الموسم الحار في المنطقة الذي يبقى في كثير من الأحيان ثابتاً من 37 - 38 درجة مئوية في الظل فإن الأعمال سارت كما يجب وعلى الوجه الأكمل وأن المشروع نفذ طبقاً لمواصفاته الفنية والأرقام التالية تبين تماماً المجهود الكبير الذي بذلته الهيئة الفنية.

إسمنت : 18225,00 قنطاراً.

مطارق حديد : 20070,00 قنطاراً يتألف من 269628000 قضيب .

أسلاك شائكة : 32400,00 قنطار (263,343,000) متر .

مياه لعجن مواد البناء : 18,225,00 قنطاراً.

لو أخذنا بعين الاعتبار كل الأرقام التي مرت بنا منذ فترة وجيزة لاقتنعنا بأن كل هذه المصروفات الضخمة من أجل القضاء على الثوار ولفكرنا مائة ألف مرة قبل أن نقدم عليها . ولكن الظروف أجبرتنا أن نتحمل كل هذه المصائب والصعاب . لأننا لو قارنا المصروفات والمواد التي خصصت لهذا المشروع لخرجنا بالنتيجة التالية :

1 - «27,000,00» سبعة وعشرون ألف قنطار من الإسمنت يمكن بها إنشاء جسر عرضه متر وسمكه عشرة سنتيمترات وطوله 66,666 كيلومتراً يربط إيطاليا وألبانيا وهو ما يعادل عرض قنال «أترانتو» الذي يفصل ألبانيا عن إيطاليا وكذلك «21,666,55» قنطاراً من الحديد يمكن صنع جنزير قطره «2» سم وطوله «888» كيلومتراً يمكن ربط «سيراكوزة» بمدينة «بنغازي» أما طول الأسلاك الشائكة فهي :

«34,986,50» قنطاراً و«49980,928» متراً طول السلك أي ما يعادل ربع طول محيط خط الاستواء أما نقل هذه المواد بالسيارات فقدرت المسافة التي قطعت ذهاباً وإياباً بـ«29,160,000» كيلومتر أي بمسافة 73 دورة حول خط الاستواء . . أما القيمة النقدية فهي :

«17,737,173,80» سبعة عشر مليوناً وسبعمائة وسبعة وثلاثون ألفاً ومائة وثلاثة وسبعون فرنكاً وثمانون سنتيماً. ومع هذا كله قام بهذا المشروع «2500» عامل فني وعادي «1200» رجل مسلح للحماية و«200» مركبة آلية و«18» باخرة تفرغ حمولتها في ميناء «بردية» و29 مليون قنطار وكيلومتر نقلت ووزعت. . «6» ستة أشهر من عمل متواصل تحت شمس محرقة تبلغ أحياناً درجة حرارتها «40» درجة مئوية فوق الصفر.

هذا وكل من ساهم بالعمل في هذا المشروع أو المعركة استحق التقدير «إلى الرياسات وخدمات الأشغال العامة الذين أشرفوا على الأعمال وخدمات السيارات العسكرية وأعمال قوة الشرطة الملكية في رقابتها على الأعمال والنقل. إلى هؤلاء كل تقديري وإعجابي»⁽¹⁾.

نشاط قواتنا فوق الجبل وجنوب بنغازي وفي سرت:

بينما العمل يجري في مد خط الأسلاك الشائكة على الحدود المصرية هناك في جنوب بنغازي ومنطقة سرت الحرب قائمة ومستمرة دون هوادة.

فوق الجبل:

إن مطاردة تشكيلات الثوار الذين اعتقدوا في أنفسهم أنهم بالنسبة لنا موضع قلق وتفكير، عندما كنا نجهز القوات لاحتلال الكفرة الأمر الذي لم يصدقه عمر المختار الذي ما زال يواصل تجمعات الأدوار «يعني تجمعات المجاهدين».

(1) إن الأرقام والأعمال التي ذكرت في الفقرات السابقة تعد اعترافاً صريحاً من القيادة العليا بقوة المجاهدين وصبرهم على المكاره فالمقارنات التي كتبها الجنرال أو القائد غرازياني تبين مدى ضغط المجاهدين في المجال الحربي. إن مشروع مد الأسلاك الشائكة المكهربة على طول الحدود المصرية تدل على أنه كان هناك تعاون بين المجاهدين والمصريين وهذا يكذب من كان يقول بأن الليبيين يعملون ويحاربون بعفدهم فهذا هراء فالمجاهدون دائماً وجدوا المأوى والحماية في كل البلاد العربية في مصر، في سوريا، في تونس، في الجزائر، في السودان وفي كل مكان. «المترجم».

ومن مدة شهرين ركزت الحركة الحربية ، وساد الهدوء في المنطقة حتى كاد المرء يعتقد أن الجبل أصبح خالياً من الثوار، وكذلك إشاعات كثيرة بأن الثوار نزحوا إلى مصر.

وفي هذه الأثناء وفي آخر فبراير بالذات مجموعة من الثوار تتكون من 250 رجلاً مسلحاً خرجوا فجأة من الأماكن القريبة من (سوسة) واستحوذوا على عدد من الحيوانات التابعة لقبيلة (الحاسة) حيث نقلوها إلى منطقة الجبل حتى لا يتمكن من البحث عنها.

غير أن الذي يجب توضيحه هو أن غارة الثوار على حيوانات الحاسة يرجع إلى حساسيات سابقة بين عمر المختار والحاسة . لأنهم في شهر يوليو من العام الماضي ساعدوا على تفكيك دور البراعصة وساهموا في قتل (الفضيل أبو عمر) مستشار عمر المختار.

وقد تطوع الكثير من الحاسة سكان المنطقة مع مجموعة من الشرطة الملكية وبعض الجنود المحليين غير النظاميين لاسترجاع المواشي التي استحوذ عليها الثوار. وبعد مطاردة دامت اثنتي عشرة ساعة استطاع الثوار الإفلات من المطاردة حيث تفرقوا في الأودية والغابات، ورجع المطاردون ببعض المواشي التي تخلفت أثناء المطاردة. . وعلى أثر هذه الحركة قامت قواتنا المتحركة في يوم 30 مارس 1931م باستطلاع في وادي (الرملة) حيث اصطدمت قواتنا بالثوار في معركة دامية انتهت بانسحاب الثوار بعد أن تركوا على أرض المعركة بعضاً من القتلى والجرحى. ومن هذا اتضح أن قواتنا فوق الجبل أصبحت في مكانة مرموقة أكثر متانة مما كانت عليه في الماضي. . وقد استعملت قواتنا كل الوسائل واستعانت ببعض المخبرين المحليين من أجل تحديد مواقع المجاهدين، حتى تتمكن قواتنا من توجيه ضرباتها إلى الثوار في عقر مخابثهم. وهكذا بدأت الأخبار تأتي إلى القيادة على تحركات الثوار ومواقعهم أولاً بأول. وكذلك اشتراك طائرات الاستكشاف في تحديد تجمعات الثوار ومواقعهم.

وهكذا بدأت قواتنا فوق الجبل تنصب دائرة بعيدة عن مواقع الثوار، وكلما خرجت مجموعة منهم بدأت قواتنا تضيق دائرتها حتى تصل إلى كبس العدو «يعني الثوار» في مخابته.

وفي هذه المرحلة الأخيرة نشطت القوات الجوية في غاراتها على تجمعات الثوار وإلقاء القنابل على مخيماتهم ومواشيهم والمقاتلات برشاشاتها تجندل الثوار وتجمعاتهم... وبهذه الهجمات تضيق الخناق على (دور المجاهدين) داخل الدائرة الحديدية التي نصبناها «لعمر المختار» وأتباعه... وهكذا شعر العدو (يعني المجاهدين) بضغط قواتنا على المنطقة فبدأ يبحث عن الخروج من النطاق المضروب حوله لأننا قسمنا (3400) جندي مسلح في دائرة حول مكان معسكر الثوار.

وبهذا شعر العدو (يعني الثوار) بأن المعركة ليست في صالحه بعد أن حاول بكل الطرق أن يتخلص من الطوق المحاط به فبدأ يهاجم في كل مكان ولكنه دائماً يرد على أعقابيه متكبداً خسائر فادحة.

الحرب في جنوب بنغازي:

إن نقل سكان الجبل إلى مناطق أخرى على الساحل وبالذات في المثلث «درياته - الأبيار - القوارشة» وفي جنوب بنغازي حيث نقلت في هذه الفترة أكثر من عشرة آلاف من القبائل عواكير - عبيد - أعرفه - براعصة ودرسة وبعض القبائل الأخرى. ومن البديهي أن تنقل مجموعة كبيرة من الناس من أماكن إقامتهم إلى أماكن أخرى حيث تنقطع كل العلاقات مع الثوار ولكن كانت النتيجة عكس ما كنا ننتظر فتجددت علاقات أخرى جديدة وبواسطتها كانت الاتصالات مستمرة مع الثوار وهذا مثل ما حدث عندما نقلنا سكان (البطنان) إلى منطقة (سرت) مرة بمنطقة الجبل، كان عمر المختار يحاول أن يخلص هؤلاء المنقولين ولكن قواتنا المرافقة تصدت له وأفسدت خطته لأنه هاجمنا في منطقة بئر بواصفية عندما كانت مرة قافلة المنقولين من هناك.

ولكن قواتنا أجبرته على الانسحاب إلى منطقة خولان ولكن هناك مجموعات صغيرة ومتحركة باستمرار بحيث لم يتمكن من العثور عليها وهذه المجموعات الصغيرة أوجدت ارتباكات في خططنا لأنها تغير على المواشي من الغنم والإبل وتتجه بها نحو الجبل لتزويد الثوار بما يلزم من عتاد ومؤن بعد بيع هذه المواشي في القطر المصري . هذه المواشي والمؤن لها مصدران أساسيان :

أولهما : الأعشار والزكاة أحياناً تكون عينية وأحياناً تكون نقدية .

ثانيهما : غارات المجموعات الصغيرة على أموال الذين امتنعوا عن دفع الأعشار والزكاة . . . خلاف الرسائل التي يرسلها عمر المختار إلى الذين لم يدفعوا الزكاة مهدداً إياهم بالغزو على أموالهم وهذه الأعمال مفروضة بنص القرآن كما يقولون .

وإن القاعدة التي تنطلق منها هذه المجموعات الصغيرة هي «دور» عمر المختار فوق الجبل فتعسكر فوق السفح الأول للجبل ثم تنطلق من هناك في كل الاتجاهات بحيث يصعب علينا الاحتكاك بها ونكون ملزمين بتقسيم قواتنا إلى مجموعات صغيرة مثل الثوار وهذا لا يمكن أن ينطبق على القواعد العسكرية وبالتالي يستحيل علينا أن نعمل مثلهم .

وفي أوائل أبريل 1930 حصلت بعض الغارات على مناطق متعددة منها منطقة العوينات ومن منطقة «القوارشة» بقرب بنغازي و«سلوق» وفي كل منطقة من هذه المناطق يستحوذ العدو على بعض المواشي من الإبل والأغنام ويذهب بها إلى الجبل حيث تنقل من هناك إلى مصر عن طريق البطنان وكان عددها يزيد عن المائتين من الإبل وثلاثمائة رأس من الغنم . وفي يوم 1 سبتمبر 1930م اصطدمت قواتنا المرابطة «بالرجمة» مع الثوار في منطقة سيدي منصور لاسترداد الأغنام التي أخذت من منطقة سيدي خليفة قرب مدينة بنغازي وكان عدد الأغنام 270 رأساً وبعد معركة دامية استطعنا أن نسترد البعض منها أما الباقية فحملها الثوار إلى الجبل .

الحركات الحربية في منطقة سرت:

وكما ذكرت أن عمر المختار يسعى بكل الوسائل للحصول على المال والعتاد والمؤن لتمويل جنوده وأهاليهم، حتى يستطيع مواصلة القتال. وهذا لا يتحقق إلا إذا حصل على المواشي وإرسالها إلى مصر لبيعها هناك وبأثمانها يتزود بالمؤن والسلاح ومن أجل هذا أسس مجموعات الصغيرة لتغير على المدن والقرى وتستحوذ على الإبل والأغنام. وبما أنه أي «عمر المختار» فشل في الحصول على رغبته سواء في منطقة قبيلة الحاسنة التي دافعت دفاعاً مستميتاً عن حيواناتها وكذلك رقابتنا الشديدة في المنطقة أم في جنوب بنغازي فلم يتحصل إلا على القليل من الحيوانات فالأكثرية منها تسترد بعد قتال عنيف دفع الثوار فيه الثمن غالياً.

فقد غير من وضعه واتجه نحو منطقة سرت البعيدة وهناك استطاع أن يتحصل على متطلباته في أول الوقت من عدة مناطق أهمها «أجدابية» استحوذ الغزاة على 200 رأس من الغنم ومن «الزويتينة» على عدد من الإبل وبعد معركة دامية بين قواتنا المرابطة في «أجدابية» بمنطقة «انتلات» استطاعت قواتنا استرداد البعض منها. وقد وصلت الأخبار بأن هناك قافلة كبيرة من الإبل والأغنام مرسلة إلى مصر للاتجار فأرسل الحاكم العسكري لمنطقة «أجدابية» مجموعة من الجنود مع قسم من المدرعات للحصول على هذه القافلة ومنعها من الوصول إلى القطر المصري وبعد مسيرة طويلة التقت قواتنا بالقافلة وبعد قتال دام نهراً كاملاً رجعت قواتنا إلى مراكزها بعد أن كبدت العدو «يعني الثوار» خسائر كبيرة واستطاعت أن تستولي على بعض المواشي والأسلحة بعد هذه الأعمال مرت فترة هدوء طويلة ولكن في يوم 10 يوليو 1930 ظهر الثوار من جديد في منطقة «سيدي الصباحي» واستولوا على قافلة تجارية خارجة من أجدابية ومتجهة إلى جالو وقد قامت قواتنا بمطاردتها ولحقت بها في منطقة «العسيل» شمال شرقي جالو وقامت معركة دامية بين الثوار وجنودنا رجعوا بعدها إلى مراكزهم مكبدين العدو خسائر في المعدات والأرواح وقد استردوا بعضاً من جمال القافلة.

وفي يوم 6 أكتوبر 1930م مجموعة من الثوار قاموا بالاستيلاء على قافلة تحمل التمر من أوجلة إلى أجداية تتكون من 22 جملاً وقد طاردتهم مركباتنا الآلية فترك الثوار التمر وأخذوا الإبل ولم تستطع قواتنا الوصول إليهم لأنهم اجتازوا سفح الجبل واتجهوا نحو معسكر الثوار بين الجبال والغابات.

وفي يوم 13 أكتوبر التحمت دورياتنا الصحراوية مع مجموعة من الثوار يبلغ عددهم 50 مقاتلاً وبعد معركة حامية استطاعت قواتنا أن تطردهم إلى مسافة بعيدة. وفي يوم 30 أكتوبر 1930م قامت مجموعة صغيرة من الثوار بالاستيلاء على 820 رأساً من الغنم و14 رأساً من البقر وقد طاردتها قواتنا غير النظامية واستردت بعد قتال عنيف البعض من المواشي وكبدت العدو «يعني الثوار» خسائر فادحة وقد تركوا على أرض المعركة عدداً من القتلى وبعضاً من الأسلحة والمواد الثقيلة.

احتلال جبهة وادي المراه:

مرت المفاجأة التي أحدثتها الحركة المستمرة على الحدود المصرية من أجل مد خط الأسلاك الشائكة حركة دائبة من وسائل نقل وعمال ومراكز تتقارب من بعضها، وحراس مسلحون هنا وهناك لحماية العمل والعمال. الأمر الذي أذهل الثوار وأضاع أملهم في السير إلى الأمام والحد من هذا العمل الكبير الذي أصبح سداً منيعاً بينهم وبين مصر مركز الإشعاع والأمم الرؤوم كما يقولون.

ونحن بدورنا علينا أن ننظم أعمالنا ونجعل الاتصال بين المركز والمركز مترابطاً على طول الحدود حتى لا نترك للعدو أي ثغرة يمكن المرور منها. ولكي نصل إلى أهدافنا علينا أن نقوي جبهتي «الجغبوب وجالو» بحيث يمكن لقواتنا في الجبل أن تتحرك بكل اطمئنان على نطاق أوسع حتى ولو أدى أن تأتي من جنوب الجغبوب.

وهكذا كان من الضروري أن تستولي قواتنا على «وادي المراه» وباحتلال

«وادي المراه» أصبح من السهل الإشراف على الأماكن الخمسة في الشمال «زاوية مسوس - الميللي - طريق أنوربة» وغرباً الطريق الموصلة إلى «ساونو» و«وادي القطارة» وشرقاً طريق القوافل «بئر الغبي» و«الجغبوب» وجنوباً الطريق الموصل «جالو - الجغبوب».

إن منطقة «وادي المراه» تعتبر المتوسط من ناحية الجنوب بين «البطنان» المسمى «بطريق العبد» و«بئر تنجيدر» حيث توجد هناك طرق تحاذيها ارتفاعات على يمينها وعلى يسارها ومن أهم منطقة «وادي المراه» المراعي الخصبة وبه تتجمع مياه المرتفعات عند هطول الأمطار فهو المورد الوحيد في تلك المنطقة لمياه الشرب فالسكان يتزودون بهذه المياه لهم ولمواشيهم أثناء فصل الربيع وبعده وكذلك كان «وادي المراه» هو الطريق المفضل للقوافل التي تمر قادمة من الجبل الأخضر ببرقة إلى منطقة مصر الوسطى وبالعكس.

وقديماً أن التهريب إلى الجبل يبدأ من «سيوة» ماراً بمر صعب المسلك بين المرتفعات ويخط متواز من «سيوة» يقع رأساً على «وادي المراه» حيث الماء والمرعى والاستراحة. ثم «بئر تنجيدر» و«بئر غانيه» وبعده يبدأ طريق الجبل الأخضر ببرقة.

هذه المنطقة بالنسبة لقواتنا أصبحت خطرة وعليه قررت أن تخصص لها قوات نموذجية تتكون من ثلاث مجموعات من جنود الصحراء وتشكيلة من المركبات الآلية المدرعة وفرع من وحدات الطيران من «الجغبوب وجالو» بينما القوات الصحراوية تقسمت على عدة مناطق.. المنطقة الأولى هي منطقة الرقابة في الجنوب على خط العرض 30 درجة وتتكون من فرقة الجنود الصحراويين في الخط الأمامي معززة بقوة جوية للحماية والمساندة. والمنطقة الثانية تعتبر منطقة مراقبة وبها فرقة الفرسان على خط العرض 32 درجة في «وادي المراه» مع معظم جنود الصحراء وكذلك قسم من المدرعات مهمتها تغطية القوات القائمة في الشعافة تحت قيادة الحاكم العسكري للمنطقة وهي

خاصة لمطاردة الثوار وهناك مخزنان للتموين واحد في «المخيلي» والآخر في (بئر حكيم) وتمدهم بكل ما يلزمها (درة وطبرق) كل هذه الخدمات تقدم إلى القوات المرابطة سواء في الجبل أم في منطقة الحدود ومن أجل الاطمئنان على هذه الحركات هناك وحدات من الطائرات ترشد وتحمي كل الأعمال والإمدادات. أما عن القوات الصحراوية والمدركات فهي تجوب في المنطقة بكل حذر وتقبض على من تجده جنوب (الجغبوب) وغربها.

نحن مستمرون في الوصول إلى أهدافنا مهما تبادت الصحافة الإسلامية في حملاتها، فنحن لا نبالي بها مهما كتبت فمبادئنا الفاشستية وتعاليم زعيمنا (الدوتشي) هي هدفنا إننا سائرون ولن نتردد أبداً في القضاء على الثورة والثوار مهما كلفنا ذلك من ثمن، نعم نحن نؤكد ونثبت بأننا أبعدنا الشعب ونقلنا النواجع من أماكنها المعتادة إلى أماكن أخرى أي من (الجبل)، و(البطنان) إلى (العقيلة) و(سلوق) و(أجدابيا) وأمرنا بقفل الزوايا وإرسال الأهالي والمشايخ والأعيان إلى المنفى في بنينه وشويليا و(أوستيكا) بإيطاليا وأغلقنا الحدود الشرقية، أي الحدود المصرية باحتلال (الكفرة) كل هذه العوامل كانت موضع اهتمام العالم الإسلامي وبدأت النشاطات في جمع التبرعات من أجل الجهاد والمجاهدين فوق الجبل الأخضر، وفي الوقت نفسه إعلان عام لمقاطعة البضائع الإيطالية في كل الشرق العربي والإسلامي وفي بلاد الهند والصين البعيدة.

وفي شهر أبريل صدر بيان في مدينة (لوزان) وزع فيما بعد في كل العالم الإسلامي، هذا البيان الآتي هو ضد السياسة الإيطالية في (برقة)⁽¹⁾.

(1) هذا تصريح خطير للجنرال غرازياني لأنه أثبت بالأدلة القاطعة في كتابه أنه اضطهد الشعب العربي في ليبيا وجند كل إمكانيات روما الفاشستية ضد مجموعة من الثوار أبت أنفسهم الأية أن تخضع لجبروت المستعمر وحملت السلاح من أجل الوطن وحمايته ومن أجل أن يعيش العربي في ليبيا عزيزاً كريماً كما اعترف أيضاً أنه شئت شمل النواجع وقضى على ما يزيد من 85 ألف نسمة من أبناء ليبيا البررة الذين قضوا نحبهم في المعتقلات وعلى أعواد المشانق، هذه حقيقة واضحة يعترف بها الجلاد نفسه عدو الشعب وعدو الإنسانية.

حملة الصحافة الإسلامية

التعذيب الإيطالي في طرابلس:

تحرير الأمير شكيب أرسلان⁽¹⁾:

كانت الحركة الإسلامية تائهة عن كل ما يحدث في طرابلس من تعذيب وهمجية من البرابرة الإيطاليين. الذين ما أتوا إلى هذه الأرض إلا ليؤخروها عن التقدم والمدنية، بعكس ما كانوا يقولون ويكتبون. . نعم إن الناس علمت بأن حكومة إيطاليا الفاشيستي نقلت ما يزيد عن 80 ألف عربي من الجبل الأخضر ووضعتهم في صحراء (سرت). . نزعنا منهم أراضيهم بحجة التعمير وإن المعمرين الإيطاليين هم أحق من أي أحد آخر، لأنهم يتقنون هذا العمل أكثر وأحسن من العرب.

إن العالم علم بأن الجيش الإيطالي احتل الكفرة وواحاتها بعد أن قتل السكان العزل والشوار العرب الذين دافعوا عن وطنهم إلى النهاية، وإن

(1) يورد غراسياني بيان الأمير شكيب أرسلان والذي نشر في لوزان، ويسميه كما قال قبل قليل إنه بيان وزع في كل العالم الإسلامي ضد السياسة الإيطالية في برقة، إن غراسياني يدين جرائمه وجرائم حكومته الإيطالية الفاشيستي عندما يسمي ذلك بحملة الصحافة الإسلامية، ولتكن كذلك، فهي على كل حال تفضح إيطاليا الفاشيستي وجرائمها البربرية التي لا يقبل بها دين ولا يرضى عنها ضمير. «المترجم».

الصحافة الإيطالية تتبجح وتنشر بأن جيشها أسر مائة امرأة وهن زوجات الشيوخ هناك .

وفي مجلتنا (الدولة العربية) وجهنا سؤالنا إلى الإيطاليين الفاشيستيين عن معنى هذا التبجح بأسر مائة امرأة .

مع العلم بأن التقاليد والعادات العالمية وبالأخص البيئة العربية التي تنفي اضطهاد المرأة أو النساء خصوصاً أثناء قيام الحرب . ولكن ما كنا نعتقد أن دولة تعتبر نفسها من دول البحر الأبيض المتوسط مهد الحضارة الأوروبية أن تصل إلى هذه الدرجة من الانحراف والخروج عن جادة التمدن والرقى . لم يسبق في تاريخ البشرية بل في تاريخ البربرية ، إن معاملة الجيش الإيطالي الفاشيستي للنساء هي معاملة وحشية بدرجة تتفزز منها النفوس ، فهي معاملة سيئة سواء في طرابلس أو في برقة .

إن هذه الأخبار لم تكن نسيجاً من خيال أو فكرة طارئة وإنما هي حقائق يرونها من أسعده الحظ بالنجاة من المذابح التي قام بها الجيش الإيطالي الفاشيستي .

شرحوا لنا ما يلي :

1 - عندما اتجهت القوات الإيطالية لاحتلال الكفرة كانت معززة بالطائرات التي تلقي قنابلها على السكان العزل من شيوخ ونساء وأطفال وخلاف هذا سمحوا لجنودهم أن يعبثوا بالسكان لمدة ثلاثة أيام مطلقاً الأيدي في البيوت والأسواق والمساجد وفي كل النواحي تصرفات وحشية لم تخطر على بال أحد نهبوا وقتلوا وأحرقوا كل ما مروا به ولم يتركوا أي جريمة تخطر ببالهم إلا وارتكبوها ، قتلوا العلماء والمشايخ ، هتكوا حرمة البيوت وبقروا بطون النساء وإن عدد العائلات التي قضى عليها عند احتلال الكفرة ما يزيد عن 70 عائلة من علية القوم ، وعلاوة على كل

هذا فقد اتخذوا زاوية السنوسي (التاج) كحانة شربوا فيها الخمر حتى ثمالة الجنون وشربوا نخب القضاء على المسلمين واحتلال طرابلس وبرقة . . ألقوا بالمصاحف القرآنية في الاصطبلات تحت سنايك الخيل وبالكتب العلمية أوقدوا بها النار تحت قدورهم لطهي طعامهم . وقد استشهد من الثوار في احتلال الكفرة ما يزيد عن (200) شهيد من بينهم المشايخ الآتية أسماؤهم .

الشيخ صالح العابدية ، الحاج سليمان بو مطاري ، الشيخ غيث بو قنديل ، الشيخ سليمان الشريف ، الشيخ محمد بو يونس ، الشيخ أحمد بو أشناك وحفيده الشيخ عمر ، الشيخ حمد الحامي ، الشيخ عبد السلام بو أسريويل ، الشيخ محمد المسحوق وحفيده علي بن حسين ، الشيخ محمد العربي ، الشيخ محمد بو سجادة الشيخ محمد الفايدي الجلولي ، الشيخ خليفة الدلال .

2 - أما الرواية الثانية هي كيف تم احتلال الكفرة من أولئك الغاشمين المتوحشين من مشاهدين حقيقيين لتلك الأحداث ، قبل دخول الإيطاليين إلى الكفرة قامت طائراتهم بقصف واحات الكفرة بقنابلهم الفتاكة فوق منازل السكان العزل حيث قتل عدد كبير من النساء والشيوخ والأطفال ، وبعد أن دخلوا الكفرة أطلقوا أيدي جنودهم لمدة ثلاثة أيام للعبث والتخريب في الكفرة ، فقد أطلقوا بغالهم وخيولهم حيث دمرت كل المزروعات فاستولوا على كل المواد الغذائية وقطعان الأغنام والبقر لتموين جنودهم المحتلين دون مقابل وعلاوة على كل هذا نهبوا أثاث السكان وقسموها على إدارات الجيش الزاحف . كذلك ملابس النساء وحليها ، هذا قليل من كثير زد على ذلك اعتداءاتهم على حرمان الناس العزل دون وازع من ضمير ، وعندما اتجه بعض المشايخ إلى قائد الحملة راجين منه إصدار أمره إلى الجنود بالكف عن هذه الاعتداءات على الناس كان مصيرهم القتل رمياً بالرصاص باعتبارهم خونة ، وبالاختصار إن

الإيطاليين عندما احتلوا الكفرة قاموا بأعمال وحشية لم يسبق أن حدثت في التاريخ حتى في القرون الوسطى عهد الهمجية .

إن قضية الـ 80,000 عربي الذين نقلتهم القوات الغاشمة من أراضيهم الخصبة في الجبل الأخضر إلى مناطق جربة صحراوية لا ماء فيها ولا كلاً، هي منطقة (سرت) لكي تموت المواشي جوعاً وعطشاً. أما البقية فقد استولى عليها الجنود الإيطاليون وأصبحوا فقراء تدفع لهم الحكومة الإيطالية فرنكين عن كل يوم لكل شخص مهما كان عدد عائلته. أما بالنسبة لحلي النساء وملابسها فقد نهبها الجنود الإيطاليون، وأصبحت العائلات في هوة الفقر سواسية. وفي أثناء مرافقة هذا العدد الضخم من رجال ونساء وأطفال، كان الجنود يسومونهم سوء العذاب وكل من يعجز عن السير مصيره الموت فيقتلونه ويتركونه يتخبط في دمه.

إن الرجال والشبان الذين تتراوح أعمارهم من 15 إلى 40 سنة أجبروا على الانخراط في قوات الجيش. وأما الصغار الذين تتراوح أعمارهم من 14 سنة فقد أخذوا بالقوة من أهليهم وأرسلوا إلى إيطاليا بحجة تعليمهم، ولكن في الحقيقة من أجل تنصيرهم.

وهذا ما كان يتحدث به سكان (روما) وهو تنصير الليبيين بصورة عامة والطرابلسيين بصورة خاصة. ورغبة الإيطاليين الفاشيستيين هي القضاء المبرم على العنصر الإسلامي في ليبيا، فإذا ليبيا تصير إيطالية وبجوارها مصر، سوف تتعرض إلى أكبر خطر. وإن مصر لن تسكت عن هذا الإجراء لأن الإيطاليين في اعتقادهم المريض أن مصر ليست دولة عربية وإنما هي خليط من عدة أجناس. . الأمر الذي يجعل إيطاليا تحلم بأن تغزو مصر وتتمكن من أرضها وشعبها كما تمكنت من طرابلس. إن الوعود المعسولة التي كانت تصرح بها السلطات الإيطالية وتمنياتها الطيبة التي كانت تعرضها على الشعب الليبي وإنها - يعني إيطاليا - ما أتت إلا لتخلص الشعب الليبي من الاستبداد التركي.

ولأجل أن تذر الرماد في أعين الناس، أتت بإدريس السنوسي وقلدته لقب الإمارة ووعدته بالحكم الذاتي، ولكن كانت دائماً وعوداً فقط. وها هي إيطاليا تلغي كل شيء وتبدأ في سفك الدماء وتطرد السكان من أراضيهم وأموالهم. وأخذت أولادهم وبناتهم إلى إيطاليا من أجل تعليمهم، وفي الواقع من أجل تنصيرهم. إني أقول على المسلمين أن يتذكروا هذا كله وأن يتفهموه.. فإن هناك من يتفلسف ويتشدد بالقول بأن في أوروبا تسود العدالة والحرية، وأن الدول الأوروبية لا تتعرض للقضايا الدينية، وأن السبب في سقوط المسلمين هو التعصب الأعمى! إن هذه الألفاظ وهذه المغالطات تنذر المسلمين جميعاً بأنهم إذا لم يتحدوا ويدودوا عن حياضهم سوف يتعرضون إلى القضاء ويفقدون قواتهم المسلحة وحررياتهم السياسية، وسوف يحدث لهم كما حدث لطرابلس إذا لم يحافظوا على حريتهم واستقلالهم. إن موقف إيطاليا في حضارة القرن العشرين موقف غير مشرف فقد رجعت إلى معاملات القرون الوسطى.

إن الإيطاليين المتوحشين لم يحترموا لا كبيراً ولا صغيراً فقد اعتدوا على الحرمات واغتصبوا النساء وهتكوا الأعراض. كل هذه الأعمال من أجل اضطهاد المسلمين وروحهم الانتقامية.

لقد جز الإيطاليون في السجون الكثير من الأهالي ومشايخ القبائل وقد عارضهم وندد بأعمالهم الشيخ سعد الفايدي شيخ قبيلة الفوايد فما كان منهم إلا أن قتلوه ومعه 15 من أبناء قبيلته البعض منهم ألقى من الطائرة من علو 400 متر وكلما كانت الطائرة تلقي بواحد منهم هناك كان الهتاف يعلو وصياح الجنود يزداد.

إن الصحفي الدانمركي الشهير (كنود هولمبوي) الذي اعتنق الإسلام وقام بجولة سياحية أثناء هذه الفترة في ليبيا، قد شاهد بنفسه وعينه كل التعذيب والاضطهاد الذي يقوم به الجنود الإيطاليون الفاشيست يقول:

شاهدت 20 عربياً مسلسلين . . شنقهم الجنود بأمر من ضابطهم دون محاكمة . ولم تكن هناك محكمة . . هذا المنظر البشع أثر في نفسي ولم يكن في اعتقادي أن دولة مثل إيطاليا الفاشيستي وهي إحدى دول البحر الأبيض المتوسط تقوم بمثل هذه القسوة وهذه الوحشية . إنها جرائم سيسجلها التاريخ في صحفه السوداء ، وستبقى وصمة عار في جبين الدولة الإيطالية على مدى الدهر والأزمان .

إن إيطاليا أرادت أن تحذو حذو فرنسا في تنصير المسلمين إبان حكمها في المغرب فقد عملت ووزعت المبشرين في طول البلاد وعرضها وبنيت العديد من المعابد والكنائس في كل المدن والقرى لتقضي على الدين الإسلامي . وهكذا عملت إيطاليا فقد بنت المعابد في طرابلس وبنغازي وكل القرى وأمرت المبشرين بأن يسعوا بكل الوسائل لتنصير العرب مهما كان الثمن . وقد فاقت على فرنسا بطريقة أخرى فأخذت الأطفال من جحور أمهاتهم وبعثت بهم إلى إيطاليا . . إلى تلك المعاهد المسيحية لتعليم هؤلاء الأطفال الدين المسيحي . . وعزلهم عزلاً كلياً عن وطنهم وبيئتهم . . بحيث يشبون وترعرعون في الجو الفاشيستي والكنيسة المسيحية .

إن سياسة إيطاليا الفاشيستي هي القضاء على الدين والعقيدة وإبعاد المسلمين عن معابدهم ومساجدهم وكم من مرة صرح موسوليني رئيس الحكومة والحزب الفاشيستي في خطباته بعد احتلال (الكفرة) بأنه عازم على تثبيت ثلاثة ملايين من السكان الإيطاليين في الأراضي الليبية الخصبة . وقد أيد هذا الرأي الكثير من السياسيين وأبرزها الكثير من الصحفيين على صفحات جرائدهم ومجلاتهم .

منذ أيام قرأت بالجريدة الرسمية المرسوم الملكي القاضي بمصادرة أملاك المواطنين وأوقاف المسلمين والزوايا السنوسية وأوقافها . وبهذه الطريقة الجهنمية عملت إيطاليا الفاشيستي على تملك الإيطاليين كل الممتلكات الليبية

وبالتدريج وإبعاد الليبيين من كل المجالات حتى تصبح ليبيا خالية من كل العناصر ولا يبقى بها إلا الإيطالي المسيحي الكاثوليكي.

إن الكلام الصادر من الجنرال أو المارشال لم يكن إلا زوراً وبهتاناً وتضليلاً لتهدة المسلمين الليبيين، حتى تستطيع السلطات الإيطالية الفاشيستي تنفيذ أغراضها الاستعمارية. وهي أن استحوذت على الملايين من هكتارات الأراضي الزراعية وغيرها (من أين لها هذه الأراضي؟) فالجواب معروف. استحوذت عليها بطرد أهلها الحقيقيين ونقلتهم إلى مناطق الهلاك هم ومواشيهم على السواء أمام أعين العالم المتمدن، وأمام عصبية الأمم. وبالاختصار تبجح الإيطاليون بقولهم أن طرابلس وبرقة كانتا رومانييتين. . فلا بد أن ترجعا رومانييتين كما كانتا. هذا هو هدف الفاشيست بدون تردد.

إننا لا نصدق ما يقولون لقد خالفوا القواعد الدولية والإنسانية، ولم ينفذوا حرفاً واحداً من تعهداتهم إلى الطرابلسيين والبرقاويين، حتى التعهدات الكتابية والاتفاقات المبرمة بينهم وبين إدريس السنوسي، فكانت عبارة عن أكاذيب وكسب للوقت. نحن مقتنعون بأن كل ما كتبناه وأعلنناه على الملأ أجمع ستكذبه السلطات الفاشيستي، وستوجد لنا مضابط لكي تدحض أقوالنا ولكن كل ما كتبناه ثابت وصحيح ومصدره من جهة عاصرت الأحداث وهي هيئة التحرير الليبية في دمشق. فقد أثبتت الحوادث والاعتداءات بالوثائق الرسمية، وبالأخص في احتلال الكفرة. فقد ارتكب الجنود الإيطاليون الفاشيست أبشع الجرائم باعتداءاتهم على النساء وقتلهم الشيوخ والأطفال. واعتدوا على حرمت المساجد والمقدسات. وقد ادعت إيطاليا بأن كل الأعمال العسكرية التي قامت بها ما هي إلا تأديب لأناس أعلنوا العصيان على دولتهم، وهذه حجة واهية لا يقبلها العقل ولا تقوم بها دولة متمدنة كما تدعيه إيطاليا الفاشيستي. وإن الثوار في العرف الدولي لم يكونوا من العصاة على الدولة وإنما هم أصحاب حق يدافعون عنه، اغتصبه عدو دخيل.

بقي علي أن أختتم مقالي هذا الذي كتبتة لا أريد منه تحريض المسلمين على أن ينتقموا من الإيطاليين الذين يعيشون معهم حاشا لله نحن لسنا من الانتقاميين ولا من الجهلة مثل الإيطاليين الفاشيست، وليس من شيم أخلاقنا أن نستعمل القوة على من هو أضعف منا. وإن المسلمين لن يغيروا أبداً تراثهم الخلقي الذي ورثوه أباً عن جد.

ولكني أقترح ما هو آت:

- 1 - جمعية الشبان المسلمين في كل بلد عليها أن تحتج على كل أساليب الاعتداء والإجرام التي ارتكبتها إيطاليا الفاشيستية في ليبيا. وأن ترسل برقية احتجاج شديدة اللهجة إلى عصبة الأمم وتنشر على الصحف العالمية.
- 2 - كل المدن والمقاطعات الإسلامية التي تتقد حماساً والدم الساخن الذي يجري في عروقهم، عليهم أن يقدموا احتجاجاتهم إلى عصبة الأمم برقياً مستعجلاً ونشرها جميعاً على صفحات مجلاتهم وجرائدهم المحلية.
- 3 - إن مجموعة الدول الشرقية بالقاهرة هي كذلك عليها أن تحتج وتندد بأعمال القمع والعنف التي تقوم بها إيطاليا الفاشيستية وتقدمه إلى عصبة الأمم مثل الهيئات الأخرى.
- 4 - كل الهيئات الإسلامية والعربية والشرقية بالقاهرة وسوريا والعراق والعربية السعودية والهند وجاوا وغيرها لا بد وأن يقوموا بواجبهم نحو القضية الليبية.
- 5 - عقد اجتماعات شعبية في المدن الإسلامية وإلقاء الخطب الحماسية لشرح ظلم واستبداد السلطات الإيطالية الفاشستية وهتافات بسقوط العدو الغاصب.
- 6 - يجب على كل المسلمين أن يقاطعوا كل البضائع الإيطالية والسفن وكل

الوسائل والأعمال وكل شيء يحمل اسم إيطاليا، وقطع كل العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وكذلك تكوين لجان شعبية خاصة بمراقبة مقاطعة البضائع الإيطالية.

7 - طبع منشورات وكتيبات تبين فيها تصرفات إيطاليا الفاشيستي واضطهادها للشعب الليبي، ويكون طبعها كذلك باللغة الإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية ويكون توزيعها بالآلاف في أوروبا وفي كل العالم ومن واجب كل مسلم أن يقوم بالصاق هذه المنشورات في كل الشوارع والبيادر وتوزيع الكتيبات في كل مكان من العالم. كذلك على كل مسلم أن يعلق في بيته بعضاً من هذه المنشورات حتى لا ينسى ما يعانيه الشعب الليبي من اضطهاد وتعذيب.

أيها المسلمون!

لا تقولوا بأن هذا حدث في طرابلس وليبيا فقط وإنما الليبيون الشرفاء طعنوا في شرفهم. . في دمائهم في دينهم وفي أموالهم وممتلكاتهم وكذلك سيحدث لكم أنتم مثل هذه المأساة وسيحل بكم العذاب كما حل بالليبيين الشرفاء إذا لم تدافعوا عن أنفسكم، إذا لم تبينوا أنفسكم بأنكم أحياء.

أيها المسلمون!

في الوقت الحالي لن تستطيعوا الدفاع عن أنفسكم وسلاحكم فقط بل سخرؤا أقلامكم وكذلك باجتهادكم وبصبركم على المكائد، لتدافعوا عن كيانكم وعن أرضكم وعن مقدساتكم وتثبتوا للعالم بأنكم شعب يعرف كيف يقاوم.

لوزان 12 ذو القعدة

7 أبريل 1931

شكيب أرسلان

وتبع هذا البيان بتاريخ 28 أبريل 1931م بمدينة القدس مقال في جريدة (الجامعة العربية) . . هذا المقال أو البيان لست أدري على أي أساس كتب فهو مليء بالكاذيب والبهتان، ولا أستطيع وصفه، أهل هو مدعاة للضحك أم هو مدعاة للإشمئزاز؟ لست أدري.

(بيان من مسلمي طرابلس وبرقة إلى حجاج بيت الله وإلى كل الإخوة في البلدان الإسلامية).

الله أكبر تسفك الدماء ويعتدى على حرمت النساء وتهان المقدسات بدون حق .

الله أكبر تغتصب الأراضي وتنهب الأموال وتزهق الأرواح ظلماً وعدواناً.

الله أكبر يهان كتاب مقدس يؤمن به (500) خمسمائة مليون مسلم في العالم، هذا الكتاب هو القرآن . . كتابكم المقدس أيها المؤمنون. يضحك على رسوله وعلى رسالته التي جاءت لخير كل البشرية منذ أربعة عشر قرناً، هذا الرسول هو محمد بن عبد الله رسولكم أيها المسلمون.

إن الاعتداءات الهمجية والوحشية ترتكبها إيطاليا الفاشيستية في طرابلس وبرقة ضد الشعب الليبي المسلم لأنه بين يدي ذئاب متوحشة متحملاً كل المصائب والتعذيب التي تقوم بها دولة إيطاليا الفاشيستية، التي تدعي المدنية وحضارة البحر الأبيض المتوسط، وفي الحقيقة ما هي إلا دولة غاشمة استعملت كل وسائل التهديد والتعذيب كأنها في عهد القرون الوسطى.

﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156].

إن إخوانكم في تلك الأراضي يعانون متاعب كثيرة ولا يطلبون المستحيل بأن تمدهم بالمال والسلاح والرجال وإنما يطلبونكم بما نص عليه الكتاب المقدس «القرآن الكريم» وهو الجهاد في سبيل الله، وواجب على الأخ أن يساعد أخاه قدر إمكانياته، وأنتم أيها المسلمون! في إمكانكم أن تعلنوا

احتجاجكم ضد هذا العدوان الغاشم وأن تصرخوا في وجوه الفاشيستيين المتعطرين .

لماذا؟ وإلى متى؟ وأنتم سكوت؟ بينما إخوانكم في ليبيا يقتلون ويشردون . ماذا جنى هؤلاء الضعفاء؟

وهذه هي سياسة المستعمر عندما يتحكم في رقاب الشعوب .

إن الشعب الليبي الطرابلسي البرقاوي منذ أكثر من عشرين سنة يدافع عن وطنه ودينه وشرفه بقوة الحق والإيمان . إن المليون أو المليون ونصف يقاتلون ضد (45) مليوناً لم يكن بالشيء السهل ، ولكن الشعب الليبي قاوم بكل بسالة سنين طويلة مبرهنناً للعالم على مدى تضحياته ومواقفه المشرفة أثناء مقاومته للعدو الغاصب .

هذه هي أعمال إيطاليا الفاشيستية أينها المسلمون عامة وحجاج بيت الله خاصة . كل ما اقترفته إيطاليا الفاشيستية من همجية وحشية تقشعر منها الأبدان منذ البدء في الاحتلال لهذا البلد المسكين ، لم يتركوا أي وسيلة بشعة لإذلال هذا الشعب إلا واتخذوها طريقة لإثبات وجودهم . فاستعملوا قوتهم بشدة وعلى كل الوجوه ، نحو الشعب الليبي الذي لم يحن هامته أمام الظلم والاستبداد دون شفقة أو رحمة للأطفال والشيوخ ، كم من هؤلاء الرجال جمعوا ، وقيدوا ثم قتلوا رمياً بالرصاص كم من الأبرياء شنقوا وتركوا معلقين لمدة طويلة على أعمدة المشانق ، تعصف بهم الرياح يمينا وشمالاً . وبهذه الأعمال المفزعة يلقون الرعب في قلوب هؤلاء البائسين ولم يتركوا أي وسيلة باعثة للإجرام إلا وارتكبوها لتعذيب هؤلاء الأبرياء .

في العام الماضي طردوا ما يزيد عن ربع مليون نسمة من أراضيهم ، وقد ضاع الكثير منهم نتيجة التشريد والتقتيل والمرض والعطش أيضاً . وأخيراً جمعوا (80) ثمانين ألفاً من العرب المسلمين البرقاويين في أرض صحراوية

جرداء، وهي منطقة (العقيلة) شرقي خليج (سرت) وهناك قضي على جميع حيواناتهم من عدم وجود الكلاء. وقد تفشت الأمراض بين صفوفهم فكانوا يموتون كل يوم بالعشرات بل بالمئات.

كذلك من أنواع التعذيب يلقون بالرجال من الطائرات من علو (400) متر فيصل المحكوم عليه إلى الأرض أشلاء مفككة!!

هذه هي حضارة القرن العشرين التي تدعيها إيطاليا الفاشيستية، فكانت تجمع الناس ليشاهدوا هذه المناظر المؤلمة ويقولون لهم: (ليأتي نبيكم البدوي محمد الذي يحثكم على الجهاد حتى ينقذكم من هذا العذاب ويخلصكم من أيدينا). وعلاوة على هذا فسجون طرابلس ویرقة والجزر الإيطالية مليئة بالوطنيين الأبرياء الشرفاء الذين لا ذنب لهم إلا لأنهم وطنيون وأصحاب حق، وإن أكثرهم ماتوا من الجوع والجهد الشاق..

وأخيراً، أثناء احتلال الكفرة قاعدة الطريقة السنوسية قتلوا 70 عائلة، رجالها ونساءها وأطفالها وعاملوا النساء معاملة يخجل الإنسان من ذكرها.

لقد أرغموا النساء أن يتزوجوا من الضباط وحولوا المساجد إلى مكاتب واصطبلات وأوقدوا النيران بالكتب، والمصاحف.

وكان الحاكم العسكري بطبرق قد أمر بجمع المسلمين في الميدان العام وأخذ القرآن ورماه على الأرض ثم أخذ يدوسه برجليه قائلاً: (أنتم المسلمون لن تكونوا أبداً بشراً ما دام هذا الكتاب بين أيديكم⁽¹⁾).

(1) نسي هذا الحاكم الجاهل لو أننا تمسكنا بهذا الكتاب الذي يعنيه (القرآن) لما وصل هذا الأحمق إلى أن داس القرآن برجليه على مرأى ومسمع من العالم الإسلامي ولكن طغيانه وجبروته ساعده على أن يفعل هذا.. تبا له من أحمق فدارت عليه الدوائر وطرده هو ومن على شاكلته من هذا البلد الأمين. «المترجم».

إن عدم احترامهم للدين الإسلامي والقرآن وصل إلى تأليف أناشيد وأغان تعني الحط من مكانة الدين والقرآن وتحث الجنود على إزالة معالمها . . وهذه أيها المسلمون، إحدى الأغاني وعنوانها: وداع فاشيستي لأمه مطلعها: صلي يا أمي ولا تبكي بل اضحكي ألا تعلمين إن إيطاليا تنادينني؟

أنا ذاهب إلى ليبيا مطمئن من أجل أن أبذل دمي حتى أقضي على ذلك الشعب الملعون وسأقاتل بكل قواي حتى أمحو القرآن، لا تنظري للحزن من أجل ابنك وكل من يسألك عن السبب أجيبني أنه مات مقاتلاً ضد الإسلام».

أيها المسلمون حجاج بيت الله الحرام اقرأوا هذه الأغنية وافهموها جيداً، واعلموا أنكم أمام الله وقرب بيته المقدس وكيف يكون الله راضياً عنكم إذا كانت الديانة محتقرة وغير محترمة وإن أخوانكم في طرابلس وبرقة مضطهدون ومعذبون ويعاملون كالحوانات دون احترام ومساواة متحملين ما لا يتحمله الحيوان فما بالك بالرجال . .

أيها الناس لقد أصبح أخوانكم في الإسلام لقمة سائغة إلى كل أكل، وبسبب الإهمال يصبحون أذلاء للفاشيستين.

وفي الحديث الشريف للرسول ﷺ يقول: «تري المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

لماذا لا تحسون حالة أخوتكم وما يعانونه من اضطهاد وتعذيب؟ لماذا لا تتحمسون لقضيتهم وتعاونونهم ولو بمقاطعة البضائع الإيطالية وهو أضعف الإيمان . وكذلك احتجاجاتكم على سياسة القمع التي تنتهجها الدولة الإيطالية الفاشيستي الغاشمة في طرابلس وبرقة حتى يشعرون بأن للشعب الليبي أخوة يحسون بإحساسهم ويتألمون لآلامهم . . هذا التظاهر لا يكلفكم شيئاً، ولكنه يخفف على أخوتكم في ليبيا ضغط المستعمرين وظلمهم.

10 ذو الحجة 1349 الموافق 28 أبريل 1931م⁽¹⁾.

(الشعب الليبي المغلوب على أمره)

إن الحركة السنوسية هي التي قامت بنشر هذه البيانات نظراً لحقدها وغضبها فأرادت أن تقوم بهذا العمل ضد الحكومة الإيطالية الفاشيستية.

إنني هنا أرفض أن هذه الحملة الإعلامية ضدنا وضد سياستنا لم تكن صادرة من ينابيع إسلامية صحيحة معروفة لدى المفكرين الحقيقيين وإنما الذي يغذيها ويدفع لها الثمن هي السنوسية لتحافظ على كيائها في هذه الأرض.

ولكن أحسن جواب للعالم الإسلامي على هذه الحملة الإعلامية هي دعوة شخصيات مسؤولة فيه ليشاهدوا بأعينهم مدى تقدم طرابلس وبرقة في كل الميادين الاقتصادية، والاجتماعية. كذلك معاملة الحكومة للسكان المحليين واحترام دينهم ونسائهم وعاداتهم وتقاليدهم كلها معتبرة ومحترمة وفوق كل هذا رفع مستواهم معنوياً ومدنياً في كل المجالات.

وقد أصدرنا أمراً الرسمى إلى صاحب جريدة بريد برقة لنشر بيان كوثيقة للرد على البيانات السابقة وستقوم الحكومة بتوزيعها بوسائلها الخاصة.

«ردودنا على بيان الثوار «يعني المجاهدين» للعالم الإسلامي».

«بمناسبة آخر موسم حج وزع باسم الثوار الليبيين منشورات كاذبة ضد سياسة دولتنا في طرابلس وبرقة (ليبيا) وهي نداء إلى المسلمين حجاج بيت الله.

هذا النداء إن دل على شيء فإنما يدل على أيدي آثمة أرادت أن تسطر

(1) إن الجنرال غرازياتي بنشره لهذا البيان في كتابه يريد به تضليل الرأي العام العالمي وإقناعه بأن كل ما جاء في هذا البيان زور وبهتان. . وإن إيطاليا الفاشيستية لم يحصل منها أي اضطهاد للشعب الليبي، بل اجتهدت أن تأخذ بيده، تباً لهم من كاذبين لقد نسوا أو تناسوا المشائق والتقتيل والعشريد، نسوا أو تناسوا معتقلات العقيلة والبريقة وسلوق وبنينه وأوستيكة وأجدايا حيث أفنوا فيها مشايخ البلاد وأعيانها من شيب وشباب يعدون بعشرات الألوف. ولكن الحمد لله، دارت الأيام وطرد العدو بين يوم وليلة، فعلى التاريخ أن يسجل. «المترجم».

علينا كل ما من شأنه زور وبهتان وهو صادر عن أناس كان برنامجهم السيطرة على هذه البلاد، ليبيا المسكينة فابتعدوا عنها وتركوها وأصبحوا يندبون حظهم لكي يظهروا وطنيتهم الكاذبة. ويبرئوا أنفسهم من الذي جلبوه على هذا الشعب المسكين الذي ذاق منهم الأمرين.

فدبجوا نداءهم بكلام معسول وهو: الله أكبر يسفك الدم ويهان الشرف وتنتهك الحرمات والنساء بغير حق.

الله أكبر تصادر الأملاك والأموال وتزهق أرواح ظلماً وعدواناً.

الله أكبر يهان كتاب مقدسه ويؤمن به 400 مليون من البشر هو القرآن كتابكم المجيد أيها المؤمنون.

إن اعتداءات الإيطاليين المتوحشة على شعب ليبيا طرابلس وبرقة لهو أبشع عمل قامت به دولة تعد من دول البحر الأبيض المتوسط، حوض مدنية القرن العشرين.

واني لا أريد بردودي هذه أن أجعل أهمية لذلك النداء الذي لم يصدر إلا من أناس لا يمتنون إلى الليبيين بأية صلة.. وإن محتوياته كلها زيف وكذب ضد الحكومة الإيطالية الفاشيستية.

غير أنه نريد أن نوضح ونقارن حالة البلاد الليبية بالنسبة للعالم الإسلامي وعلى ما أعتقد أن أخبار أبنائه في ليبيا لم تصله على حقيقتها بل كلها مشوهة ومزيفة من أناس لا هم لهم إلا بذر الخلاف وإثارة الفتن لكي يحتفظوا بمكانتهم وزعامتهم ومصالحهم الخاصة على حساب هذا الشعب المسكين.

وأظن أن حجاج بيت الله في هذه السنة لاحظوا العناية التامة من الحكومة الإيطالية الفاشيستية، وما يتمتع به الحجاج الليبيون أكثر وأكثر من السنين الماضية.

فقد كانت الحكومة الإيطالية الفاشيستية تصرف وتدفع من خزيتها الخاصة لا من أموال الأوقاف، فهي دائماً تعمل على رفاهية الشعب وازدهار البلاد، وليس كما يعتقد الآخرون.

القبض على عمر المختار وكيف حدث

في كل مراحل هذه الحروب الضارية ضدنا والتي كانت بدون قاعدة تشبه حرب العصابات فهي تستحق الاهتمام والتسجيل حيث أنها انتهت بالقبض على عمر المختار.

ففي أوائل سبتمبر 1931م وصلتنا الأخبار من مصادر مختلفة أن دوري البراعة والدرسة قائمان بعقد اجتماع مع عمر المختار بجنوب مدينة البيضاء من أجل استئناف القتال والأخذ بثأر معركة 27 فبراير 1931م الدامية، وفي صباح يوم 10 سبتمبر 1931م حدد المخبرون التابعون لمجموعة الرائد (زاغاتزي) بأن الدور أي معسكر عمر المختار يوجد في المنطقة شمال شرقي (عين لافو) ومن هنا قامت رئاسة الجبل تجري استعداداتها وتحركاتها كعادتها دائماً من أجل تطويق معسكر الثوار والاتصال بقوات (زاغاتزي) و(بياتي) و(ماروني) ومجموعة الفرسان بقيادة المقدم (فيفاليد) وطريقة العمليات الحربية ستكون على النحو التالي:

تتحرك القوات بطريقة التفاف شمال شرقي المنطقة مع قوات (زاغاتزي) بحيث يفاجئ العصاة، يعني (الثوار)، على غرة ويدفعهم نحو (عين لافو) ليلتحموا مع فرقة الفرسان تساندها مجموعة (ماروني) حيث تطارد قوات العصاة (الثوار) لإفنائها أما مجموعة (بياتي) كان اتجاهاها نحو منطقة وادي

(الكوف) لأجل أن يقطع خط الرجعة على قوات العدو (ويقصد قوات الثوار) بحيث تسد في وجهها طريق النجاة.

وفي صباح يوم 11 سبتمبر 1931م قامت مجموعة (زاغاتزي) بتحركات سريعة أثناء الليل حيث تواجدت فوق (وادي بو طاقه) لكي تنقض على الدور أي المعسكر وتنبهت طلائع الثوار الأمامية لهذه التحركات.

وحاول الثوار أن يشقوا طريقهم للخروج من هذا الطوق الحديدي والطريق الوحيد الذي يمكن الخروج منه هو وادي الكوف ولكن سبقتهم مجموعة يياتي وسدت الطريق في وجههم.

ثم تحركت مجموعة الفرسان لتهاجم الثوار لكي تجبرهم على الاتجاه نحو وادي الكوف حتى يصطدموا مع قوات يياتي وينتهي كل شيء.

وفي هذه الأثناء غيرت قوات الثوار فجأة اتجاهها نحو الجنوب ولكن طائرات الاستكشاف أبلغت القيادة بهذا التغيير المفاجيء في خطة عمر المختار وأبلغت القيادة على الفور الفرقة السابعة للفرسان بالتحرك لأنها ترابط في الخط الذي توجهت إليه قوات عمر المختار وبهجوم خاطف سريع اصطدمت قواتنا بهم وفرقتهم.

وفي هذا الهجوم وقع عمر المختار أسيراً بينما كان يجر نفسه نحو الغابة ليختفي فيها.

هذا الرجل أسطورة الزمان الذي نجا آلاف المرات من الموت ومن الأسر واشتهر عند الجنود بالقداسة والاحترام لأنه الرأس المفكر والقلب النابض للثورة العربية في برقة وكذلك كان المنظم للقتال بصبر ومهارة فريدة لا مثيل لها سنين طويلة⁽¹⁾ والآن، وقع أسيراً في أيدينا.

(1) لقد اعترف الجنرال غرازياني في كتابه بأن عمر المختار قاد المعارك سنين طويلة واعترف بأنه محترم من أتباعه إلى مكانة التقديس ثم بأنه الرأس المفكر والقلب النابض للثورة العربية في =

عمر المختار، وقوعه في الأسر ومحاكمته:

إنه من الصعوبة بمكان تحديد ورسم شخصية رئيس قاوم وعاند رغم ما قاساه من تعب ونضال من أجل أن يعيش حراً دون أن يتعرض لرحمة الغير واحتقارهم.

غير أن شخصية عمر المختار عندما تجرد من أسطورة الرجل الذي لا يغلب كما يؤمن به أتباعه وكما يعتقده بعض رجالنا وحكامنا البسطاء يصبح شخصاً عادياً له حقائقه وله هفواته، ولكن على كل حال كان رجلاً عرف كيف يستغل بكل دقة وخبرة حالة البيئة ونفسانية الناس، ومن خلالها سير دفة الحرب في برقة.

وكان التحدث عن شخصية عمر المختار وتأثيرها على بقية المشايخ المحليين موضع تحدثنا دائماً، وكما تحدث تاريخنا الروماني بأن الزعماء يخطئون كثيراً، ومن غير تحفظ بينما العرب يعتبرون زعماءهم شيئاً مقدساً توجب حمايته وفي بعض الأحيان يهربونهم لكي يحافظوا على حياتهم.

وهكذا كان عمر المختار دائماً كرئيس عربي، مؤمن بقضية وطنه وله تأثير كبير على أتباعه مثل الرؤساء الطرابلسيين يحاربون بكل صدق وإخلاص.

أقول ذلك عن تجارب مرت بي أثناء الحروب الليبية.

كان عمر المختار من المجاهدين الكبار لما له من مكانة مقدسة بين أتباعه ومحبيه.

= برقة ثم الصبر والمهارة التي لا مثيل لها مرحى مرحى يا عمر المختار، فهذا الجنرال غرازياني خريج الكليات الحربية والأكاديمية العسكرية وتجاربه الطويلة من حرب الاحتلال إلى الحرب العالمية الأولى وحروبه الصحراوية حتى لقب بأسد الصحراء وما بعدها يعترف لك بكل صراحة بأنك صبور وماهر وقادر على أن تقود المعارك بكل دقة رغم كبر سنك وضالة مؤهلات دراستك إنها شهادة بأنك عظيم وكفى... «المتروجم».

إن عمر المختار يختلف عن الآخرين فهو شيخ متدين بدون شك، قاسي وشديد متعصب للدين ورحيم عند المقدرة ذنبه الوحيد يكرهنا كثيراً وفي بعض الأوقات يسلط علينا لسانه ويعاملنا بغلظة، مثل الجبليين كان دائماً مضاداً لنا ولسياستنا في كل الأحوال لا يلين أبداً ولا يهادن إلا إذا كان الموضوع في صالح الوطن العربي الليبي، ولم يخن أبداً مبادئه فهو دائماً موضع الاحترام رغم التصرفات التي تحدث منه في غير صالحنا. إن خيانة موقعة (قصر بنقدين) ضيقت على عمر المختار كل الفرص التي يمكن للدولة الإيطالية أن ترحمه فيها وتعفو عنه.

ولد عمر المختار (بالبطنان) منطقة (الدفنة) في سنة 1862م، من قبيلة (المنفة) (المرابطين) قبيلة (بريدان المنفى) عائلة فرحات واسم والدته الحاجة عائشة، وفي سنة 1878م توفي والد عمر المختار أثناء سفره إلى مكة مع زوجته ووالد الشارف الغرياني، وقد أوصى المدعو أحميدي الغرياني الشميسي بأولاده الاثنين عمر المختار ومحمد المختار الذين تركهم في زاوية جنزور بالدفنة للدراسة وحيث أن أبناء الحجاج أرسلوا إلى الجغبوب للدراسة هناك فكان عمر المختار وأخيه محمد من بين هؤلاء حيث مكث عمر المختار في الجغبوب ثمان سنوات في تلقي العلوم الدينية واللغوية وقد ظهرت عليه علامات الشدة والصراحة، فكان كلامه قوياً كأنه أمر يلقي أوامر لتابعيه وقد تبين للقادة السنوسيين نجابته وقوة مراسه واجتهاده فحبذت انتقاله مع السادة السنوسيين إلى الكفرة وعندما بلغ الأربعين من عمره رأى القائد أحمد الشريف تعيينه شيخاً لزاوية (القصور) التي تركها بعد سنتين وسلم مشيخة الزاوية إلى (الشيخ محمد بو سيف أمقرب البرعصي) لأنه دعي بسرعة للحضور إلى الكفرة عندما اندلعت الحرب في (وداي) بين القوات الفرنسية وقبائل (وداي) التي قام بمساندتها رتل من المحاربين السنوسيين، وبعد عشرين شهراً من القتال هزم فيها الجيش الفرنسي واستتب الأمن في الواحات الداخلية، طلب

عمر المختار من الجهات العليا الرجوع إلى زاويته بالجبل بين قبيلة العبيد سنة 1906م وقد تزوج ثلاث مرات الزوجة الأولى ابنة خاله من قبيلة البراعصة ولم نعرف اسمها توفيت بعد سنين قليلة والثانية ابنة الوجيه عبد الله الجيلاني شيخ زاوية (توكره) لم تخلف والثالثة ابنة شيخ زاوية (ميراد مسعود) وقد قتلت أثناء معركة مع جيوشنا في صيف 1927م⁽¹⁾.

إن عمر المختار كان دائماً حريصاً على أن تكون زاويته أحسن من الزوايا الأخرى، وشديداً مع كل من يتهاون في أداء واجباته الدينية إلى درجة أن اشتكى بعض أتباعه من شدته ووصفها بالظلم من كثرة الضغط عليهم..

كان حريصاً على عقيدته يواجه كل من يتعرض لها بسوء، يكره الدخلاء ويحارب كل من يعتدي على وطنه ولا يقبل أي تدخل من أي أجنبي في قضية

(1) وهذه بطله من بطلات التاريخ يعترف بها العدو، ولم يذكرها أحد من كتابنا، لم يذكر الجنرال اسمها ولا اسم والدها فيجب علينا أن نعتبرها جنديّة مجهولة وبطله من أبطال الكفاح الليبي.. رحمها الله وأسكنها فسيح جناته..

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169] (صدق الله العظيم).

وبما أن الجنرال أو (القائد) ذكر في كتابه أن عمر المختار تزوج من ثلاث نساء واحدة منهن استشهدت ولم يعرف اسمها غير أنني تعرفت على الأخ سعيد خطاب المنفى وهذا دليل على أنه أحد أقارب عمر المختار فوضح لي أن الشهيد عمر المختار تزوج ست نساء وليس ثلاثاً كما ذكر الجنرال وهن:

- 1 - زينة بنت بو أزوير البرعصي وأنجبت بنتاً لا تزال على قيد الحياة 2 - بنت السيفاط البرعصي لم تنجب 3 - بنت بو فروه البرعصي لم تنجب وهي لا تزال على قيد الحياة.. ورابعة من الإخوان السنوسيين وأنجبت ابنه محمد عمر المختار ولا يزال حياً
- 5 - ابنة محمد بو نجوة المسماري الذي استشهد في إحدى معارك الجهاد، كما أن هذه الزوجة استشهدت في معركة ميراد مسعود 6 - فاطمة بنت محمد بو نجوة المسماري شقيقة الشهيدة التي قتلت في معركة ميراد مسعود الشهيرة وأنجبت الزوجة الأخيرة بنتاً من عمر المختار وهي لا تزال على قيد الحياة هي وابنتها. وإني إذ أشكر الأخ سعيد خطاب على تكريمه بتزويدي بهذه المعلومات القيمة أهيب بلجنة إعادة صياغة تاريخ الجهاد أن تهتم بهذه العناصر لتستفيد ولو بالقليل من معلوماتهم. «المترجم».

وطنه العربي وبالأخص ليبيا، يكره الأتراك لأنه يعتبرهم دخلاء وأجانب عن وطنه ويتحاشون أن يصطدموا به ويتوسلون بنفوذه لجباية الضرائب والأعشار من القبائل الخاضعة له وبالأخص قبيلة العبيد خوفاً من أن تقابلهم هذه القبائل بالرصاص بدل دفع الضرائب والأعشار، وعندما أعلنت الحرب بين إيطاليا وتركيا في ذلك الوقت، كان عمر المختار في الواحات بالدواخل ورجع إلى الجبل، إلى زاويته ومنذ ذلك التاريخ أصبح أحد الدعاة إلى الجهاد المقدس والدفاع عن حياض الوطن ومقاومة جنودنا الزاحفة. فبدأ بتجنيد المجاهدين وتدريبهم من كل القبائل وبالأخص قبيلة العبيد التي يرأسها. وبعد احتلال بنغازي انضم عمر المختار إلى (دور بنينة) ومنها قاد الهجوم على مدينة بنغازي وخطوطها الأمامية وكانت معركة حامية الوطيس، ضاع فيها الكثير من الجنود وتكبد العدو فيها خسائر فادحة. . (كلمة العدو: يعني المجاهدين). . فانسحب عمر المختار من بنينة إلى الجبل (منطقة العبيد) وبدأ في تحريض أتباعه إلى الاستيلاء على قوافلنا التموينية وأشعل مشاعل الثورة في المنطقة وأسس معسكرات (القصور) و(تاكنس) وتحركت قواتنا ضدها في شهر سبتمبر 1913م حيث التقت بقوات الثوار ودار قتال عنيف انتهى بانسحاب الثوار من المنطقة، بعد أن تكبدوا خسائر فادحة. بعدها دعاه (إدريس) إلى قيادة المعسكرات الأخرى في دواخل برقة نظراً لما أبداه عمر المختار من براعة في إدارة دفة القتال وتأثيره الشخصي على كل القبائل في برقة وأطاعته الكبرى في تنفيذ الأوامر الحقيقية الصادقة المخلصة.

بعد ذلك، رجع إلى منطقة البطنان بين أهله حيث قبيلة (المنفة) (مريم) (الشواعر) و(الحبون)، لأنه بعد معارك (بير الواعر) و(بوتونس) ضد القوات الإنكليزية أصبحت حالتها الاقتصادية صعبة نظراً لإغلاق الأسواق التجارية بمنطقة السلوم فكان بعض هذه القبائل يجبذ التسليم، والخضوع لسلطاننا وكان عمر المختار غير راض عن هذا الرأي بل حمل على كل من يفكر في هذا الموضوع ويقال إن بعض أقاربه قاموا في وجهه وقرروا الاستسلام، فتركهم

ورجع إلى الجبل لقبيلة العبيد وكان ذلك في سنة 1918م وأثناء هذه السنة كان إدريس السنوسي كلفه في مهمات اتصالية بين القبائل.

وفي شهر يونيو 1922م قام بدعاية واسعة النطاق في عدة مناطق من الجبل الأخضر بخصوص وحدة البلاد برقة وطرابلس وفزان، وقد تحصل على موضوع توقيع المضبطة من أكثر مشايخ القبائل وأعيان ووجهاء المدن والقرى لعرضها على زعماء طرابلس ومشايخها من أجل وحدة البلاد وتوحيد الصفوف لمحاربة جيوشنا الإيطالية، والعمل سوياً على طردنا من ليبيا وإعلان الحرب على الدولة الإيطالية.

أما وصف عمر المختار فهو معتدل الجسم عريض المنكبين شعر رأسه ولحيته وشواربه بيضاء ناصعة، عمر المختار يتمتع بذكاء حاضر وحاد كان مثقفاً ثقافة علمية ودينية له طبع حاد ومندفع يتمتع بنزاهة خارقة لم يحسب للمادة أي حساب متصلب ومتعصب لدينه، وأخيراً كان فقيراً، لا يملك شيئاً من حطام الدنيا إلا حبه لدينه ووطنه رغم أنه وصل إلى أعلى الدرجات حتى أصبح ممثلاً كبيراً للسنوسية في ليبيا كلها⁽¹⁾.

بالرغم من ماضي عمر المختار المليء بالأحداث الحربية ضدنا ومن تاريخ 1922م، نودي به رسمياً شيخ زاوية القصور (بقرار ملكي) يعني ملك إيطاليا بتاريخ 10 أغسطس 1922م (رقم 2183 قرار ملكي) يقول:

«بعد الاطلاع على المادة الرابعة من اتفاقية الزاوية السنوسية الموقعة بتاريخ 16 أغسطس 1921م وبعد الاطلاع على رسالة صاحب السمو الأمير

(1) إن هذا الوصف الشامل الدقيق الذي وضحه الجنرال في كتابه يدل بوضوح على عظمة عمر المختار وقدرته الشخصية فتقلد أكبر المناصب وخاض أكثر المعارك وصفه بصفات الرزع والتدين وهذا حق وصفه بأنه مثقف ثقافة دينية وعلمية وهذا أيضاً حق وصفه بشدة المراس والصبر على الشدائد. هذه صفات اعترف بها الجنرال غرازياني عدو عمر المختار اللدود مما زاده فخراً وجعله سيد وقته رحمه الله وأكرم مثواه. «المترجم».

إدريس السنوسي التي عين فيها عمر المختار شيخ زاوية القصور بقرب المرج.

قرر:

1 - الشيخ عمر المختار، أعترف به رسمياً شيخ (زاوية القصور) بمكافئة شهرية قدرها 900 فرنك صافية (تعادل 999,45 فرنك إجمالية) تدفع على كل ثلاثة أشهر مقدمة اعتباراً من أول يوليو 1922م.

2 - يكلف متصرف المرج بالقيام بدفع المبالغ من البنك المالي على المادة 10 من الميزانية الجارية التي ستكون موازية إلى العمليات المقبلة الخاصة بميزانية «برقة». ولكن عمر المختار بقي كما هو لم يقبل بل أصم أذنيه ورفض كل المحاولات التي استخدمت من أجل استدراجه إلى الخضوع والاستسلام وكان شديداً مع حامل الرسالة والمرسوم ولولا الحظ لكان نصيبه الشنق أو الرمي بالرصاص.

ومنذ تاريخ 1923م إلى اليوم الذي ألقى القبض فيه على عمر المختار، بقي دائماً فوق الجبل ينظم الهجمات ويقود المعارك، دائماً في المقدمة لتكون الحركة الحربية حامية. فكان المثل الأعلى في الحكمة والقيادة وكلمته مسموعة ومنفذة وأوامره سارية على كل القبائل وسكان المدن والقرى من أجل تغذية الروح الثورية بين أفراد الشعب الليبي.

إلقاء القبض على عمر المختار:

في صباح يوم 11 سبتمبر 1931م وصل الخبر برقياً إلى الحكومة من متصرفية الجبل هذا نصها:

«بالقرب من (سلنطة) فرقة الفرسان (الصواري) قبضت على وطني وقع من على جواده أثناء المعركة وقد تعرف عليه عساكرنا بأنه عمر المختار» ونظراً للخبر المهم ومن أجل التأكد والتحقيق أمرت الحكومة متصرف الجبل الكومندتور (الوجيه داود ياتشي) فجهزت طائرة خاصة لنقله إلى (سلنطة) على

الفور للتعرف على شخصية الأسير وتثبيت هويته إن كان هو رئيس الثوار عمر المختار أم لا لأنه التقى به عدة مرات أثناء المفاوضات السابقة وبعد أن تأكد الجميع بأن الأسير هو عمر المختار وخير من عرف به هو متصرف الجبل، وسرى الخبر سريان البرق وصدرت الأوامر بنقله إلى سلنطة ومنها إلى سوسة تحت حراسة شديدة حيث وصلها عند الساعة السابعة عشر من مساء نفس اليوم 11 سبتمبر 1931م دون أي عائق، أو حادث أثناء الطريق من سلنطة إلى سوسة. مكث هناك في انتظار الطراد الحربي (أورسيني) الذي تحرك من بنغازي خصيصاً ليعود بالأسير إلى بنغازي وفي أثناء الرحلة تحدث معه بعض السياسيين التابعين لإدارتنا ووجهوا إليه الأسئلة، فكان يجيب بكل هدوء وبصوت ثابت وقوي دون أي تأثر بالموقف الذي هو فيه وفي يوم 12 سبتمبر 1931م عند الساعة السابعة عشرة وصل الطراد (أورسيني) إلى ميناء بنغازي حاملاً معه الأسير عمر المختار. . ويرافقه المتصرف (داود ياتشي) والمقدم (لتيونت كولونيل) كاستريوتا وفي أثناء الرحلة كان متصرف الجبل يتحدث معه ويذكره. . بتلك المحادثات والمفاوضات التي حدثت في سنة 1929م من أجل تهدئة الأحوال في المنطقة فكان يردد له كل ما حدث في ذلك الوقت كذلك الشارف الغرياني اتصل به في السجن وتعرف عليه وتحدث معه وهذا زاد في التأكيد أن الأسير هو عمر المختار، إن المحادثة مع الشارف الغرياني كانت مقتصرة على أن يزوده بملابس أخرى نظيفة بدلاً من ملابسه الرثة والملطخة بالدماء من أثر الجروح التي بجسمه.

وعند وصول الأسير إلى بنغازي لم يسمح لأي مراسل لأي جريدة أو مجلة بنشر أخبار أو مقابلات وكان على الرصيف مئات من المشاهدين ولكن لم يتمكن أي شخص مهما كان مركزه أن يقترب من الموكب المحاط بالجنود المدججين بالسلاح ونقل فوق سيارة السجن تصحبه قوة مسلحة بالمدافع الرشاشة حيث أودع في زنزانة صغيرة خاصة منعزلة عن كافة السجناء

السياسيين وتحت حراسة شديدة وجديدة⁽¹⁾. إن خبر القبض على عمر المختار أوجد رجة في دوائر الحكومة وبين الأوساط الشعبية وكذلك في الخارج حتى أصبح له تأثيره الكبير وأصبح حديث الجميع وعندما أجري التفتيش عليه وجدت معه أحزمة من الورق تدل على أنها وثائق رسمية ولكن لم تكن ذات أهمية كبرى.

أثناء الرحلة من سوسة إلى بنغازي أعطى لنا معلومات هامة عن كيفية سقوطه في الأسر والقبض عليه قائلاً بعدما ضرب جواده وسقط به على الأرض فجرحت يده اليمنى مما سببت له بعض التشقق في عظام ذراعه ورغم هذا الألم حاول جر نفسه لبيتعد ويختفي في إحدى شجرات الغابة ولكن فرقة الفرسان حالت بينه وبين غرضه وقد تعرف عليه أحد الصواري من فرقة الفرسان وسرعان ما أحاطت به قواتنا وقد تأسف كثيراً أثناء حديثه بأن رفاقه حاولوا إنقاذه بكل وسيلة وقد ضاع منهم بعض الرفاق ولكن الكثرة حالت دون بغيتهم كذلك قلة الذخيرة لها عاملها الأصلي في عدم إنقاذه وأثبت كذلك أن وقوعه في الأسر لا يعني توقف الثورة والجهاد بل هناك أربعة من القادة يحلون

(1) كنت من الذين أسعدهم الحظ على أن يتكلموا مع بطل الجهاد عمر المختار أثناء قيامه في السجن فقد أوقفوا كل الأهالي المعتبرين في مراكز الأمن والسجون وكان نصيبي في سجن بنغازي المركزي وعندما أتى بعمر المختار غيروا الحراس المحليين بحراس أريتريين والموظفين بإيطاليين من الحزب الفاشيستي وبعد أن أودعوه في الزنزانة كان هناك سرير من خشب وقماش وعلى الأرض قطعة من السجاد البالي لأجل وضع الرجلين عليه فسحبها الشهيد بقرب الجدران وجلس عليها واستند على الجدران ومد رجله إلى الأمام وعندما كان مدير السجن يتجول على زنزانات السجناء رأى الشهيد جالساً على الأرض ولم يستطع أن يسأله لماذا هو جالس على الأرض. ولأن المدير لا يعرف العربية فناداني من بين السجناء السياسيين وطلب مني أن أترجم سؤاله فسألت الشهيد، فأجاب بصوت هادر كالأسد الهصور: قل له أنا أعرف أين أجلس لا يحمل همأ فهذا ليس من شأنه فترجمت الكلام فأنصعق المدير واصفر وجهه وقال هيا ارجع إلى مكانك بلهجة الأمر غير أن قلبي كاد يطير من جسدي فرحاً عندما سمعت هذه الإجابة القاطعة رحم الله عمر المختار كم كان عظيماً وهو قائد وأعظم وهو أسير. «المرّجم».

محلي وهم: الشيخ حمد بو موسى، عثمان الشامي الشيخ عبد الحميد العبار ويوسف بو رحيل المسماري وهذا الأخير هو أقربهم إليه لأنه كان دائماً بجانبه وقد بالغ كثيراً بالنسبة لعدد الجنود فقد قال إن دوره يتكون من 500 مقاتل عادي و400 فارس بينما حسب تقارير طائراتنا الاستكشافية جاء فيها أن عدد الجنود التابعين لعمر المختار لا يزيد عن 150 مائة وخمسين مقاتلاً ثم سئل ما هو الهدف من انتقال المقاتلين إلى وادي (بوطاقي) فأجاب الهدف هو الاستيلاء على قوافلكم التموينية العسكرية لنحصل على المؤن والسلاح. واستطرد قائلاً وشارحاً أن وقوعه في الأسر لا يؤثر ولا يغير سير القتال أو وضع الدور بل سيزداد قساوة، ثم أضاف إني أحارب الإيطاليين الفاشيستين لا لأنني أكره الشعب الإيطالي ولكن ديني أمرني بالجهاد فيكم لأنكم أعداء الوطن، وأثبت أيضاً أنه هو الذي أصدر الأمر إلى جنوده بالهجوم على (قصر بن أقدين) والاشتباك مع وحدة الضبطية المتعاونة معنا في شهر نوفمبر 1929م وقال أنه كتب رسالة إلى المارشال بادوليو ولم يتلق الرد عنها فصمم على الهجوم وأعطى أوامره بخوض المعركة من أجل الحركة التي قامت بها الحكومة وهي تغيير بنود الاتفاقية وتقريب الحسن الرضا، وتحريضه ضد الثوار حيث أسست له دوراً مضاداً لعمر المختار وجنوده بينما الحكومة الإيطالية تعرف مسبقاً أنه الوحيد الذي تفاوضت معه، ونظراً لأن القوات المحاربة أي الثوار تحت قيادته وأنه الوحيد المسؤول عنها وأضاف قائلاً: إن الخلاف بينه وبين الحكومة الإيطالية ابتدأ من محادثة سيدي رافع. وبعد هذا تطرق عمر المختار إلى مواضيع أخرى ليست ذات أهمية كبرى قال هذه الكلمات التاريخية (إن وقوعي في الأسر بكل تأكيد بأمر الله وسابق في علمه سبحانه وتعالى والآن أنا بين يدي الحكومة الإيطالية الفاشيستية وأصبحت أسيراً عندها والله يفعل بي ما يشاء. أخذتموني أسيراً ولكم القدرة أن تفعلوا بي ما تشاؤون والذي أريد أن أقوله بكل تأكيد لم أفكر في يوم من الأيام أن أسلم نفسي لكم مهما كان الضغط شديداً ولكن مشيئة الله أرادت هذا فلا راد لقضاء الله).

إن القبض على رئيس الثوار حدث بينما أنا كنت متهيئاً للسفر إلى فرنسا.. لقضاء إجازة هناك وقبل أن أترك بنغازي أصدرت التعليمات اللازمة إلى جهات الاختصاص ينت لهم فيها الحالة الراهنة في البلاد.

منذ سنة ونصف تقريباً مضت على تنفيذ برنامج الحكومة وهو القضاء على العصيان والعصاة (يعني الثوار) في برقة بحيث نبين مدى وصولنا في نقطة الأهداف وما الذي يجب أن نعمله حتى نصل إلى ما نصبو إليه وهو هدفنا المنشود إتمام بقية برنامج الحكومة الذي يتلخص في النقاط الآتية:

1 - الإجراءات التي اتخذت من أجل عزل العصاة وإبعاد مساعديهم قد تم تقريباً، وفي آخر هذا الشهر سننتهي كلياً من مد خط الأسلاك الشائكة المكهربة على الحدود المصرية.

2 - لماذا إذن المقاومة؟ لأن عمر المختار قبل كل شيء لن يسلم أبداً لأن طريقته في القتال ليست كالقادة الآخرين فهو بطل في إفساد الخطط وسرعة التنقل بحيث لا يمكن تحديد مواقعه لتسديد الضربات له ولجنوده، أما غيره من الرؤساء، مثل السنوسيين فإنهم أسرع من البرق عند الخطر فيهربون إلى القطر المصري تاركين جنودهم على كفة القدر معرضين لخطر الفناء.

عمر المختار عكس هذا فهو يكافح إلى أبعد حد لدرجة العجز ثم يغير خطته ويسعى دائماً للحصول على أي تقدم مهما كان ضئيلاً بحيث يتمكن من رفع الروح العسكرية مادياً ومعنوياً حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.. وهنا يسلم أمره الله كمسلم مخلص لدينه.

إن عمر المختار كان يتمنى كما يتمنى الآخرون من ثوار وخاضعين لسلطاننا أن يحدث تغيير في سياسة الحكومة بحيث ينتهي القتال وترجع الحياة فوق أرض الأجداد القديمة حتى يتمكن هؤلاء البؤساء من السكان من ممارسة

أعمالهم نحو التقدم والإنتاج متوازية مع أعمال الحكومة العمرانية من أجل ازدهار (برقة) وتقدمها.

3 - ما الذي يجب أن نعمله إذا؟ «إن التمسك بخططنا المرسومة من غير أن نحيد عنها قيد أنملة واحدة وإفهام كل الشعوب من السكان أن لا ينخدعوا بأن هناك أملاً في تغييرها بالعكس نتمسك بكل ما نملك من قوة بالمحافظة عليها.

«تنسيق وتنظيم ومراقبة النواجع أينما كانت. وكذلك معسكرات الخاضعين لسلطاننا والعناية بها في شتى المجالات المادية والمعنوية.

«قاتلوا دائماً وبدون هوادة بقايا العصاة (يعني المجاهدين) أينما وجدوا فوق الجبل، أو غيره وبالأخص في منطقة الحدود المصرية، أما في منطقة المؤخرة فهناك مراقبة شديدة وخاصة بعد احتلال (وادي المراه) وفوق كل هذا إيماننا القوي بأعمالنا التي يجب أن نأخذ كل الاحتياطات من أجل أن لا نقع في الأخطاء اليومية، وبقيننا مطلق على أن قضيتنا القانونية التي نعمل من أجل تثبيتها، هي حقيقة ثابتة تقربنا من النصر النهائي.

فإلى الأمام وبحماس مجدد نحو الهدف المقبل المنشود وهو النصر.

جاءني الخبر بإلقاء القبض على عمر المختار في مساء يوم 12 سبتمبر 1931م عندما كنت متهيئاً لركوب القطار للسفر إلى بارس لحضور افتتاح معارض المستعمرات وفي صباح يوم 13 سبتمبر 1931م، سافرت بالطائرة من (استينا) إلى طرابلس، وفي يوم 14 سبتمبر 1931م، سافرت من طرابلس إلى بنغازي، حيث وصلتها في المساء بعد محادثتي مع وزير المستعمرات (دي بونو) والمارشال (بادوليو) بخصوص انعقاد المحكمة الخاصة مساء يوم 15 سبتمبر 1931م وفي صباح هذا اليوم أمرت بإحضار عمر المختار إلى مقر الحكومة رغبة مني للتحدث معه قبل المحاكمة وكذلك مقابلة أعضاء المحكمة قبل انعقادها، وفعلاً أتى به ورأيت.

وعندما حضر أمام مدخل مكتبي تهيأ لي أنني أرى فيه شخصية آلاف المرابطين الذين التقيت بهم أثناء قيامي بالحروب الصحراوية، يدها مكبلتان بالسلاسل، رغم الكسور والجروح التي أصيب بها أثناء المعركة وكان وجهه مضغوطاً لأنه كان مغطياً رأسه (بالجرد) ويجر نفسه بصعوبة نظراً لتعبه أثناء السفر بالبحر.

وبالإجمال يخيل لي أن الذي يقف أمامي رجل ليس كالرجال له منظره وهيئته رغم أنه يشعر بمرارة الأسر. ها هو واقف أمام مكتبي نسأله يجيب بصوت هادئ وواضح وكان ترجماني الخاص المخلص النقيب (كابتن) خليفة خالد الغرياني الذي أحضرته معي خصيصاً من طرابلس ووجهت له أول سؤال، لماذا حاربت بشدة متواصلة الحكومة الفاشستية؟

ج - من أجل وطني وديني.

س - هل كنت تأمل في يوم من الأيام أن تطردنا من برقة بإمكانياتك الضئيلة وعددك القليل؟

ج - لا هذا كان مستحيلاً.

س - إذا ما الذي كان في اعتقادك الوصول إليه؟

ج - لا شيء إلا طردكم من بلادي لأنكم مغتصبون، أما الحرب فهو فرض علينا وما النصر إلا من عند الله...

س - لكن كتابك يقول: «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» بمعنى لا تجلبوا الضرر لأنفسكم ولا لغيركم من الناس، القرآن يقول هذا.

ج - نعم.

س - إذا لماذا تحارب؟

ج - كما قلت من أجل وطني وديني.

فما كان مني إلا أن قلت له لا أنت تحارب من أجل السنوسية تلك المنظمة التي كانت السبب في تدمير الشعب والبلاد على السواء وفي الوقت نفسه كانت المنظمة تستغل أموال الناس بدون حق هذا هو الحافز الذي جعلك تحاربنا لا الدين والوطن كما قلت ..

عمر المختار : نظر إلي نظرة حادة كالوحش المفترس : لست على حق فيما تقول ولك أن تظن ما ظننت ولكن الحقيقة الساطعة التي لا غبار عليها أنني أحاربكم من أجل ديني ووطني ، لا كما قلت .

بان على وجهه بعد أن زال الجرد من على رأسه .. واستطردت في توجيه الأسئلة إليه :

س - لماذا قطعت المهادنة السارية وأمرت بالهجوم على (قصر بن قدين)؟

ج - لأنه منذ شهر أرسلت رسالة إلى المارشال (بادوليو) ولم يجيبني عنها وبقيت بدون رد حتى الآن ..

يقول الجنرال : لا ، أنت أردت قطع المهادنة لحاجة في نفسك وهاك الدليل وقرأت له البيان الذي نشره فوق الجرائد المصرية بتوقيعه ، لم يرد في بادئ الأمر وحنى رأسه مفكراً ثم قال :

عمر المختار : نعم نشرت البيان في مصر بتوقيعي ولكن ليس هذا هو الدليل وإنما هو عدم تجاوبكم معنا في تنفيذ شروط الهدنة ، ولم يزد شيئاً بل حنى رأسه أعياء .

س - هل أمرت بالفعل بقتل الطيارين هوير وبياتي؟

ج - نعم ! كل الأخطاء والتهم في الواقع هي مسؤولية الرئيس والحرب هي الحرب .

الجنرال : قلت له هذا صحيح لو كانت حرباً حقيقية لا قتل وسلب كيف حروبك؟

عمر المختار : هذا رأي، فيه إعادة نظر وأنت الذي تقول هذا الكلام ولا زلت أكرر لك الحرب هي الحرب.

الجنرال : بموقفك في موقعة (قصر بن قدين) ضيقت كل أمل وكل حق في الحصول على رحمة وعفو الحكومة الإيطالية الفاشيستيّة.

عمر المختار : مكتوب! وعلى كل عندما وقع جوادي وألقي القبض علي كانت معي ست طلقات وكان في استطاعتي أن أدافع عن نفسي وأقتل كل من يقترب مني حتى الذي قبض علي وهو أحد الجنود من فرقة الصواري المتطوعين معكم وكان في إمكاني كذلك أن أقتل نفسي.

الجنرال : ولماذا لم تفعل؟

عمر المختار : لأنه كان مقدراً أن يكون.

الجنرال : ولكن قد تحقق فيما بعد إلقاء القبض عليه كانت بندقيته فوق ظهره وبسقوطه على الأرض لم يستطع نزعها وبالتالي لم يتمكن من استعمالها بسرعة وكذلك من أثر الجروح والكسر الذي بيده اليمنى وهذا في الحقيقة جدير بالاعتبار، والتقدير⁽¹⁾ واستطرد:

عمر المختار : كما ترى أنا طاعن في السن على الأقل اتركني بأن أجلس.

(1) هذا الجنرال غرازياني إبان طفيلانه وجبهوته ونشوة انتصاره يعترف بقوة عمر المختار ويقدر فيه الروح النضالية التي لم ير لها مثيلاً في كل الحروب وقد صدق شوقي رحمه الله حيث قال: جرح يصيح على المدى وضحية تنلمس المحريرة الحمراء «المترجم»

الجنرال : أشرت له فجلس على كرسي أمام مكتبي وفي هذه الأثناء ظهر لي وجهه بوضوح وقد زالت رهبة الموقف وأخذ عمر المختار يتحرر منها شيئاً فشيئاً، وقد تأملته جانبياً فرأيت في وجهه بعض الإحمرار، جالس أمامي هذا هو الرئيس المرهوب وبدأت أفكر كيف كان يحكم ويقود المعارك. وبينما هو يتكلم كانت نظرتة ثابتة إلى الأمام وصوته تابع من أعماقه ويخرج من بين شفثيه بكلمات ثابتة وبكل هدوء. وفكرت ثانية هذا هو القديس، لأن كلامه عن الدين وعن الجهاد يدل بكل تأكيد أنه مؤمن صادق يتكلم عن الدين بكل حماس وتأثر. ثم قلت له فجأة: بما لك من نفوذ وجاه في كم يوم يمكنك أن تأمر العصاة (يعني الثوار) بأن يخضعوا لحكمنا ويسلموا أسلحتهم وينهوا الحرب؟

عمر المختار : مجيباً أبداً كأسير: لا يمكنني أن أعمل أي شيء واستطرد قائلاً: وبدون جدوى نحن الثوار سبق أن أقسمنا أن نموت كلنا الواحد بعد الآخر ولا نسلم أو نلقي السلاح وأنا هنا لم يسبق لي أن استسلمت وهذا على ما أظن حقيقي وثابت عندكم.

الجنرال : قلت له وأنا متماسك - يمكن ذلك لو تم تعارفنا في وقت سابق والخبرة الطويلة التي أخذتها عليكم لكان علينا أن نصل إلى أحسن حال في سبيل تهدئة البلاد وازدهارها.

عمر المختار : رفع حاجبيه بكل عمق وبصوت جهوري، وثابت قال: وإذا لم يكن اليوم هو ذلك اليوم الذي تقول عنه؟

الجنرال : فأجبت: لقد فات الأوان.

وعند هذا الحد رأيت أن نوقف المحادثة فيما بيننا. ربما عمر المختار

فكر في تلك اللحظة أن الحكومة الإيطالية ستبعثه إلى الجبل من أجل أن يسلم أتباعه السلاح ويخضعوا إلى سلطتنا ولكن لا! لقد قالها منذ لحظات بأنهم يموتون جميعاً ولن يستسلموا وعليه لقد فات الأوان وقتها بنفسك لا فائدة من المحاولة.

إن الأمل الذي لاح منذ قليل قد انهار ولم يعد. ثم قلت له: هل تعرف هذه وعرضت عليه نظاراته في إطارها الفضي.

عمر المختار: نعم إنها لي وقد وقعت مني أثناء إحدى المعارك وهي معركة (وادي السانية).

الجنرال: فأجبت: منذ ذلك اليوم اقتنعت بأنك ستقع أسيراً بين يدي.

عمر المختار: مكتوب! هل ترجعها لي لأنني لم أعد أبصر جيداً بدونها واستطرد يقول ولكن ما الفائدة منها الآن هي وصاحبها بين يديك.

الجنرال: قلت له: مرة أخرى أنت تعتبر نفسك محمياً من الله وتحارب من أجل قضية مقدسة وعادلة؟

عمر المختار: نعم وليس هناك أي شك في ذلك. قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: 51] صدق الله العظيم.

إذاً استمع إلى ما أقوله لك أمام قواتي المسلحة من نالوت إلى الجبل الأخضر في برقة كل مشايخ ورؤساء العصاة (يعني رؤساء الثوار) منهم من هرب ومنهم من قتل في ميدان القتال ولم يقع منهم أي أحد حياً في يدي. أليس من العجيب أن يقع أسيراً بين يدي حياً من كان يعتبر أسطورة الزمن الذي لم يغلب أبداً بل المحمي من الله دون سواه؟؟.

عمر المختار: تلك مشيئة الله.. قالها بصوت يدل على قوة وعزم.



المبنى الذي جرت فيه محاكمة الشهيد عمر المختار وقد هدم هذا المبنى وبقي ذكرى في نفوس الملايين من العرب الذين يتفخرون بعمر المختار وبطلته



المجاهد الشهيد السيد أحمد الشريف



الظليان النفاثيست يكلون رجلي الشهيد عمر المختار بسلاسل الحديد بعد أسره وتراهم يضعفكون ولا يضلون



عمر المختار مكبلًا بالحديد بعد أسره تمهيداً لقتله على أيدي المجرمين الفاشيست دون أن يرحموا شيخوخته أو يقدرُوا نضاله وبطولته في سبيل وطنه



الشيخ الجليل البطل الشهيد عمر المختار

قوات الحراسة التابعة لإيطاليا الفاشستية أثناء نقل التراجع والمواشي حيث قضي على عشرات آلاف الماشية
على يد القوات الإيطالية التي ارتكبت من الجرائم ضد الإنسان وحتى ضد الحيوان ما أصبح حديث العالم يومئذ



زاوية سرت، بالجبل الأخضر أعضاء الوفد الإيطالي للمفاوضات التي فشلت في عام 1928 لأن الإيطاليين كانوا يهدفون من وراءها ضرب الثورة والقضاء على الثوار

الأسلاك الشائكة المكهربة على طول الحدود المصرية الليبية والتي تحدث وتبجح بها غراسياتي وأنها كانت عاملاً مهماً في القضاء على الثورة والثوار

الجنرال : قلت له - الحياة وتجاربها تجعلني أعتقد وأؤمن بأنك كنت دائماً قوياً ولهذا فإنني أتمنى أن تكون كذلك مهما يحدث لك ومهما تكن الظروف.

عمر المختار : أجاب : إن شاء الله ..

الجنرال : عندما وقف ليتيهاً للانصراف ، كان جبينه وضاء كأن هالة من نور تحيط به فارتعش قلبي من جلاله الموقف أنا الذي خاض معارك الحروب العالمية ، والصحراوية ، ولقيت بأسد الصحراء ، ورغم هذا فقد كانت شفتاي ترتعشان ولم أستطع أن أنبس بحرف واحد فانتهدت المقابلة وأمرت بإرجاعه إلى السجن لتقديمه إلى المحاكمة في المساء ، وعند وقوفه حاول أن يمد يده لمصافحتي ولكنه لم يتمكن لأن يديه كانت مكبلة بالحديد⁽¹⁾.

لقد خرج من مكثي كما دخل علي وأنا أنظر إليه بكل إعجاب وتقدير.

الجنرال - الآن انتهت مأساة برقة . وطلبت الاجتماع مع رئيس المحكمة الخاصة العقيد المساعد (مارينوني) والمدعي العام المحامي حامل وسام الضابط الفارس من النجمة الإيطالية (بيدندو) ، والنقيب (لونتانو) للدفاع ، وكلفتهم باتعداد الجلسة على الفور ومحاكمة عمر المختار زعيم العصاة (يعني زعيم الثوار) وبالفعل وفي نفس اليوم وعند الساعة السابعة عشر 15 سبتمبر 1931م انعقدت المحكمة بعمارة الحزب الفاشيستي أي مقر مجلس النواب

(1) الله أكبر . . إن عمر المختار المجاهد الكبير نزلت السكينة على قلبه وخاطب عدوه بكل شجاعة دون وجل أو خوف ، وهناك قصره في جنة الخلد فطوبى له من شهيد عظيم قال شوقي:

وأتى الأمير يجر ثقل حديده أسد يجرر حية رقطاء «المرجم»

البرقاوي⁽¹⁾ أيام إمارة إدريس السنوسي مع الحكومة الإيطالية .

وفيها أحضر عمر المختار لكي يحاكم وعند اكتمال الهيئة نودي على عمر المختار وسئل عن عمره وتاريخ مولده فأجاب عنها⁽²⁾ فقام المدعي العام وبين أعمال عمر المختار واعتدائه المتكررة على البلاد والسكان الأمنين وطالب الحكم عليه بأشد العقوبات، وهي الإعدام .

وجلس، ثم وجه القاضي السؤال إلى المحامي المنتدب للدفاع عن عمر المختار إذا كان لديه ما يعلق على كلام المدعي العام والتهم الموجهة إلى موكله وكان في اعتقاد القاضي أن المحامي سيؤيد كلام النائب العام ولكن المحامي خيب ظنه ودافع عن المتهم دفاعاً حقيقياً وهذا نصه :

المحامي - النقيب لونتانو - سيدي القاضي إن هذا المتهم الذي انتدبت للدفاع عنه وكنت متردداً في أول الأمر ولكن ضميري حدثني بأنها إنسانية مني لا بد من قبول الدفاع وها أنا أقف أمامكم لأقول لو أنني التقيت بهذا الرجل في الشارع لم أتردد لحظة في سحب مسدسي هذا وإطلاق النار عليه حتى أريه قتيلاً لأنه عدوي وعدو دولتي، غير أن الذي أريد أن أقوله أن هذا الرجل عمر

(1) لقد أزيلت هذه العمارة التي كانت آية في الزخرفة والجمال وقد تضررت أثناء الحرب، وكان في الإمكان تصليحها والإبقاء عليها لأنها المكان الذي حوكم فيه شيخ الشهداء عمر المختار ولكن شاءت إرادة الملك بأن تطمس هذه الحقيقة وتبقى مكانها عمارة المجلس التشريعي البرقاوي . وهكذا تتلاشى صورة هذا المكان وتبسى المآسي التي حدثت فيه ولكنها لن تمحى من قلوب المخلصين . . فعمر المختار ورفاقه الشرفاء في قلوبنا جميعاً لن ننساهم وكذلك المكان، فهو باق في الصورة وفي مخيلاتنا إلى الأجيال القادمة . «المرجم» .

(2) كان هناك وتل من المترجمين أذكر من بينهم نصري هرمز وهو سوري الجنسية، وخوري باسيليو قبطي والنقيب الكابتن خليفة خالد الغرياني والمرحوم عزت غنيم ونيشان ترجمان محكمة الاستئناف وعيدان يهودي الأصل (ودي بندتو) إيطالي الأصل وكانت القاعة مليئة بكبار ضباط الجيش والحزب الفاشيستي وقوة الأمن كلهم إيطاليون، ولا يوجد من الوطنيين حاضر في المحكمة إلا عدد قليل من الصحافة وكان من بينهم الدكتور علي نور الدين العنيزي ومترجم الكتاب إبراهيم سالم بن عامر مكلفاً من قبل مدير السجن لسماع حوار المحكمة وترجمتها له . «المرجم» .

المختار يدافع عن حقيقة كلنا نعرفها، وهي الوطن وكم ضحينا نحن في سبيل الوطن وتحريره.

القاضي - أرى أن المحامي غير من رأي المحكمة وهنا احتج المدعي العام، وفعلاً القاضي أمر المحامي بأن لا يخرج عن الموضوع ويتكلم بإيجاز، وهنا تكلم المحامي بحدة وقال: هنا محل الشرح الكافي إذا كنا رجال العدالة الحقيقية. أما إذا كنا غير ذلك فيجب أن نترك الموضوع وأحكموا بمفردكم ولا لزوم لهذه المحكمة وجلساتها.

إن عمر المختار الذي هو أمامكم وليد هذه الأرض قبل وجودكم فيها ويعتبر كل من احتلها عنوة عدو له ومن حقه أن يقاومه بكل ما يملك من قوة حتى يخرج منه أو يهلك دونها هذا حق أعطته له الطبيعة والإنسانية، وهنا كثر الصياح من الحاضرين بإخراج المحامي وإصدار الحكم على المتهم الذي طالب به المدعي العام. ولكن المحامي استمر قائلاً العدالة الحق لا تخضع لأي سلطان ولا لأية غوغاء وإنما يجب أن تنبع من ضميرنا وإنسانيتنا وهنا قامت الفوضى خارج المحكمة، وقام المدعي العام محتجاً على المحامي، ولكن المحامي استمر في دفاعه غير مبال بكل هذا بل حذر القاضي على أن يحكم ضميره قائلاً: إن هذا المتهم عمر المختار الذي انتدبت من سوء حظي أن أدافع عنه شيخ هرم حنت كاهله السنون وماذا بقي له من العمر بعدما أتم السبعين سنة إنني أطلب من عدالة المحكمة أن تكون رحيمة في تخفيف العقوبة عنه لأنه صاحب حق ولا يضر العدالة إذا أنصفته بحكم أخف وإنني أطلب أن تحذر عدالة محكماتكم حكم التاريخ لأنه لا يرحم فهو عجلة تدور وتسجل كل ما يحدث في هذا العالم المضطرب.

وهنا كثر الضجيج في الخارج ضد المحامي ودفاعه.

ولكن المحامي استمر في دفاعه قائلاً:

المحامي - سيدي القاضي حضرات المستشارين - لقد حذرت المحكمة من مغبة العالم الإنساني والتاريخ وليس لدي ما أضيفه إلا طلب تخفيف الحكم على هذا الرجل صاحب الحق في الذود عن أرضه ودينه وشكراً.

وعندما قام النائب العام لمواصلة احتجاجاته قاطعه القاضي برفع الجلسة للمداولة وبعد مضي فترة قصيرة من الانتظار دخل القاضي والمستشاران والمدعي العام بينما المحامي لم يحضر تلاوة الحكم القاضي بإعدام عمر المختار شنعاً حتى الموت وعندما ترجم الحكم إلى عمر المختار فهقه بكل شجاعة قائلاً: الحكم حكم الله لا حكمكم المزيف ﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: 156].

وفي يوم 14 سبتمبر 1931 وحتى منتصف الليل والسيارات وسكة الحديد تنقل إلى مدينة سلوق كل السجناء السياسيين من العقيلة وأجدابيا وبرج شويليك وبنينه⁽¹⁾.

وفي يوم 16 سبتمبر 1931م عند الساعة التاسعة صباحاً بعد أن اصطف عدد كبير من السجناء السياسيين وأحاط بهم الجنود من كل جانب أتى بعمر المختار إلى الساحة ونفذ فيه حكم الإعدام وتقدر جملة الحاضرين لهذا التنفيذ بعدد كبير من مختلف الفئات يزيد عن عشرين ألف نسمة وكان الموقف مؤثراً للغاية.

وبعد أن تم التنفيذ أخذت الجثة ودفنت بمقبرة بنغازي المسماة بمقبرة سيدي أعبيد بالصابري ثم أرجع كل السجناء إلى المعتقلات. وباختفاء عمر

(1) إن جلب السجناء السياسيين من المعتقلات إلى ساحة تنفيذ الإعدام ونصب ثلاث مشانق نوع من الإرهاب اتخذته إيطاليا الفاشيستي لإذلال الأحرار وقهر نفوسهم ومن هؤلاء أعرف الكثير من بينهم من حضروا ذلك اليوم الأغبر ولا يزالون على قيد الحياة الأستاذ مصطفى بن سعود. «المرجم».

المختار زعيم الشوار انفتحت أمام برقة حياة جديدة سوف تكون هادئة مليئة بالتقدم والازدهار⁽¹⁾.

إن قبر عمر المختار موجود في تلك المقبرة بين آلاف القبور العادية سيظل مجهولاً إلى الأبد⁽²⁾. وما علينا إلا أن نهذب النشء الجديد على الطريقة الفاشيستي حتى ينسوا كل شيء ويصبحوا أبناء لروما الخالدة روما العظيمة.

(1) قال الجنرال إن برقة سوف تكون هادئة بعد استشهاد عمر المختار ولكن خاب ظنه فبرقة استمرت في نضالها بكل الوسائل وفي كل الأوقات. رحم الله شيخ الشهداء عمر المختار وقد صدق شوقي أمير الشعراء حيث قال:

دفعوا إلى الجلال أغلب ماجد يأسوا الجراح ويطلق الأسراء
ويشاطر الأقران ذخراً سلاحه ويصف حول خوانه الأعداء
ويقول شاعر القطرين خليل مطران:

أبيت والسيف يعلو الرأس تسليماً وجدت بالروح جود الحران ضيماً
لله يا عمر المختار حكمته في أن تلاقي ما لاقيت مظلوماً
أن يقتلوك فما أن عجلوا أجلاً قد كان مذكنت مقدوراً ومحتوماً

هذا هو عمر المختار وما قاله فيه عظماء الشعراء وأكبر الكتاب وسيظل خالداً إلى مدى الأجيال. «المترجم».

(2) إن الشعب العربي في ليبيا لن ينسى أبداً أبناء البررة الذين كافحوا من أجله وقد أخطأ الجنرال في قوله حين قال: سيظل عمر المختار وقبره مجهولاً إلى الأبد. أبداً بل يبقى عمر المختار وسائر المجاهدين الأحرار في قلوب الليبيين لن ينسوه أبداً جيلاً بعد جيل ولم يتمكن الفاشيست من تغيير أو تحويل الشعب العربي الليبي إلى فاشيستين كما زعم بل صبغت العداوة وأصبح الليبيون يتحينون الفرص للأخذ بالثأر إلى أن انبلج صبح الفاتح من سبتمبر وقامت الثورة المباركة وأجلت بل وطردت الفاشيستين من البلاد أحياء وأمواتاً. «المترجم».

الانحطاط النهائي

في يوم 25 أغسطس 1931 وقفت إحدى دورياتنا الصحراوية في منطقة بير احمينين الواقع بين (المخيلي) و(بير تنقدر) واستولت على قافلة مكونة من خمسة جمال محملة بالبضائع وأثناء التفتيش صودر طرد به 40 رسالة من عمر المختار موجهة إلى شخصيات سنوسية وسياسية وكذلك إلى تجار مصريين. هذه الرسائل لها علاقة بتهديب المؤن والأسلحة من القطر المصري. وهذا دليل مادي يدل على تعاون السلطات المصرية مع العصاة (يعني الثوار) وكذلك بعض المهاجرين الليبيين الخارجين من البلاد. وبعد الاطلاع على هذه الرسائل كلها اتضح أنها نداءات من الثوار يطالبون بمد المساعدات من المؤن والأسلحة وموقعة من الرئيس عمر المختار. وقد تبين منها أنه منذ صيف 1931م والثوار يعانون من نقصان المواد الغذائية وهذا دليل واضح على نجاح مد خط الأسلاك الشائكة على الحدود المصرية وكذلك هيئتنا السياسية في القاهرة حيث كانت تمدنا بالمعلومات الصحيحة هذه العوامل أثرت على الثوار وقد قربت نهايتهم ومن هنا يلاحظ أن الصحافة الإسلامية بدأت حملتها من جديد ضد سياستنا وتصرفاتنا ولكن أريد أن أقول لهم على السواء السنوسية وجميع المؤيدين لها بدل أن يهرجوا بالمظاهرات والخطب والمؤتمرات كان من واجبهم أن يسعفوا أخوانهم (الثوار) بالمؤن والسلاح لكي يقاوموا أكثر

ويستمرّوا في الضغط علينا إلى وقت آخر ربما يتغير فيه وجه السياسة ولكنهم لم يفعلوا. أدون ثلاث رسائل هامة من التي صودرت من القافلة مؤرخة في 22 أغسطس 1931م يشرح فيها عمر المختار الحالة المتدهورة في الدور.

هذه الرسائل كانت في مظروف فارغ ليست به رسالة مثل الرسائل الموجهة وتحمل عنوانها الخارجي إلى (الحاج مصطفى الجزائري) داخلها خمسة رسائل موجهة إلى الأمراء من العائلة المالكة المصرية هذا نصها:

صاحب السمو الملكي الأمير يوسف كمال حفظه الله ورعاه.

بعد التحية اللائقة بسموكم أعرض:

لا شك أن قلبكم المفعم بالحماس والمؤمن بالإسلام والمدافع عن قضاياها، الذي نحن حرمنا أنفسنا من الأكل والشرب والجهاد فرض علينا جميعاً كلها معلومة لدى سموكم الملكي. وحيث أن سموكم على علم بما ترتكبه السلطات الإيطالية من أعمال وحشية ضد أخوانكم المسلمين الضعفاء في ليبيا الذي أنتم بكل تأكيد على اتصال بكل الحوادث المؤلمة التي انصبت على رؤوس الشعب الليبي من شيوخ ورجال من نساء وأطفال. زد على ذلك الممتلكات والأموال. وإن مجموعة الثوار من أخوانكم العرب المسلمين في ليبيا منذ عشرين عاماً حاملين السلاح ضد المستعمر رغم الجوع والعطش لا يزالون يكافحون من أجل تحرير وطنهم وقد بعثوا نداءات إلى العالم الإسلامي طالبين مد يد المساعدة لهم ولكن لم تجد أذنأ صاغية ولم تجد من يرحمها سوى الله وبعض الإخوة المسلمين من أمثالكم والأبطال المصريين ومشايخ العربان في مصر العربية الذين قاموا بواجبهم لأن قلوبهم عامرة بالإيمان ومتحمسة للقضية الليبية لهذا أتجه لسموكم طالباً مد يد المساعدة الإسعافية من أعمالكم الخيرية وكرمكم الحاتمي.

نحن نستحق مساعدتكم بينما الآخرون يستحقون اللوم والازدراء وعدم التقدير والاحترام وسموكم يعلم عنهم كل شيء .

تحياتي الفاتقة لسموكم وإلى كافة أفراد أسرتم النبيلة .

7 ربيع الثاني 1350 هـ الموافق 22 أغسطس 1931 م .

وكيل الحاكم العام للجبل الأخضر

عمر المختار

مع أربع رسائل نسخة مماثلة بنفس الصيغة ونفس التاريخ موجهة إلى
الأمراء المصريين الآتية أسماؤهم :

الأمير كمال الدين من العائلة المالكة في مصر .

الأمير أحمد عمرو من العائلة المالكة في مصر .

الأمير عبد الرحمن من العائلة المالكة في مصر .

الأمير محمد علي من العائلة المالكة في مصر .

الرسالة الثانية :

إلى السيد الفاضل المحترم الأخ والصديق (رافع الوريدي) حفظه الله .

بعد السلام والتحية والاحترام .

تسلمت رسالتكم وكل ما شرحتم لنا فيها صار معلومنا ويستم لي أن بعض
الناس متألمين للحالة التي وصلنا إليها . وكل من يتصل بها يتألم ويبكي . إن
التألم والبكاء بالنسبة لحالتنا شيء قليل لأننا كنا دائماً عبر العصور نعاون
الضعيف أما اليوم فنحن الضعفاء . لذلك إن رغبتني الشديدة أن تعلم (عمنا)
(يعني إدريس السنوسي الأمير السابق) أنه أرسل لنا مع (سليمان العماري)
بعض الشيء (يعني بعض النقود) وكذلك بعض الكمية من الكاكاوية (يعني

القول السوداني) قل له إننا لسنا في حاجة إلى الكاكاوية وغيرها من الأشياء
التافهة وإنما نحن في حاجة إلى مواد غذائية وأسلحة إلى المجاهدين المساكين
الحاملين السلاح للدفاع عن الوطن ليلاً ونهاراً نتمنى من الله أن لا تخصصنا هذه
المواد وبالأخص المسلحين كما نرجو من الله أن يصبرنا وأن يعطينا قوة من
عنده كذلك نرجو من الله أن لا يحرمنا من خيره العميم.

حرر في 7 ربيع الثاني 1350 هـ الموافق 22 أغسطس 1931 م⁽¹⁾.

الوكيل العام

عمر المختار

الرسالة الثالثة :

الفاضل سيدي إبراهيم بن الحاج يحفظه الله .

بعد التحية .

تسلمت الرسالة التي أرسلها إلي الصديق (الوريدي) شرح لي فيها تألم
بعض العرب حول حالتنا الراهنة حالة لم يسبق لها مثيل في العصور السابقة

(1) إن سليمان العماري هو الشيخ سليمان أبو عقرب وشهر برقرق كان من المجاهدين المخلصين
للقضية الوطنية وجرح في عدة معارك منها معركة السانية وقد أصيب في إحدى رجليه وسببت
له عامة مستديمة كان رحمه الله موضع ثقة من الزعيم عمر المختار فكان يكلف بتجنيد الشباب
وجمع الأعشار وكذلك يكلف بالاتصال في الأمور العسكرية والسياسية مع المسؤولين
السنوسيين ومن بينهم (العم إدريس السنوسي) فكان رحمه الله كثير التنقل بين القبائل
وبالأخص العواقير. كان شريفاً وشجاعاً وأنا شخصياً شاهدت له مواقف مشرفة أثناء عضويته
في المؤتمر الوطني وكان عظيماً في تلك الليلة المشؤومة التي تحالفت فيها قوى الشر ضد
جمعية عمر المختار، وكانت هذه القوى تتمثل في الإدارة العسكرية البريطانية والقادة
السنوسيين ومن تبعهم حيث وضعت خطة لسحب الأمم من الجمعية ثم القضاء عليها. وإني
أذكر أنه خرج من الاجتماع يزمجر كالأسد غاضباً على هذه التصرفات الغاشمة ضد هيئة لها
مكانتها العالية في الشرق والغرب. فكان يقول: ما درت إلا سودة.

رحمه الله فهو بلا شك في جنة الخلد بين الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً.

أما إصابته بإحدى رجليه فكانت في معركة أجدايا يوم 21 أبريل 1923. «المترجم».

وفي الأحداث الإنسانية أو في حياة الإنسان . إن هذا العذاب الذي نعانيه كله في سبيل الدين والوطن . ولكن هذا العذاب وهذا التشرد الذي تحملناه قد بلغ الذروة العليا وهذا واجبنا وقد قمنا به بكل أمانة وإخلاص هذه الواجبات يجب على الآخرين أن يقوموا ببعض منها ولو كلفهم بيع ما يملكون . هذه الأعمال تأتي من آخرين لماذا لم تكن من ذوي الأمر الذين لم يهتموا بأي شيء بلغوا العم بهذا (يعني على ما أظن إدريس السنوسي) وقولوا له عندما تنهزم القوة المغلوب معذور .

أكون ممنوناً لو أعلمتني عن المهمة التي أوفدتك من أجلها ومدى المباحثات التي حصلت فيها .

أرجو من الله أن يدلنا على سبيل الرشاد مع تحياتي .
7 ربيع الثاني 1350 هـ الموافق 22 أغسطس 1931 م .

الوكيل العام

عمر المختار

إن خبر القبض على عمر المختار وإعدامه سرى في كل مكان وفي الأوساط المحلية بين الأهالي والخاضعين لسلطاننا وبين الثوار الخارجين عن طاعتنا والمهاجرين في مصر وفي كل البلدان من المشرق إلى المغرب . كلها تأثرت من هذا الحادث الجلل ، إعدام عمر المختار .

ولكي ننتهز هذه الفرصة في هذا الظرف الدقيق من أجل إثارة الفوضى بين القادة الذين خلفوا عمر المختار في القيادة رأينا أن ننشر بياناً إلى كافة أو البقية الباقية من العصاة (يعني الثوار) نعلن لهم فيه بأن الحكومة الإيطالية الفاشيستي مستعدة أن تقبل استسلامهم وتسليم السلاح وتضمن لهم الحياة . وفي 17 سبتمبر 1931 م نشرت التعليمات الآتية من أجل توزيعها وهي :

1 - أن نعطي للثوار الإحساس بسخاء الدولة الإيطالية الفاشيستي وكذلك للسكان المحليين .

2 - إقرار الحالة أمام العالم الإسلامي وغير الإسلامي بكل دقة وإن تصرفاتنا لا ليس فيها فهي من اختصاصنا وكذلك من مسؤولياتنا في كل العمليات الحربية التي أجريت في برقة . ولهذا فقد قامت طائراتنا بقذف المنشورات على المناطق الجبلية وعلى المدن والقرى وبها البيان التالي :

إلى أدوار عمر المختار!

إن الرئيس العظيم رئيس الثوار عمر المختار الذي يحارب منذ عشرين سنة كان يقودكم فيها إلى الخراب والدمار إلى التأخر والانحطاط قبضت عليه قوات المظفرة قوات إيطاليا الفاشستية وقد حكمت عليه المحكمة الخاصة بالإعدام وهذا انتقام من الله من أجل الناس المساكين الذين بسببه تركوا أراضيهم ومسقط رأسهم⁽¹⁾ يا أهل الدورا إن الحكومة الإيطالية الفاشستية القوية والسخية تحذركم مرة أخرى أنه بعد وفاة واختفاء الرئيس عمر المختار أنها مستعدة بأن تعفو عن كل الذين يخضعون لحكمنا ويسلمون أسلحتهم .

ومن غير هذا فالحكومة كما قضت على عمر المختار ستقضي على كل الذين يواصلون العصيان أما عاجلاً أو آجلاً . اسمعوا كلامي وسلموا أنفسكم وفي نفس الوقت أصدرت الأوامر إلى قوات الجيش بعد أن قذفت الطائرات المنشورات بالاستمرار في القتال دون توقف بل بذل أكثر من الجهد دون تردد حتى نجعل أمام العصاة (يعني الثوار) الطريق الوحيد هو الاستسلام دون قيد أو شرط . وخلاف إلقاء البيان بالطائرات وهي ما يزيد عن (35000) منشور وأكثر

(1) سبحان الله يا جنرال! من الذي شرد الناس من أراضيهم؟ ومن الذي أفنى (80000) من المواطنين في المعتقلات ألم تكن أنت الذي قضى على الناس وأموالهم؟ وفي نفس الصفحة تعترف بأن عمر المختار منذ عشرين سنة يحارب من أجل من؟ من أجل أن يطردك ويطرده قوات إيطاليا الفاشية .

وها هم أحفاد عمر المختار أعضاء مجلس قيادة ثورة الفاتح من سبتمبر طردوكم من الوطن أحياء وأمواتاً ودارت عليكم الأيام وأصبحت ليبيا حرة مستقلة استقلالاً صحيحاً لا غبار عليه .
«المترجم» .

منها وزعت من الدوريات الكشفية على كل بئر وفي كل حفل ومرعى وكل الأماكن التي يمر بها العصاة (يعني الثوار).

أما (المارشال بادوليو) من جانبه وجه إلى قوات الجيش البرقية التالية:

أوجه إلى قوات الجيش الشجاعة ببرقة أعظم الثناء وأحر تهنيتي على كل ما قاموا به من عمل مجيد وانتصار باهر في هذه الحروب والنتيجة المرضية التي كنا نتمناها أن نهاية عمر المختار يجب ألا أن تؤثر على السير فوق الطريق التي رسمناها وهي مطاردة العصاة أينما وجدوا واقتفاء أثرهم وضربهم بكل شدة دون هوادة أو رحمة إلى آخر واحد منهم وليكن شعارنا لا توقف ولا ارتخاء واصلوا الزحف بكل حماس متجدد ولسوف نقضي على العصاة (يعني المجاهدين) نهائياً.

حالة (دور) عمر المختار بعد سقوطه في الأسر وإعدامه:

عندما فحصت أوراق عمر المختار التي كانت في شنتطته أو حقييته وجدت نسخة الرسائل التي كانت مع مراسل بريد الدور محمد مؤمن الذي قتل في يوم 27 سبتمبر من العام الماضي حيث وضحت لنا كل شيء بعد أن كانت مبهمه. من هذه الوثائق ثبت لدينا بوضوح كيف كان دور عمر المختار يتحصل على المؤن والسلاح التي كانت دائماً شغله الشاغل حيث أنه كان يسعى بكل جهد وبكل طريقة كيف يتحصل على تمويل جيشه في الشهور الأخيرة من حياته.

هذه هي المنشورات والتعليمات والأوامر التي كان يوجهها عمر المختار إلى كافة أعوانه من أجل الحصول على المؤن والذخيرة وتقسيمها على المعسكرات المحاربة. (عصمان الشامي) بتاريخ 20 يوليو 1931م يكتب إلى (يوسف بو رحيل) طالباً منه إرسال كمية (الرز) التي تعهد بها وكانت بطرف (محمد الأجيرب) بأمر عمر المختار أطلب دفع ثمنها في أقرب وقت لأنه محتمل أن تنتهي كمية (الرز) الموجودة عندنا.

بلاغ بانتداب مندوب رسمي مع يوسف بو رحيل الرائد (سعد بك) ورفقائه من أجل بحث الحالة السيئة التي عليها الدور.

وبتاريخ 9 سبتمبر 1931م أمر (عمر المختار) (عمران راشد) بتزويد كيلو غرام (شعير) لكل جندي محارب. وفي يوم 9 سبتمبر 1931م أمر عمر المختار خليفة الدلاع بتسليم كل المستندات المالية والإدارية لقاء وصل رسمي إلى عمران راشد وكذلك كل المواد الغذائية الخاصة بالجنود.

عمر المختار كتب إلى القائد (خليل بو جار الله) بتاريخ 9 سبتمبر 1931م بأن يتعاون مع مبعوثه (عمران راشد) بخصوص الاستيلاء على المواد الغذائية لتموين المجاهدين.

وكتب عمر المختار بتاريخ 9 سبتمبر 1931م إلى عائلة (الشويب قنفود) (وعبد العليم) يطلب منهم تسليم كل الحبوب المخزونة عندهم لقاء وصل رسمي من المستلم مندوبه (عمران راشد) لكي يقوم بتوزيعها بطريقة الحصص على المجاهدين.

منشور دوري من عمر المختار بتاريخ 9 سبتمبر 1931م وجه إلى كافة البراعة والدرسة من ضباط وجنود بدون تخصيص بأن يعلنوا وينبهوا كل أتباعهم بأنه قد عين عمران راشد مندوباً لديهم نائباً للقائم مقام ورئيساً للإدارة من أجل إجراء الانتخابات العامة لتأسيس جمعية عامة للاستيلاء على كل المواد الغذائية والحبوب الموجودة في المنطقة من أجل تموين القوات المحاربة أي الثوار.

ويوصي عمر المختار أتباعه بالتضامن الثابت على مواصلة الكفاح واعداء إياهم بأن النجاة والنصر أصبحا قريبين. ورسالة أخرى بتاريخ 9 سبتمبر 1931م مكتوبة إلى بعض رؤساء قبيلة الدراسة لإعلامهم بمهمة مندوبه عمران راشد وهو نائب القائم مقام ورئيس إدارة الانتخابات العامة ومكلف بتجنيد شباب القبيلة وتسليحهم لهذا يرجو مساعدة مندوبه وتسهيل مهمته. كذلك يطلب أن

يكون المجندون خاضعين لأمره وأن يكون الفرسان الذين يملكون الخيول في معسكره بحيث يمكن للمندوب إرسالهم في أي وقت إلى الدور (أي مركز قيادة عمر المختار) وفي الوقت نفسه يقوم البعض منهم بحركة الاستكشاف أي مراقبة تحرك قواتنا (يعني القوات الإيطالية) وفي 11 سبتمبر 1931م كتب عمر المختار إلى عثمان مفتاح وحسن عبد الرحمن وإبراهيم خلالة وكل المشايخ من عائلة (هدية) بأن يسلموا إلى رئيس الإدارة عمران راشد لقاء وصل موقع منه كل كمية الرز والسكر الموجودة في حوزتهم خوفاً من أن تقع في يد العدو (يعني الإيطاليين) ويضيع تموين المحاربين.

وفي يوم 9 سبتمبر 1931م أعطى عمر المختار التعليمات والأوامر إلى بو بكر عبد الله مراحي ومهدي عبد الرحمن عائلة الشلماني لتسليم كل الحبوب الموجودة عندهم لقاء وصل موقع من عبد الرزاق المرافق لنائب القائم مقام عمران راشد.

مكتوب من عمر المختار بتاريخ 9 سبتمبر 1931م يأمر بتعيين عمران راشد نائب قائم مقام في معسكرات (البراعصة) و(الدرسة) من أجل تجميعهم وتجنيد الشباب منهم للدفاع عن الوطن وتنظيم جباية الحبوب وتنسيقها وكيفية توزيعها على المجاهدين لقاء تسجيل دقيق وثابت وصحيح لكل جباية حسب مناطقها.

عصمان الشامي بتاريخ 11 سبتمبر 1931م كتب إلى (الطيب) و(عبد الله بو عراف) لإعلامهم بأن مهمة عمران بن راشد هي تجنيد المحاربين وجمع المواد الغذائية ومن هذه الوثائق يتبين بأنه في الماضي كان كل مجموعة محاربة تتصرف على انفراد في الحصول على كل لوازمها حسب أهوائها وبطرقها الخاصة بحيث تخصص لكل جندي محارب كيلو غرام واحد في اليوم.

في محفظة أوراق عمر المختار وجدت سلطاتنا أمر عمر المختار إلى عصمان الشامي خلال شهر يناير 1928م بالهجوم العام على مخيمات الخاضعين لسلطاتنا في (سلنطة) ونشبت معركة ضارية بينهم وبين قوات الثوار

أثناء الهجوم فمات ما يزيد على سبعين شخصاً من بينهم شبوخ ونساء وأطفال وكذلك مواشيهم . هذا وقع في (سلنطة) وشاءت الأقدار أن تنتقم من الثائر حيث وقع في الأسر في نفس المنطقة التي هاجم فيها عمر المختار الآمين العزل وكان الجزاء أن وقع في الأسر ودفع حياته ثمناً لاعتدائه⁽¹⁾.

كتب في شهر جمادي الثاني 1346هـ الموافق يناير 1928م .

الحمد لله

إلى الفاضل قائم مقام دور سيدي رافع . عصمان بك الشامي .

تحياتي واحتراماتي، ليكون معلوماً لدى سيادتكم بأننا قد استنفرناكم للجهاد في سبيل الله وقيادة جنود الدورين دوركم ودور الحاسة والعبيدات فهم تحت تصرفكم ورهن إشارتكم لينزلوا إلى الميدان ضد أولئك الذين باعوا أنفسهم إلى الشيطان وساعدوا أعداء الله ورسوله بالاستيلاء على (سلنطة) وتسليم أسلحتهم ومدافعهم إلى العدو الغاصب . إن هؤلاء يستحقون المحاربة وحل الجهاد فيهم ولا بد من الاستيلاء على أموالهم ومواشيهم وهذا حق شرعي لأنهم خالفوا الشريعة الإسلامية فأصبح دمهم ومالهم مهدوراً وحق للمجاهدين محاربتهم وقتلهم دون رحمة أو شفقة . الله ينصركم على أعدائه وأعداء رسوله ودينه وقضيته . الله يردكم دائماً ويؤيدكم بالنصر المبين وحتماً سيادتكم تتحرك من أجل تنفيذ هذا الهدف حررنا هذه الرسالة الحاضرة .

نائب القائد العام

عمر المختار

(1) نسي الجنرال في قوله هذا أن عمر المختار لم يكن معتدياً بل دافعاً بالعدو إلى الوراء لأنه جند كل قواه من أجل القضاء على الثوار ولكن قواته الإيطالية المعتدية انهزمت وتقهقرت أمام قوات الثوار وأمام ضربات قوات المجاهدين الأبرار ولكن أرادت مشيئة الله أن يسقط جواد عمر المختار ويقع في الأسر وينفذ فيه حكم الإعدام وبهذا انفتحت أمامه أبواب التاريخ على مصراعيها فأصبح رمزاً للجهاد والكفاح ورمزاً للتضحيات حتى لقب بشيخ الشهداء وبلا شك في جنة الخلد يا عمر المختار . وقد قال شوقي :

ذهب الزعيم وأنت باق خالد فأنفذ رجالك واختر الزعماء «المرجوم»

ممثل الشريعة - عثمان الورفلي - يحضر تحت تصرف صاحب السمو السيد محمد الحسن الله يعاونه على تنفيذ ما وضعناه بعاليه الذي عرضناه عليه .

خادمكم

عمر المختار

قرأنا ما كتب بعاليه تحريرياً بناء على الموافقة والإشراف نأمر القائد المذكور أعلاه أن ينفذ أمر المذكورة بعاليه .

محمد الحسن بن رضا السنوسي

وكيل المفتش

مع المراسل الذي قتل في الطريق كان يحمل رسائل موجهة إلى إدريس وإلى أحد الإخوان السنوسية (محجوب بن خليل الكاديكي) من (السلوم) داعية ومعاند ومحرك للثورة ومهيج للنفوس ضد الإيطاليين . ومن المهاجرين الليبيين . مع الحاج مصطفى الجزائري بالسلوم (سكرتير أمين) و(ضابط اتصال بين الدور والسنوسية) هذا الرجل قريب لعمر المختار وكذلك كان له نفوذ كبير في منطقة مخيم (عقوبة) هذه الرسائل كلها تخبر بموت عمر المختار وتوضح كيفية وقوعه في الأسر ومحاكمته وإعدامه . .

وبناء على القرار الرسمي أي المضبطة مشهورة (بالمزبطة) موقعة من الأقطاب الأربعة أو القائم مقامين (خير الله الحميدي) ممثل البراغيث (الشيخ عبد الحميد العبار) ممثل (البراعصة والدرسة) وعصمان الشامي ، ومصديق على التوقيعات الشيخ (يوسف بو رحيل) القائم بأعمال القائد في الجبل الأخضر . وكانت المعركة التي سقط فيها عمر المختار وقتل فيها من جنودنا الإيطاليين 50 فارساً و20 جندياً من المشاة . وسبب هذه الهزيمة كما يقول العصاة (يعني الثوار) رداءة الأرض وقلة الذخيرة . وهذا هو مضمون الرسائل التي وجدت في حقيبة المراسل أو ناقل البريد الذي قتل أثناء المعركة . وفي المزبطة أي (المضبطة) الموجهة على ما اعتقد إلى إدريس حتى ولو أنها بدون

عنوان فكانت تعني تصميم العصاة (يعني الثوار) على الاستمرار في القتال مهما تكن الظروف حتى يتم النصر أو الفناء . وقد جاءت الأنباء أنه بعد سقوط عمر المختار في الأسر تجمع العصاة أي (الثوار) بين يوم وليلة وأجمعوا على تنصيب السيد (يوسف بو رحيل) قائداً للجهاد الإسلامي ووكيلاً عاماً للقيادة العليا الثوار وعلى أثر هذا التنصيب كلف الشيخ عبد الحميد العبار بالرحيل نحو شرق البلاد للقيام بحث الناس على الانخراط في جيش الثوار والاستمرار في حمل السلاح لمكافحة جيوشنا الإيطالية وكذلك الجهاد في سبيل العقيدة الإسلامية والدين .

إن القيام بهذه الدعوة تعني على أن الثوار في حاجة إلى التضامن والارتباط الأخوي لكي يقاوموا قواتنا الضارية التي منذ إعدام عمر المختار وهي قائمة بتطهير المنطقة من العصاة (يعني الثوار) ولكنهم لم يتلقوا أية مساعدة إلا الدعاء لهم بالتوفيق وعطفهم على هؤلاء العصاة التعساء . وهذا ثابت في رسالة القائمقامين الأربعة المرسله إلى الحاج مصطفى الجزائري الذي كان مكلفاً باستلام الرسائل الموجهة إلى العم (يعني إدريس) من المراسل السيار (محمد مؤمن) يستنهضونه في الأخذ بيد أخوانه المجاهدين ومساعدتهم حتى يصلوا إلى النصر غير أن الذي ضيع الأمل عند العصاة هي رسالة يوسف بو رحيل إلى العم الكبير (يعني إدريس) وبالمناسبة كل المكاتبات بين العصاة وإدريس كانت دائماً تأتي بدون عنوان واسم يسجل الكلام فقط وكانت هذه رغبة إدريس لأنه حريص جد الحرص على حماية نفسه فهو يظهر دائماً بعيداً كل البعد عن حركة العصاة (يعني الثوار) . . حماية لنفسه وممتلكاته . . وهذه نص الرسالة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّابِ الرَّحِيمِ

إلى سيادة عمنا الكبير (يعني إدريس) يحفظه الله ويرعاه ويطول عمره في الخير . .

بعد السلام وتقيل أياديكم الكرام ..

سيدي: إن الراعي الذي كان يقود الحركة الثورية مات ونفذ فيه أمر الله .

أرجو من سيادتكم عندما تستلموا رسالتي هذه أن تختاروا من يقوم مقامه لكي يستلم مقاليد الأمور مع كافة الموجودات كما وأرجو حسن الاختيار لكي تسير الثورة في طريقها الصحيح وحتى لا يضيع الوقت سداً لا سمح الله وإذا لم تستطيعوا الاختيار أو تعطلوا في الإنجاز فستحملون مسؤولية كل ما يحدث من ضرر وأخطاء للثورة والشوار.

(ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).

(هذه جمل يستعملها العرب عندما تحيط بهم المصائب) .. (كلام الجنرال) والسلام.

في 14 سبتمبر 1931م.

عبدكم

يوسف بو رحيل⁽¹⁾

وهناك ثلاثة رسائل مماثلة أرسلت إلى القادة السنوسيين القائمين في مصر تطلب نفس المطالب التي في الرسالة السابقة ولكن دون جدوى وكانت واحدة موقعة من الأقطاب الأربعة والثانية من الأهالي والأعيان في المنطقة والثالثة من القادة والضباط التابعين لدور الشوار.

(1) هذه رسالة تشتم منها رائحة اليأس من قادة السنوسية لأنهم أصبحوا في مأمن من بطش الفاشيست يتمتعون بالراحة في الأراضي المصرية بينما يوسف بو رحيل وعبد الحميد العبار وعصمان الشامي .. وبقية الثوار والوطنيين سكان المدن والقرى تعمل فيهم نار العدو وحديده وحبال مشانقه وهذا واضح في الرسائل التي وقعت في أيدي الإيطاليين عندما قتلوا المراسل محمد مؤمن ولكن الزعماء الحقيقيين قاوموا حتى النهاية استشهد من استشهد والذي بقي على قيد الحياة ذاق الأمرين من تعذيب وتشريد. «المرجم».

وعلى ضوء هذه الاعتبارات يفهم أن العصاة (يعني الثوار) في حاجة ملحة للمساعدات المعنوية والمادية من جانب قادة الحركة السنوسية الذين أعطوهم ظهر المجن وتركوهم يحترقون بين شمس الصحراء المحرقة ونار سلاح جنودنا الفتاك. وضاعوا وهم ينتظرون بديل عمر المختار في القيادة والمساعدات المادية المنتظرة ولكن خاب الظن... وانقطع الرجاء ومن هذه النقطة بدأت المقاومة تضمحل تدريجياً وأخذت قواتنا المظفرة تطارد الثوار أينما وجدوا في كل منطقة من مناطق الجبل وأخذت البقية الباقية من الثوار تتجه نحو الشرق لكي تجد ثغرة أو مخرجاً من حلقة التطويق التي حكمتها على قواتهم وأخذت قواتنا تستمر في المطاردة بينما العصاة يتجهون نحو الحدود المصرية وسوف تعترضهم الأسلاك الشائكة المكهربة وهناك سيواجهون مصيرهم وتكون مقبرتهم أمام هذه الأسلاك الشائكة وبدأ شبح الموت يأخذهم أولاً بأول. وقد أصدرت أوامري إلى قواتنا العاملة بالضرب دون هوادة والاستمرار في المطاردة حتى لا يبقى ثائر واحد فوق الجبل وعندها نكون قد نفذنا رغبة إيطاليا الفاشستية وزعيمنا الأكبر (بنيتو موسيليني) وفعلاً تشنت وحدات الثوار فرجع من رجع إلى أهله واستشهد من استشهد وهاجر من هاجر وبقي عدد قليل ملتف حول الفرسان الثلاثة عبد الحميد العبار ويوسف بو رحيل وعصمان الشامي هؤلاء اتجهوا بقواتهم إلى الناحية الشرقية أي إلى الحدود المصرية وتجدد القتال من جديد مع هذه القلة الأمر الذي جعل أن تحتشد كل قواتنا المصفحة والفرسان والهجانة لتستمر في المطاردة حتى تنظف الأراضي الليبية من العصاة (يعني الثوار) وتصبح برقة هادئة لا شغب فيها ولا ضلال بل نهوض بالعمل وتوسيع البلاد عمرانياً واقتصادياً ولهذا أصدرت أوامري المشددة بالقضاء على هذه الأقلية الباقية مهما يكن الأمر ومهما تكن الظروف وفعلاً استمر جنودنا بالضغط على هذه البقية وسد كل سبل النجاة في وجهها ودفعها نحو الحدود الشرقية أي نحو الأسلاك الشائكة وبعد قتال عنيف قرب الأسلاك الشائكة فاجتاز من اجتاز وقتل من قتل وأسر من أسر وبقي الزعماء الأربعة يقاومون فقتل حمد

بو خير الله أحد الزعماء وقتل خليفة عمر المختار يوسف بو رحيل وجرح عصمان الشامي فأخذ أسيراً أما الفارس عبد الحميد العبار فاستطاع أن يجتاز الأسلاك الشائكة بجواده رغم مطاردتنا له وبهذه المعركة الأخيرة انتهت المقاومة وبدأت فلول العصاة التي تشردت فوق الجبل الأخضر بتسليم سلاحها وخضعت لسلطاننا ومنهم من تطوع في منظماتنا العسكرية ومنهم من دخل المدن للعمل من أجل كسب العيش ومنهم من رجع إلى الفلاحة وتربية الحيوانات ومن هنا بدأت في برقة حياة جديدة وخصصت ميزانية حقيقية . لم يعد هناك جيوش جرارة وأسلحة متدفقة بل ستوجه الميزانية كلها إلى المجهود العمراني والزراعي والاقتصادي وأصبحت برقة هادئة متطلعة إلى حياة أفضل لتتم وتسير مع ركب الحضارة⁽¹⁾ .

إن سلطاتنا وجنودنا البواسل لم ينتقموا من أحد بل كانوا مثال التسامح والأخلاق وأنا هنا أنتهز الفرصة لأوجه لهم كل تقدير واحترام نالوه بكل جدارة واستحقاق . إن جنود روما البواسل أحفاد أحفاد (جوليو شيسري) العظيم الذي ساد على العالم ورفع مجد روما إلى أعلى عليين .

أما السنوسية التي أرادت أن تضطهد هذا الشعب الطيب المسالم الذي استغلته استغلالاً فاحشاً أخرته سنين طويلة عن السير قدماً مع ركب الحضارة وكم حاولنا أن نقرب إلى القادة السنوسيين من أجل التضامن والتعاون حتى

(1) قال الجنرال غرازياني إن برقة أصبحت هادئة ولكن هل كانت هادئة حقاً؟ أقول لا لأنها هدأت بقوة الحديد والنار طيلة خمسة وعشرين سنة ذاق فيها الشعب الليبي مرارة الحرمان والوان العذاب من التقتيل والتشريد .

أما العمران والتقدم والازدهار فكان دائماً من نصيب أبناء الإيطاليين الفاشيست فقط . ورغم هذا كله فقد قاومهم الشعب الليبي في كل مدينة وفي كل قرية بل وفي كل بيت وفي كل أسرة . ولم تهدأ برقة أبداً بل استمرت تحت هدوء مفتعل كالبركان الهاديء . . . ينتظر وقته المناسب ثم ينفجر وجاء هذا الوقت يوم الفاتح من سبتمبر فانفجر بركان ليبيا الهاديء وأطاح بالحكم والعروش الخاوية فانهارت في لمحة بصر وسبحان مغير الأحوال . «المترجم» .

تزدهر البلاد . . ولكنهم كانوا دائماً حجرة عثرة في كل الأمور لا يوافقون على شيء ما لم تكن هناك مكاسب شخصية يتمتعون بها دون الآخرين وبالأخص (إدريس) الذي استغل الأموال المخصصة للمصلحة العامة في أعماله الشخصية فهو المسؤول الأول أمام العالم والتاريخ لأنه خالف طريقة آبائه وأجداده التي كانت سائرة على طريق الحق والدين القويم وأما أحمد الشريف الذي عرفته عندما كنت ضابطاً في جيش الاحتلال سنة 1911م فكان يمشي على رجليه ويأكل مع عامة الثوار ويصلي معهم ويشاورهم في كل الأمور الدينية والدنيوية . . شجاع مؤمن بقضية بلاده لا تأخذه في الحق لومة لائم فهو دائماً يعمل لصالح الوطن العربي الكبير حتى وصل إلى أن قلده سلطان بني عثمان خليفة المسلمين نائباً له في الشمال الأفريقي . أما ابن عمه إدريس ومن معه فقد كانوا يختلفون عنه كثيراً في كل الأمور ومع هذا كله فنحن دائماً نتسامح مع الذين أساءوا إلينا نتبع كلام سيدنا المسيح حين يقول إذا لطمك أحد على خدك الأيمن فاعرض له خدك الأيسر . . وهنا قربت من انتهاء كتابي برقة الهادئة المتواضع راجياً أن يقرأه كل محب لبلاده لكي يتعلم منه التضحية والصبر وكذلك الشجاعة والإقدام . لقد ذكرت فيه الحقائق الواقعة دون تزويق أو تهريج حقائق ثابتة نابعة من ضميري عاصرتها وعشت وقائعها بالسنين والشهور والأسابيع والأيام والساعات والدقائق والثواني ، وسيظل هذا الكتاب للحقيقة والتاريخ . . تقرأه الأجيال القادمة لكي تعلم أن الشعب الإيطالي الفاشيستي عظيم ، ومتى صمم على شيء لا بد وأن ينجزه إما عاجلاً أو آجلاً .

ولكي أتوج كتابي بلفتة نبيلة يذكرها من بعدي جميع المواطنين الليبيين المحليين انتهزت فرصة حلول العيد الكبير أي عيد الأضحى فعفوت عن كل المسجونين السياسيين وأمرت بإحضارهم إلى الميدان البلدي⁽¹⁾ .

(1) وكان من بينهم من لا يزالون على قيد الحياة مثل الأستاذ عبد الرحمن بو أنخيله والأستاذ مصطفى فرج بن سعود وغيرهم . «المترجم» .

وبعد أن خطبت فيهم مييناً لهم ضرر العصيان والإصغاء إلى ترهات السادة السنوسيين وما ألحقوه بالشعب الليبي من تعاسة وشقاء وددت أن أسعد أسرهم في هذه المناسبة السعيدة حذرتهم من جديد بأن يفتحوا أعينهم ويغيروا من أفكارهم لكي يكونوا مواطنين صالحين وبعد هذا الموقف أمرت سلطة الأمن بفك قيود المساجين وتسريحهم ليذهبوا إلى بيوتهم وأسرهم وكانت ألسنتهم تلهج بالدعاء والثناء على عطف الحكومة الفاشستية الرشيدة داعين إلى الله أن يحفظ الجنرال وحكومته .

وبهذه الخاتمة السعيدة انتهى كتابي برقة الهادئة آملاً أن يكون نواة طيبة في تسجيل أعمال إيطاليا الفاشستية في مستعمراتها وتخليداً لأمجاد أولئك الأبطال الذين سقطوا في ميدان الشرف رافعين العلم مثلث الألوان رمز عزتنا ومجد روما الخالدة .

الخاتمة

كلمة أخيرة للمترجم:

بعون الله تعالى انتهيت من ترجمة كتاب «برقة الهادئة» للجنرال رودولفو غرازياني الذي حكم البلاد بالحديد والنار كأبي طاغية من طغاة الفاشيست وفي الحقيقة لم تكن برقة أبداً هادئة ولا كان أي شبر من هذا الوطن هادئاً كما زعم الجنرال غرازياني وفي كل شبر من هذه الأرض جرت معركة وسقط شهداء وسال دم أعداء البلاد أنهاراً فمن الهاني إلى بو مليانه إلى بو هادي إلى البويرات إلى جليانه إلى بنينه إلى وادي المهبول إلى تاكنس إلى بير تفرقت إلى سواني عبد الغني المشهورة عند الإيطاليين بموقعة النخلتين إلى الوديان والجبال والوهاد إلى كل صخرة وحبة تراب في هذا البلد وفي كل مكان تتقد ثورة ونار. وعرفت هذه الأرض رجالاً وأبطالاً أفاضاً منهم شيخ الشهداء عمر المختار وأحمد الشريف السنوسي وصالح الأطيوش وإبراهيم الفيل وأحمد سيف النصر والفضيل بو عمر ورمضان السويحلي وسعدون وقجة وعبد الحميد العبار الذي لا زال على قيد الحياة وهو قاموس لهذه المعارك وهو مرجع تاريخي حي. ويوسف بو رحيل وعصمان الشامي وغيرهم الكثير وكان يخيل للإيطاليين وعلى رأسهم الجنرال غرازياني الذي اختير من قبل الطاغية (بنيتو موسيليني، الدوتشي) إنهم سيقضون على الثورة في ليبيا كما

خيل لهم في عام 1911م أنهم ذاهبون في رحلة وهذا ما قاله لهم مودعوهم ولكنها كانت رحلة إلى الفناء وإلى حرب ضروس دامت خمسة وثلاثين عاماً لم تشهد الدنيا ملحمة نضال أروع منها وكان الأسبوعان اللذان اعتقد الإيطاليون أنهما فسحة في ليبيا يتمتعون فيها بالشمس الدافئة لم يكونا سوى خمسة وثلاثين عاماً كانت حماماً من الدم فعلاً ضاع فيها من الرجال والعتاد ما لا يمكن تصوره وقد هزم الثوار (الجنرال غرازياني) الذي لقب (بمارشال إيطاليا) مرات عديدة حتى اضطر الجنرال أن يطلب إجازة للراحة والاستجمام من عناء هذه الحرب. إن تاريخ هذا الشعب حافل بالنضال والملاحم البطولية الرائعة وبصور من البذل نادرة المثال فهؤلاء رجال يعقلون أرجلهم ويقاتلون حتى الموت وأولئك يعانون الجوع والضميم سعياً وراء الشهادة وهذه إيطاليا الفاشيستيّة العظيمة في تلك الآونة تجمع النواجع في ساحة واحدة لتمنع عن (الثوار المجاهدين) التموين فقد عجزت عن مجابتهم في القتال فسعت إلى تجويعهم ومنع التموين عنهم.

ولكن هيهات أن يتم لها ذلك فقد قاتلوها حتى الرمق الأخير ولقد اهتمت بترجمة هذا الكتاب وبالرغم من أنه قد كتب من قبل عدو البلاد إلا أن ما فيه من حقائق وتسجيل المعارك بتواريخها الدقيقة واعتراف بنضال هذا الشعب وتسخير للألوية والكتائب بمختلف الأسلحة في مواجهة شعب يكاد يكون أعزل حيث وقف هذا الشعب في وجه إيطاليا وقفة الند للند كما وجد في طيات السطور لهذا الكتاب. فقد بينت في مقدمتي بأني توخيت الأمانة في الترجمة الحرفية لم أزد فيها حرفاً واحداً وأن تعليقاتي عبارة عن توضيح أي موضوع أو أي موقعة أو تصحيح أسماء ومن هنا لا يسعني إلا أن أشكر تشجيع كل من المرحوم الأستاذ صالح أبو يصير الذي أرسل إلي برقية تقدير عندما بدأت في نشر حلقات الكتاب كما أشكر تشجيع أخي وابن عمي الأستاذ مصطفى بن عامر والأخ النقيب سليمان محمود والدكتور الحاج المهدي

المطردي الذي قام بنشر الكتاب في صفحات جريدته الكفاح والجهاد وكذلك الدكتور علي نور الدين العنيزي الذي عاصر المرحلة وغيرهم من أبناء الوطن العزيز ومعاصري هذه الأحداث ولا أنسى ابني العزيز الأستاذ الشاعر محمد الشلماني خريج كلية الآداب ليسانس في التاريخ الذي ساعدني على تصحيح الجمل وربطها مع بعضها لغوياً وفنياً فأني مدين له بهذا الفضل العظيم.

أما السبب في ترجمة هذا الكتاب فهو أنني اطلعت على كتب كثيرة في النضال الليبي أذكر منها - ترجمة عادل زعتر كتاب حضارة العرب تأليف الدكتور (غوستاف لوبون) وبرقة بين أمس واليوم تأليف الطيب الأشهب وعمر المختار للشيخ الطاهر الزاوي وعمر المختار لمحمود شلبي ورفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار لمحمد الأخضر العيساوي وتاريخ حرب طرابلس بقلم اليوزباشي محمد إبراهيم لطفي المصري، تاريخ اليقظة القومية عند العرب تأليف الأستاذ أمين سعيد - برقة أمس واليوم وغداً تأليف أسعد بك. وحضارة العالم الإسلامي للأمير شكيب أرسلان ولوبيا للأستاذ مصطفى بعيو وبالإيطالية برقة الخضراء للجنرال (تيروتزي) أحد القادة الفاشيستين حكم برقة مدة من الزمن. وكتاب لنفتح علب الرمال للكاتب الفاشستي (تونينيتي) وبحوث خاصة ببرقة للبروفسور (مكالوسو) أحد المستشرقين. وحلقات جذور النضال الليبي تأليف الأستاذ محمد عبد الرزاق مناع. كل هؤلاء امتزت عنهم رغم ثقافتي البسيطة بالمعاصرة لأنني عشت فترة الكتاب عيشة دقيقة تتبعتها بكل اهتمام ولأن الكتاب الذين ذكرتهم لم يتفقوا في الوقائع والأسماء والمواقع فكل منهم كتب حسب ما سمع وما أطلع أما كتاب برقة الهادئة الذي ألفه الجنرال غرازياني فهو الذي حكم البلاد ووضع الخطط الحربية وحدد تواريخها ومواقعها وقضى فيها على الأخضر واليابس وفيها ذهب عدد كبير من الشهداء في ميادين القتال وعلى أعواد المشانق وفي غياهب السجون ولكنه ذكر الحقيقة ووضع كل شخص في مكانه سواء من الإيطاليين أو من الليبيين المحليين

كذلك هناك اعتراف بنضالنا وحقنا فيه وبين لنا انتصاراته وهزائمه بين لنا بكل وضوح الأسماء والوقائع والمواقع وأذكر هنا على سبيل المثال هيئة المحكمة الخاصة بالطائرة التي أسست أبان حكم الجنرال غرازياني وهي التي حاكمت عمر المختار ولم يتفق اثنان في هذه المحكمة ولا في أسماء أعضائها فكل واحد أتى بأسماء مختلفة جداً وبالأخص المحامي الذي له دور كبير في القضية فإذا ذكره أحد ربما يكون بالاسم فقط أما مرافعته فلم يذكرها أحد. والذي حفزني على ترجمة هذا الكتاب أمرين رئيسيين: الأول: تأثيري بالحقائق المكتوبة فيه بينما معظم الكتاب أخفوها أما خوفاً أو تملقاً وهذا التأثير له وسيلته وهي اتقاني للغة الإيطالية بجانب اللغة العربية لغتي الأصلية. والثاني: هو أن المؤلف معترف بنضال الشعب الليبي وقدرته على القتال بالصبر والإيمان وهذا مهم جداً والمثل يقول والفضل ما شهدت به الأعداء فكان الجنرال غرازياني عدواً لنا واعترف بنضالنا.

وبهذه الكلمة الختامية أنهى ترجمة برقة الهادئة تأليف الجنرال رودولفو غرازياني الذي لقب بسفاح ليبيا عند الليبيين وأسد الصحراء عند الإيطاليين الفاشيست وقد احتفظت بهذا الكتاب ما يزيد عن أربعين سنة قرأته مرات ومرات وكنت دائماً أتمنى أن أترجمه قبل أن تدركني المنية لأن العوائق كانت واقفة في طريقي ومن الصعب تذليلها وهي:

1 - في عهد الحكم الإيطالي كان محظوراً علينا هذا النشاط حتى ولو أننا نعمل سراً ولكن الخوف كان دائماً يلاحقنا.

2 - هزمت إيطاليا الفاشستية في الحرب العالمية الثانية وحلت محلها الإدارة العسكرية البريطانية وكانت أدهى وأمر من السلطة الإيطالية وقام صراع كبير على تقرير المصير فأخذ الشعب العربي الليبي ينظم صفوفه شيباً وشباناً فكان يكافح من أجل تقرير مصيره وتوحيد بلاده المراد آنذاك تقسيمها وقد مضى وقت طويل في هذا الصراع.

3 - الاستقلال المزيف أو الحكم الفيدرالي وهذا أصبح حاجزاً عن القيام بترجمة هذا الكتاب لأن الملك إدريس وحاشيته تعرضوا لحمولات المؤلف فكان من المتعذر طبع أو نشر هذا الكتاب آنذاك .

4 - اختفى هذا الكتاب من السوق والمكتبات بصورة عجيبة ومن يدري ربما اشترته جهة ما وأحرقتة والجدير بالذكر أنني ذهبت إلى إيطاليا عدة مرات وبحثت عن هذا الكتاب رغم وجود نسخة عندي فلم أجده لهذا فإني أحمد الله تعالى على أن مد في عمري وحضرت ثورة الفاتح من سبتمبر 1969م التي أطاحت بالعرش وقامت الجمهورية العربية الليبية وأصبح المواطن حراً من تلك القيود يكتب بكل صراحة دون وجل أو خوف فيزيح الستار عن تلك الحقائق المطموسة عمداً وإني هنا أهيب بالشباب المثقف أن يهتم ويترك التقليد الأعمى ويسجل الأحداث بصدق وأمانة حتى يكون تاريخاً جديداً لأمتة العربية الكبرى من المحيط إلى الخليج .
وبما أنني قد بلغت الثامنة والستين من عمري أشعر بأنني قد رجعت إلى عهد الشباب عهد الكفاح حيث كنا نعمل سراً للتخلص من العدو الغاصب الجاثم على صدورنا سنين طويلة وها هي ثورة الفاتح من سبتمبر تفتح لنا الطريق الممهّد السوي بعد أن طهرته من المستعمر وأذنبه .

فليتعض شبابنا بهذه الصفحات وليؤمنوا بصدق أن شعبنا ناضل نضالاً منقطع النظير، نضالاً يجب أن يحفر بحروف من نور ونار في عقل كل منا ليكون ممهداً لنا طريق السير نحو العزة للعروبة والإسلام .

لقد كان المؤلف رودولفو غرازياني عدو هذه البلاد ولكنه كان نزيهاً في حكمه بالنسبة لدولته أميناً في ذكر الحقيقة المجردة وإني أيضاً احتفظت بهذا الكتاب لأنقله إليك أيها القارئ الكريم بكل صدق وأمانة وصراحة وإخلاص وأسأل الله تعالى أن يوجد في وطني الناس الذين لديهم من الوطنية والغيرة ما

يجعلهم يهتمون بتسجيل تاريخ الوطن العربي بأجمعه أو أي جزء منه وهم كثرة
والحمد لله خاصة وإن بلادنا العربية تمر الآن بأخطر مراحل تاريخها المعاصر
وتتعرض لخianات من الداخل ومؤامرات من الخارج وفي سبيل هذه المرحلة
الخطيرة التي تمر الآن وتخوضها الأمة العربية بأسرها في نضال لا مثيل له
يجب أن يوجد شباب إبان ثورته الثقافية كله إيمان وحماس ليهتم ويعتني
بتسجيل تاريخ بلاده مثلما عني شخصي الضعيف وقدمت جهداً متواضعاً لبيان
حقائق صادقة وواضحة كأشعة النور. حقق الله آمال كل مخلص أمين في عهد
الثورة المباركة والله الموفق.

إبراهيم سالم بن عامر

الفهرس

الإهداء	5
تقديم	7
مقدمة المترجم	11
تعريف بمترجم كتاب «برقة الهادئة»	15
الجنرال رودولفو غراسياني	17
مقدمة المؤلف	17
صفحات من التاريخ الليبي	19
الفضل الأول : من صلح لوزان : 12 أكتوبر 1912م إلى الحرب العالمية الأولى 14 يوليو 1914 م	21
الأحداث أثناء الحرب العالمية الأولى وحتى نهاية عام 1928م	25
محادثات الرجمة واتفاقية بو مريم :	26
اتفاق بو مريم نوفمبر 1921م :	30
قطع العلاقات مع السنوسيين والأعمال العسكرية المتتابعة حتى نهاية 1928م	33
الأعمال العسكرية أثناء عامي 1924 - 1925م :	34

أحداث سنة 1926م :	36
احتلال الجغبوب :	37
الفصل الثاني: عُصْن الزَّيتون	39
تعيين الفريق بادوليو، حاكماً عاماً على طرابلس وبرقة :	41
البيان السلمي للفريق بادوليو - على حد تعبيره :	41
حوادث تتابعت في طرابلس من أثر بيان السلام	43
الأحداث في برقة :	44
وقائع في (الكفرة) وفي منطقة سرت :	63
اعتقال بعثة بريتزي، وثورة زويه :	64
القتال في بو عطلة 1929/1/20، وإبادة جماعة صالح بو كريم :	66
الحالة اللاحقة وهزيمة زويه :	67
ظهور المجموعة التي نظمها صالح الأطيوش في معركة بو جدارية	
1929/4/16	69
قبيلة أزوية والسنوسي شمس الدين ومحاولتهم الجديدة في التقرب	
إلى الحكومة الإيطالية :	70
انتهت الترجمة الحرفية للموثيقة :	74
الفصل الثالث: الفأس والقضبان	75
تعييني في برقة :	75
التعليمات :	77
الحالة السياسية العامة :	80
أهل الثورة :	82
قوات «المجاهدين» وتنظيماتهم العسكرية :	85

تنظيم أراضي المستعمرة وترتيبها من حيث المناطق :	91
القوات النظامية :	104
المناطق العسكرية :	108
تعليمات حربية فوق الجبل :	109
نزع السلاح من الشعب الليبي :	115
مواصلة تعليمات القائد العام :	119
حشد الأهالي أو السكان في المعتقلات :	120
بريد برقة 30 مايو 1930 :	125
نشاطات وزارة العدل :	139
الفصل الرابع : الأعمال المسلحة في عام 1930 م	145
العمليات الحربية في منطقة فايد من 15 إلى 30 يونيو :	148
اشتباكات وادي الأثرون والعمليات الحربية :	156
«المعارك الدامية في منطقة البطنان» (مرماريكا) :	159
الفصل الخامس : احتلال الكفرة	163
الغارات الجوية وإلقاء القنابل على تازربو 31 يوليو 1930 :	164
استكشاف مياه بير الزغين وقصف الكفرة بالقنابل 25 - 26 أغسطس	
1930 :	165
يوم 25 أغسطس 1930 م :	166
25 أغسطس 1930 م :	166
يوم 26 أغسطس 1930 م :	167
القضاء على تجمعات أخرى للثوار التي تحاول الغارات على مراكزنا :	168
الاستعدادات والتنظيمات الخاصة بالقوات الصحراوية :	170

دراسات تحضيرية لمشروع الاحتلال النهائي للكفرة:	172
المناطق والأبعاد:	172
نوعية السير على الطريق:	173
إعادة تنظيم قاعدة جالو:	174
التجهيزات العاجلة:	175
تكوين الحملة أو القوات الزاحفة وتفصيل كل وحدة بقائدها:	179
تكوين مجموعة «الكولونيل» العقيد مارينوني من أجل الحكم المحلي للمنطقة:	181
الحالة السياسية عند بدء العمليات الحربية:	182
حركة فوق واحة (جالو):	184
استئناف السير نحو الجنوب:	185
الاستراحة في منطقة بئر الزيفن:	186
الزحف على الكفرة:	189
تنظيم العمليات العسكرية:	192
استغلال الانتصارات:	194
الكفرة وتنظيماتنا الصحراوية:	197
مقاومة الثوار رغم احتلال الكفرة:	203
قضية الحدود:	204
القرار النهائي:	210
استحكامات تفوق خط ماجينو لاحتلال الكفرة:	215
الأرقام تتكلم:	217
نشاط قواتنا فوق الجبل وجنوب بنغازي وفي سرت:	218

218	فوق الجبل:
220	الحرب في جنوب بنغازي:
222	الحركات الحربية في منطقة سرت:
223	احتلال جبهة وادي المراه:
227	حملة الصحافة الإسلامية:
227	التعذيب الإيطالي في طرابلس:
243	القبض على عمر المختار وكيف حدث:
245	عمر المختار، وقوعه في الأسر ومحاكمته:
250	إلقاء القبض على عمر المختار:
267	الانحطاط النهائي:
273	حالة (دور) عمر المختار بعد سقوطه في الأسر وإعدامه:
285	الخاتمة:
285	كلمة أخيرة للمترجم:

برقة الهادنة

كتاب برقة الهادنة يعتبر أقدم كتاباً يتناول فترة هامة من تاريخ الاستعمار الايطالي لليبيا، مؤلف هذا الكتاب هو الجنرال غراسياني، الذي يعتبر أحد جلادي الشعب الليبي، وعلى يديه تم إبادة حوالي نصف مجموعته، انه يعطينا فكرة واضحة عن سلوك وسياسة هؤلاء المستعمرين البشعة تجاه شعبنا البطل والتي اتبعوها ليس في برقة فحسب بل في كل المناطق والمدن التي وطنتها اقدامهم .



Bibliotheca Alexandrina



0493459



الدار الجماهيرية
للنشر والتوزيع والإعلام



مصراته: ص. ب. 17459 - هاتف: 614658 - 051 - بريد مصر 619410 - 051
الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى